ارشاد العباد الى سبيل الرشاد

تأليف
زين الدين بن عبد العزيز
ابن علي المعبري المليباري

دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد

إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد

تأليف

زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين
ابن على المعبرى المليبارى
من علماء القرن العاشر للهجرة

وبهامشه

مختصر جليل يتضمن أحاديث وآثارا ومواعظ تتعلق بالموت وما بعده
للمؤلف رحمه الله تعالى ونفع بعلومه آمين

دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

(قرآن كريم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرشدنا إلى طاعته ، وزجرنا عن معصيته ، وأشهد أن لا إله إلا الله إقرارا بوحدانيته وأشهد أن محمدا رسول الله اعترافا بنبوته ، والصلاة والسلام على من أرسله الله لإرشاد العباد ، وعلى آله وصحبه المهتدين إلى سبيل الرشاد .

[وبعد] فهذا كتاب انتخبته من كتابي الزواجر ومرشد الطلاب لشيخي مشايخ الاسلام وملكي العلماء الأعلام : شيخنا الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي ، وجدنا زين الدين ابن على المعبري رضى الله عنهما وحشرنا فى زمرتهما ، وزدت فيه ما يسر من الأحاديث والمسائل الفقهيات ، والمواعظ والحكايات . وسميته [بإرشاد العباد إلى سبيل الرشاد] راجيا من الله الجواد أن يرشدنى به وجميع العباد إلى دار الخلود إنه كريم ودود .

روى الشيخان البخارى ومسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه » .

باب الايمان

قال الله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا) أى وحدوا (ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) عقابه (الذى جعل) أى خلق (لكم الأرض فراشا) أى بساطا يفترش (والسماء بناء) سقفا (وأنزل من السماء ماء فأخرج به من) أنواع (الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا) أى شركاء فى العبادة (وأنتم تعلمون) أنه الخالق ولا يخلقون ، ولا يكون إلها إلا من يخلق ، وقال تعالى (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا) أى نارا شديدة . وأخرج مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لايرى عليه أثر السفر ولايعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه . وقال

بسم الله الرحمن الرحيم سبحانك اللهم وبحمدك ونصلى ونسلم على محمد رسولك وعبدك وعلى آله وأصحابه الموفين بعهدك [وبعد] فهذا مختصر ضمنت فيه بعض أحاديث ذكر الموت وما بعده فى فصول متوسطات بدأت أحاديث كل فصل بما يناسبها من آيات وأردفتها بآثار ومواعظ زاجرات عسى الله أن ينفعنى به وأحبابى والمسلمين والمسلمات .

[فصل] قال الله تعالى – يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون . وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون – وفى كتاب الترمذى قال النبى صلى الله عليه وسلم «أكثروا ذكر

يا محمد أخبرني عن الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا . قال صدقت . قال فعجبنا له يسأله ويصدّقه . قال فأخبرني عن الإيمان . قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشرّه من الله تعالى . قال صدقت . قال فأخبرني عن الاحسان . قال أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك . قال فأخبرني عن الساعة » أى عن زمن وجود يوم القيامة « قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل . قال فأخبرني عن أماراتها . قال أن تلد الأمة ربتها » أى سيدتها : يعنى يكثر عقوق الأولاد لأمهاتهم فيعاملونهنّ معاملة السيد أمته من الاهانة والسبّ « وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان » يعنى يصير الأسافل كالملوك « ثم انطلق فلبثت مليا أى زمانا كثيرا ، ثم قال ياعمر أتدرى من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » . قال التاج السبكى : الاسلام أعمال الجوارح ولا يعتبر إلا مع الايمان والايمان تصديق القلب ولايعتبر إلا مع التلفظ بالشهادتين ، ونقل النووى فى شرح مسلم اتفاق أهل السنة من المحدّثين والفقهاء والمتكلمين على أن من آمن بقلبه ولم ينطق بلسانه مع قدرته كان مخلدا فى النار انتهى . واعلم أنه يشترط فى إسلام كل كافر التلفظ بالشهادتين لا الاتيان بلفظ أشهد ، فالأظهر الاكتفاء بلا إله إلا الله محمد رسول الله ، وهو مقتضى كلام الروضة ، لكن الذى اعتمده بعض المتأخرين اشتراطه ، وهو مقتضى كلام العباب ، فعليه لوقال أعلم أو أسقطهما . فقال لا إله إلا الله محمد رسول الله لم يكن مسلما ، ولبعض أئمتنا رأى ثالث ، وهو اشتراط أشهد أومرادفها كأعلم ، فينبغى لكل من يسلم الاحتياط بأن يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، ومعنى أشهد أعلم وأبين ، ويشترط ترتيبهما فلا يصح الايمان بالنبي قبل الايمان بالله ، لا الموالاة بينهما ولا العربية وان أحسنها ، لكن يشترط فهم معنى ماتلفظ به ، وهو أنه لامعبود بحق فى الوجود إلا الله المنفرد بالألوهية ، وأن يزيد المشرك كفرت بما كنت أشركت به وأنا برىء من كل دين يخالف دين الاسلام ، فلا يصير المشرك مؤمنا حتى يضم إلى الشهادتين ذلك كما فى الروضة والعباب ، وقيل لايجب زيادة ذلك .

واعلم أن الايمان بالله اعتقاد أنه واحد لانظير له فى ذاته وصفاته ولا شريك له فى الألوهية ، وهى استحقاق العبادة ، وأنه قديم لا ابتداء لوجوده ، وباق لا انتهاء لأبديته ، وبالملائكة اعتقاد أنهم مكرمون لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون صادقون فيما أخبروا به ، وبالكتب اعتقاد أنها كلام الله الأزلى القائم بذاته المنزه عن الحرف والصوت وأن كل ماتضمنته حق وأن الله تعالى أنزلها على بعض رسله بألفاظ حادثة فى ألواح أوعلى لسان الملك ، وبالرسل اعتقاد أن الله أرسلهم إلى الخلق ونزههم عن كل وخيمة ونقص فهم معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوّة وبعدها ، وباليوم الآخر ، وهو من الموت إلى آخر مايقع اعتقاد وجوده وما اشتمل عليه من سؤال الملكين ونعيم القبر أو عذابه والبعث والجزاء والحساب والميزان والصراط والجنة والنار ، وبالقدر اعتقاد أن ماقدره الله فى الأزل لابد من وقوعه ومالم يقدره يستحيل وقوعه ، وأنه تعالى قدر الخير والشرّ قبل خلق الخلق ، وأن جميع الكائنات بقضائه وقدره . وأخرج أحمد والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جددوا إيمانكم قيل وكيف نجدد إيماننا يارسول الله ؟ قال أكثروا من قول لا إله إلا الله » ، والشيخان عن عثمان

هاذم اللذات الموت » وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ماحق امرىء مسلم له شىء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده » وفى رواية مسلم « يبيت ثلاث ليال » قال ابن عمر رضى الله عنهما مامرت علىّ ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك إلا وعندى وصيتى . وفى صحيح البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال « أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى وقال كن فى الدنيا كأنك غريب أوعابر سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور » أى لاتركنّ إليها ولا تتخذها وطنا ولا تحدّث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ولا تتعلق منها بما لايتعلق به الغريب فى غير وطنه . ولا تشتغل فيها بما لايشتغل به

ابن مالك «إن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله» . وابن عساكر عن على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «حدثنى جبريل . قال : يقول الله تعالى : لا إله إلا الله حصنى فمن دخله أمن من عذابى » والطبرانى عن أبى الدرداء «ليس من عبد يقول لا إله إلا الله مائة مرة إلا بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولم يرفع لأحد يومئذ عمل أفضل من عمله إلامن قال مثل قوله أوزاد» . وابن ماجه عن أم هانئ «لا إله إلا الله لايسبقها عمل ولاتترك ذنبا» والترمذى والنسائى عن جابر «أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله» والنسائى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال «قال موسى عليه السلام يارب علمنى شيئا أذكرك به . فقال قل لا إله إلا الله . فقال يارب كل عبادك يقول هذا إنما أريد شيئا تخصنى به ، فقال ياموسى لوأن السموات السبع وعامرهن غيرى والأرضين السبع جعلت فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة لمالت بهن لا إله إلا الله» . وأبو يعلى عن أبى بكر رضى الله عنه وعن ذريته «عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار وأكثروا منهما فإن إبليس قال : أهلكت الناس بالذنوب وأهلكونى بلا إله إلا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء وهم يحسبون أنهم مهتدون» . وابن أبى الدنيا والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه «حضر ملك الموت رجلا يموت فشق أعضاءه فلم يجد عملا خيرا ، ثم شق قلبه فلم يجد فيه خيرا ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول : لا إله الا الله فغفرله بكلمة الاخلاص» . وأبوداود وأحمد عن معاذ «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » نسأل الله الكريم الودود أن يختم كلامنا بكلمة التوحيد .

وحكى إمامنا محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه قال : رأيت بمكة نصرانيا يدعى بالأسقف وهو يطوف بالكعبة ، فقلت له ما الذى رغبك عن دين آبائك ؟ . فقال بدلت خيرا منه قلت : فكيف كان ذلك ؟ فحكى لى أنه ركب البحر . قال فلما توسطنا فيه انكسرت المركب فسلمت على لوح فمازالت الأمواج تدافعنى حتى رمتنى فى جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها أثمار أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر جار عذب . قال فقلت الحمد لله على ذلك آكل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يأتى الله تعالى بالفرج ، فلما ذهب النهار وجاء الليل خفت على نفسى من الدواب فعلوت شجرة ونمت على غصن ، فلما كان فى وسط الليل وإذا بدابة على وجه الماء تسبح الله تعالى بلسان فصيح : لا إله إلا الله الغفار ، محمد رسول الله النبى المختار ، فلما وصلت الدابة إلى البر إذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه إنسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة فخفت على نفسى الهلكة فنزلت من الشجرة ووليت هاربا فالتفتت إلى وقالت قف وإلا هلكت فوقفت فقالت لى مادينك ؟ . فقلت النصرانية . فقالت ويحك ياخاسر ارجع إلى الحنيفية فإنك قد حللت بفناء قوم من مؤمنى الجن لاينجو منهم إلا مسلم ، فقلت وكيف الاسلام ؟ قالت تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقلتها ، ثم قالت الدابة تريد المقام هنا أم الرجوع إلى أهلك ؟ فقلت الرجوع إلى أهلى ، فقالت امكث مكانك حتى يجتاز بك مركب فمكثت مكانى ونزلت الدابة فى البحر فما غابت عن عينى حتى مر مركب وركاب فأشرت إليهم فحملونى فاذا فى المركب اثنا عشر رجلا كلهم نصارى فأخبرتهم خبرى وقصصت عليهم قصتى فأسلموا كلهم .

وحكى الشيخ عبد الله اليافعى رحمه الله فى كتابه [روض الرياحين] : أنه كان فى الأمم الماضية ملك تمرد على ربه فغزاه المسلمون فأخذوه أسيرا فقالوا بأى قتلة نقتله فاجتمع رأيهم على أن يجعلوا له قمقما عظيما ويجعلوه فيه وتوقد تحته النار ولايقتلوه حتى يذيقوه طعم العذاب ففعلوا ذلك به

الغريب الذى يريد الذهاب إلى أهله وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اثنتان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب» وقال حاتم الأصم لكل شئ زينة وزينة العبادة الخوف وعلامة الخوف قصر الأمل ، وقيل للحسن ألا تغسل قميصك فقال الأمر أعجل من ذلك . اعلم أنه يسن لكل واحد من المكلفين إكثار ذكر الموت وينبغى أن يستعد له بالتوبة إلى الله تعالى ورد المظالم والمريض آكد لأنه يرق به قلبه ويخاف فيرجع عن المظالم ويقبل على الطاعات . واعلم أن بنى آدم طائفتان طائفة نظروا إلى شاهد خيال الدنيا وتمسكوا بتأميل

فجعل يدعو آلهته واحدا بعد واحد يافلان إنما كنت أعبدك أنقذنى مما أنا فيه ، فلما رأى الآلهة لاتغنى عنه شيئا رفع رأسه إلى السماء وقال لاإله إلا الله ودعا مخلصا فصبّ الله عليه مثعب ماء (١) من السماء فاطفأ تلك النار ، وجاءت ريح فاحتملت ذلك القمقم وجعلت تدور به بين السماء والأرض ، وهو يقول : لا إله إلا الله فقذفته إلى قوم لايعبدون الله عز وجلّ ، وهو يقول : لا إله إلا الله فاستخرجوه وقالوا ويحك مالك ؟ فقال أنا ملك بنى فلان كان من أمرى وخبرى كيت كيت ، وقصّ عليهم القصة فآمنوا .

وحكى فيه أيضا عن الشيخ أبى زيد القرطبى قال . سمعت فى بعض الآثار أن من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار فعملت على ذلك رجاء بركة الوعد فعملت منها لأهلى وعملت منها أعمالا ادخرتها لنفسى وكان إذ ذاك يبيت معنا شاب يقال إنه يكاشف فى بعض الأوقات بالجنة والنار ، وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه ، وكان فى قلبى منه شئ ، فاتفق أن استدعانا بعض الإخوان إلى منزله فنحن نتناول الطعام والشاب معنا إذ صاح صيحة منكرة واجتمع فى نفسه وهو يقول : ياعم هذه أمى فى النار ، وهو يصيح بصياح عظيم لايشك من سمعه أنه عن أمر ، فلما رأيت مابه من الانزعاج قلت فى نفسى اليوم أجرب صدقه فألهمنى الله السبعين ألفا ولم يطلع على ذلك أحد إلا الله ، فقلت فى نفسى الأثر حق والذين رووه صادقون : اللهم إن السبعين ألفا فداء هذه المرأة أمّ هذا الشاب فما استتمت الخاطر فى نفسى إلا أن قال : ياعمّ هاهى أخرجت الحمد لله .

فصل فى الردة

هى أفحش أنواع الكفر . قال الله تعالى ـ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالا بعيدا ـ وقال تعالى ـ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ـ وأخرج ابن ماجه والبيهقى عن أبى الدرداء . قال «أوصانى خليلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تشرك بالله شيئا وإن قطعت أو حرقت ، ولاتترك صلاة مكتوبة متعمدا ، فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة ، ولاتشرب الخمر فانه مفتاح كل شرّ » والطبرانى « من بدّل دينه فاقتلوه ولايقبل الله توبة عبد كفر بعد إسلامه » أى مادام مصرّا على كفره ، والشافعى والبيهقى « من غير دينه فاضربوا عنقه» أعاذنا الله منها بمنه وكرمه .

واعلم أن من أنواعها : أن يعزم مكلف مختار على الكفر فى زمن قريب أو بعيد ، أو يتردد فيه ، أو يعلقه باللسان أو القلب على شئ ولو محالا عقليا فيكفر حالا أو يعتقد مايوجبه أو يفعله ، أو يتلفظ بما يدل عليه مع اعتقاد أوعناد أواستهزاء : كأن يعتقد قدم العالم أو الروح أوحدوث الصانع ، أو ينفى ماهو ثابت لله تعالى بالاجماع : كالعلم والقدرة ، أو يثبت ماهو منفى عنه بالاجماع كاللون ، أو يعتقد وجوب غير واجب كصلاة سادسة وصوم غير رمضان ، أو يشك فى تكفير اليهود والنصارى ، وكأن يسجد لمخلوق كصنم وشمس ، أو يمشى إلى الكنائس مع أهلها بزيهم من الزنانير وغيرها أو يلقى ورقة فيها شئ من القرآن أوالعلم الشرعى أو اسم الله تعالى أو اسم نبى أوملك فى مستقذر ولو طاهرا كبزاق أو مخاط أو يلطخ ذلك ، أو مسجدا بنجس ولو معفوّا عنه ،

(١) مثعب الماء . مسيله اه قاموس .

العمر الطويل ولم يتفكروا فى النفس الأخير ، وطائفة عقلاء جعلوا النفس الأخير نصب أعينهم لينظروا ماذا يكون مصيرهم وكيف يخرجون من الدنيا ويفارقونها وإيمانهم سالم وما الذى ينزل معهم من الدنيا فى قبورهم وما الذى يتركونه لأعدائهم ويبقى عليهم وباله ونكاله وهذه الفكرة واجبة على كافة الخلق وهى على الملوك وأهل الدنيا أوجب لأنهم كثيرا ما أزعجوا قلوب الخلق وأدخلوا فى قلوبهم الرعب فان لحضرة الحق تعالى ذكره غلاما يعرف بملك الموت لامهرب لأحد من مطالبته ونشبته وكل موكلى الملوك يأخذون جعلهم ذهبا وطعاما وهذا الوكيل لايأخذ سوى الروح جعلا وسائر موكلى السلاطين تنفع عندهم شفاعة وهذا الوكل لا تنفع عنده شفاعة شافع وجميع الوكلين يمهلون من يوكلون به اليوم

وكأن ينكر نبوة نبي أجمع عليها أو إنزال كتاب كذلك : كالتوراة والانجيل وزبور داود وصحف إبراهيم أو آية من القرآن مجمعا عليها كالمعوذتين ، أو ينكر وجوب واجب أو ندب مندوب أو تحريم حرام أو تحليل حلال أجمع عليها وعلم من الدين ضرورة كركعة من إحدى المكتوبات وصوم رمضان وكالرواتب وصلاة العيد ، وكشرب الخمر ، والزنا واللواط ووطء الحائض وإيذاء مسلم ، وأخذ مكس وربا ورشوة ، وصلاة بلا وضوء ، وكالبيع والنكاح أو ينكر إعجاز القرآن ، أو صحبة أبي بكر رضى الله عنه ، أو البعث أو الجنة أو النار أو كأن يكذب نبيا أو يستخف به أو بملك أو يسبهما ولو تعريضا ، أو يقذف عائشة رضى الله عنها أو يدّعى النبوة أو يصدق مدّعيها ، وكأن يرضى بالكفر كما كراه مسلم عليه أو إشارته عليه به أو إشارته على كافر بأن لا يسلم وإن لم يستشره ، وكمنع تلقين كافر كلمة الاسلام إذا طلبه واستمهاله منه ولو ساعة بخلاف الدعاء بنحو لا رزقه الله الايمان أو سلبه عن فلان المسلم إن أراد تشديد الأمر لا الرضا به وكأن يفضل الولىّ على النبيّ أو يجوّز بعثة نبيّ بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وكأن يقول إنه رأى الله عيانا فى الدنيا ، أو كلمه شفاها أو أن الله يحلّ فى صورة حسنة أو أنه يطعمه ويسقيه أو أسقط عنه التمييز بين الحلال والحرام ، أو أن العبد يصل إلى الله من غير طريق العبودية أو أنه وصل رتبة سقط عنه التكليف بها ، وكذا يكفر من سخر باسم الله تعالى أو نبيه أو بأمره أو نهيه أو بوعده أو وعيده أو صغر اسم الله أو وصفه كالله ملىّ أو غير شيئا من القرآن أو زاد كلمة فيه معتقدا أنها منه أو بسمل عند شرب خمر أو زنا استخفافا باسم الله أو قال لو أمرنى الله أو رسوله بكذا لم أفعله أو أنه لو أعطانى الجنة مادخلتها استخفافا أو عنادا أو لو آخذنى بترك الصلاة مع مابى من الشدة والمرض ظلمنى أو لو شهد عندى نبيّ أو ملك ماصدقته أو قال المؤذن يكذب أو صوته كالجرس وأراد تشبيهه بناقوس الكفرة ، أو الاستخفاف بالأذان ومن قال مستخفا شبعت من القرآن أو الصلاة أو الذكر أو لاأخاف القيامة أو أىّ شئ المحشر أو جهنم أو أىّ شئ عملت وقد ارتكب معصية أو أىّ شئ أعمل بمجلس العلم وقد أمر بحضوره أو قصعة ثريد خير من العلم أو لعنة الله على كل عالم إن لم يرد الاستغراق وإلا لم يشترط استخفاف لشموله الأنبياء والملائكة أو تشبه بالعلماء أو الوعاظ أو المعلمين على هيئة مزرية بحضرة جماعة حتى يضحكوا أو يلعبوا استخفافا أو ألقى فتوى عالم أو قال أىّ شئ هذا الشرع وقصد الاستخفاف ، ومن تمنى كفرا ثم إسلاما حتى يعطى دراهم مثلا أو أن لايحرم الله مالم يكن حلالا فى زمن قط كالزنا والظلم والقتل أو نسب الله إلى الجور فى التحريم أو قال فى المكس ونحوه إنه حق السلطان معتقدا أنه حق ومن لبس زىّ كافر ميلا لدينه أو ضلل الأمة أو سبّ الشيخين أو الحسن والحسين ومن قيل له ما الايمان ؟ فقال لا أدرى استخفافا أو ألست مسلما ؟ فقال لا عمدا أو لم تأمر بالمعروف ؟ فقال مالى بهذا الفضول أو قلم أظفارك فهو سنة فقال استهزاء بها لاأفعل وإن كان سنة ومن قال لمحوقل الحوقلة لاتغنى من جوع أو لمن شمت كبيرا يرحمك الله لاتقل هكذا قاصدا أنه غنى عن الرحمة أو أجلّ من أن يقال له ذلك أو لمن فعل قبيحا شرعا كقتل السارق وضرب المسلم ظلما أحسنت أو لزوجته أنت أحب إلىّ من الله ورسوله وأراد محبة التعظيم لا الليل أو لمسلم يا كافر بلا تأويل أو ودع العبادات الظاهرة الشأن فى عمل الأسرار ؟ ومن قال إنه يوحى إليه وإن لم يدّع نبوة أو أنه يدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور

والساعة وهذا الموكل لا يمهل نفسا واحدا ويروى أنه كان ملك كثير المال قد جمع مالا عظيما واحتشد من كل نوع خلقه الله تعالى من متاع الدنيا ليرفه نفسه ويتفرغ لأكل ماجمعه لجمع نعما طائلة وبنى قصرا عاليا مرتفعا ساميا يصلح للملوك والأمراء والأكابر والعظماء وركب عليه بابين محكمين وأقام عليه الغلمان والأجلاد والحرسة والأجناد والبوابين كما أرادوأمر بعض الأنام أن يصطنع له من أطيب الطعام وجمع أهله وحشمه وأصحابه وخدمه ليأكلوا عنده وينالوا رفده وجلس على سرير مملكته واتكأ على وسادته وقال يانفس قد جمعت أنعم الدنيا بأسرها فالآن افرغى لذلك وكلى هذه النعم مهنأة بالعمر الطويل والحظ الجزيل فلم يفرغ مما حدثت نفسه حتى أتى رجل من ظاهر القصر عليه ثياب خلقة ومخلاته فى عنقه معلقة على هيئة

قبل موته ، أو أن النبوة مكتسبة أو أن مرتبتها تنال بصفاء القلب أو أن صدق الأنبياء فيما قالوه نجونا ، أو الله يعلم أني فعلت كذا وهو كاذب فيه أو مطرنا بنجم كذا مريدا أن للنجم تأثيرا فيه ؛ ومن قال إن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم كان أسود أو ليس بقرشي أو عربي أو إنسي أو لا أدري أهو الذي بعث بمكة أو مات بالمدينة ، أعاذنا الله من الكفر وحمانا مما يجرّ إليه . وروى مسلم عن صهيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك إني كبرت فابعث إليّ غلاما أعلمه السحر فبعث إليه غلاما يعلمه وكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه ، وكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي ، وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر ، فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس ، فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجرا فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره . فقال له الراهب : أي بنيّ أنت اليوم أفضل مني وقد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى ، وإن ابتليت فلا تدل عليّ وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء فسمع جليس الملك ، وكان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة . فقال هي لك إن أنت شفيتني ، فقال إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله ، فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله ، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس . فقال له الملك من ردّ عليك بصرك ؟ . فقال ربي . قال أولك رب غيري قال ربي وربك الله ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام . فقال له الملك أي بنيّ قد بلغ من سحرك ماتبرئ به الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل . فقال إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله تعالى فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل ، فإذا بلغتم ذروته ، فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك مافعل أصحابك ؟ . قال كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه ؛ فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به . فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك . فقال له الملك مافعل أصحابك ؟ . قال كفانيهم الله ، فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به . قال ماهو ؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ؛ ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ؛ ثم قل بسم الله رب الغلام ؛ ثم ارم فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ، ثم أخذ سهما من كنانته ، ثم وضع السهم في كبد القوس ؛ ثم قال بسم الله رب الغلام ، ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه فمات ، فقال الناس آمنا برب الغلام فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذره قد والله نزل بك حذرك ، قد آمن الناس فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدت وأضرم فيها النيران وقال : من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست

سائل يسأل الطعام فجاء وطرق حلقة الباب طرقة عظيمة هائلة بحيث تزلزل القصر وتزعزع السرير وخاف الغلمان ووثبوا إلى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا ياضيف ماهذا الحرص وسوء الأدب اصبر إلى أن نأكل ونعطيك مما يفضل فقال لهم قولوا لصاحبكم ليخرج إليّ فلي إليه شغل مهمّ وأمر ملمّ فقالوا له تنح أيها الضيف من أنت حتى نأمر صاحبنا بالخروج إليك فقال أنتم عرّفوه ما ذكرت لكم فلما عرفوه قال هلا نهرتموه وجردتم عليه وزجرتموه ثم طرق حلقة الباب أعظم من طرقته الأولى فنهضوا من أماكنهم بالعصيّ والسلاح وقصدوه ليحاربوه فصاح بهم صيحة وقال الزموا أماكنكم فأنا ملك الموت وطاشت حلومهم وارتعدت فرائصهم وبطلت عن الحركة جوارحهم فقال الملك قولوا له ليأخذ بدلا مني وعوضا عني فقال

فقال الغلام يا أمه اصبرى فانك على الحق » .

وحكى ابن الجوزى عن أبى على البربرى قال : إن ثلاثة إخوة من الشام كانوا يغزون وكانوا فرسانا شجعانا فأسرهم الروم مرة . فقال الملك : إنى أجعل فيكم الملك وأزوجكم بناتى وتدخلون فى النصرانيـة فأبوا وقالوا يا محمداه فأمر بثلاث قدور فصب فيها الزيت ثم أوقد تحتها النار ثلاثة أيام يعرضون فى كل يوم على تلك القـدور ويدعون إلى النصرانية فيأبون فألقى الأكبر فى القـدر ثم الثانى ثم أدنى الأصغر فجعل يفتنه عن دينـه بكل أمر فقام إليـه علج فقال أيها الملك أنا أفتنه عن دينـه قال بماذا ؟ قال قد علمت أن العرب أسرع شئ إلى النساء وليس فى الروم أجمل من بنتى فادفعه إلى حتى أخليـه معها فانها ستفتنه فضرب له أجلا أربعين يوما ودفعه إليه فجاء به فأدخله مع ابنتـه وأخبرها بالأمر فقالت له دعه فقد كفيتك أمره فأقام معها نهاره صائم وليله قائم حتى مضى أكثر الأجل فقال العلج لابنته ماصنعت ؟ قالت ماصنعت شيئا هـذا رجل فقد أخويه فى هـذه البلدة فأخاف أن يكون امتناعه من أجلهما كلما رأى آثارهما ولكن استزد الملك فى الأجل وانفنى وإياه إلى بلد غير هـذا فزاده أياما فأخرجها إلى قرية أخرى فمكث على ذلك أياما صائم النهار وقائم الليـل حتى إذا بقى من الأجل أيام قالت له الجارية ليلة ياهذا إنى أراك تقدس ربا عظيما وإنى قد دخلت معك فى دينك وتركت دين آبائى قال لها فكيف الحيلة فى الهرب ؟ . قالت أنا أحتال لك وجاءته بدابة فركبا وكانا يسيران الليـل ويكمنان النهار فبينما هما يسيران ليلـة إذ سمعا وقع خيـل فاذا بأخويه ومعهما ملائكة رسلا إليه فسلم عليهما وسألهما عن حالهما فقالا ما كانت إلا الغطسة التى رأيت حتى خرجنا فى الفردوس وإن الله أرسلنا إليك لنشهد تزويجك بهـذه الفتاة فزوجوه إياها ورجعوا وخرج إلى بلاد الشام فأقام معها ، ثبتنا الله بالقول الثابت وحمانا من الكفر والنفاق .

[تنبيهات : أحدها] أن من ارتكب مكفرا يحبط جميع أعماله ويجب عليه قضاء الواجب منها وينفسخ النكاح حالا ولو بعد الدخول عند جماعة من الأئمة : كأبى حنيفة بل عند إمامنا الشافعى رضى الله عنهما أن ثواب العمل يحبط لكن لا يحبط نفس العمل : أى من حيث إنه لا يجب القضاء وإن النكاح ينفسخ حالا إن كان قبل الدخول وبعد العدة إن كان بعده .

الثانى : أنه يجب على الامام أو نائبه استتابته فورا ويحرم إمهاله فان تاب قبل منه على الأصح وإلا فيقتله بضرب عنقه لابنحو إحراق ولا يدفن فى مقبرة المسلمين .

وثالثها : أنه يشترط فى صحة توبته النطق بالشهادتين فلا يحصل إسلامه ككافر أصلى إلا بذلك ويزيد حتما من كفر بانكار معلوم من الدين بالضرورة اعترافه بما كفر بانكاره وندب لكل مرتد الاستغفار .

باب العلم

قال الله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) أى ويرفع درجات العلماء منهم خاصة ، وقال الله عز وجل (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) أى لايستويان . وأخرج ابن عبد البر عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب» والديلمى عن ابن عباس «طلب العلم ساعة خير من قيام ليلة وطلب العلم يوما خير من

ما آخذ إلا روحك ولا أتيت إلا لأجلك لأفرق بينك وبين النعم التى جمعتها والأموال التى حويتها وخزنتها فتنفس الصعداء وقال لعن الله هذا المال الذى غرنى وأبعدنى ومنعنى من عبادة ربى وكنت أظن أنه ينفعنى فاليوم صار حسرتى وبلائى وخرجت صفر اليدين منه وبقى لأعدائى فأنطق الله تعالى المال حتى قال لأى سبب تلعننى العن نفسك فان الله تعالى خلقنى وإياك من تراب وجعلنى فى يدك لتتزود بى إلى آخرتك وتتصدق بى على الفقراء وتزكى بى على الضعفاء ولتعمر بى الربط والمساجد والجسور والقناطر لأكون عونا لك فى اليوم الآخر جمعتنى وخزنتنى وفى هواك أنفقتنى ولم تشكر حقى بل كفرتنى فالآن تركتنى لأعدائك وأنت بحسرتك وبلائك فأى ذنب لى فتسبنى وتلعننى ثم إن ملك الموت قبض

صيام ثلاثة أشهر » والترمذى عن سخبرة « من طلب العلم كان كفارة لما مضى » والشيرازى عن عائشة رضىَ الله عنها « من انتقل ليتعلم علما غفر له قبل أن يخطو » وابن عساكر والديلمى عن ابن عباس رضى الله عنهما « خير سليمان عليه السلام بين المال والملك والعلم فاختار العلم فأعطى الملك والمال لاختياره العلم » والطبرانى عن أبى أمامة « أيما ناشئ نشأ فى طلب العلم والعبادة حتى يكبر أعطاه الله يوم القيامة ثواب اثنين وسبعين صدّيقا » وابن النجار عن أنس « العلماء ورثة الأنبياء يحبهم أهل السماء ويستغفر لهم الحيتان فى البحر إذا ماتوا إلى يوم القيامة » والبخارى عن معاوية « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » والطبرانى والبيهقى عن أبى هريرة « ما عبد الله بشئ أفضل من الفقه فى الدين ولفقيه واحد أشدّ على الشيطان من ألف عابد ولكل شئ عماد وعماد هذا الدين الفقه » وابن النجار عن محمد بن على « ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من غير عالم » وأبو نعيم والخطيب عن أبى هريرة « خيار أمتى علماؤها وخير علمائها رحماؤها ، ألا وإن الله تعالى ليغفر للعالم أربعين ذنبا قبل أن يغفر للجاهل ذنبا واحدا ، ألا وإنّ العالم الرحيم يجئ يوم القيامة وإنّ نوره قد أضاء يمشى فيه ما بين المشرق والمغرب كما يضئ الكوكب الدرىّ » والديلمى عن ابن عباس « إذا مات العالم صوّر الله علمه فى قبره يؤنسه إلى يوم القيامة ويدرأ عنه هوامّ الأرض » وأبو الشيخ والديلمى عن ابن عباس رضى الله عنهما « إذا اجتمع العالم والعابد على الصراط ، قيل للعابد أدخل الجنة وتنعم بعبادتك ، وقيل للعالم قف هنا فاشفع لمن أحببت فانك لاتشفع لأحد إلا شفعت فقام مقام الأنبياء » والخطيب عن عثمان رضى الله عنه « أوّل من يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » وعن أنس « فضل العالم على غيره كفضل النبىّ على أمته » وعن جابر « أكرموا العلماء فانهم ورثة الأنبياء ، فمن أكرمهم فقد أكرم الله ورسوله » وابن عساكر عن أبى سعيد « من علم آية من كتاب الله أو بابا من علم أنمى الله أجره إلى يوم القيامة » وابن ماجه عن معاذ بن أنس « من علم علما فله أجر من عمل به ولا ينقص من أجر العامل » وأحمد عن معاذ « لأن يهدى الله بك رجلا خير لك من الدنيا ومافيها » وابن النجار عن ابن عباس « الغدوّ والرواح إلى المساجد فى تعليم العلم أفضل عند الله من الجهاد فى سبيل الله » والطبرانى عن ابن مسعود « أيما رجل آتاه الله علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » والنسائى عن أبى هريرة « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » يعنى ريحها . وابن ماجه عنه « من تعلم العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم » وابن أبى الدنيا والبيهقى عن الحسن مرسلا « مامن عبد يخطب خطبة إلا الله سائله عنها يوم القيامة ما أراد بها » قال فكان مالك بن دينار إذا حدّث بهذا بكى ، ثم يقول أتحسبون عينى تقرّ بكلامى عليكم وأنا أعلم أن الله سائلى عنه يوم القيامة ما أردت به ، فأقول أنت الشهيد على قلبى لو لم أعلم أنه أحبّ إليك لم أقرأ على اثنين أبدا . وقال شيخنا شيخ مشايخ الاسلام والمسلمين قطب الزمان شمس دائرة العرفان ، لسان الملكوت القدسى فى عالم التمكين زين العابدين أبو بكر محمد بن أبى الحسن البكرى الصديق رضى الله عنه فيما أوصانى به : اجعل الاخلاص فيما تفيده وتستفيده شعارك والأدب مع الله فيما تعلمه وتتعلمه دثارك ولا تبخل على طالب بتعليم ما علمه الله إياك متحرّيا فيه تحرّى من يعلم أن الله يراه انتهى ، رزقنا الله الاخلاص فى طلب العلم ونشره وفى جميع الطاعات ، وفى الغاية للمصنف قال السيد الجليل ضرار بن عمرو : إنّ قوما تركوا العلم ومجالسة أهل العلم واتخذوا محاريب

روحه قبل أكل الطعام فسقط على سريره صريع الحمام:

تجهز إلى الأجداث ويحك والرمس
جهازا من التقوى لأطول ماحبس
فانك لا تدرى إذا كنت مصبحا
بأحسن ماترجو لعلك لاتمسى
سأتعب نفسى كى أصادف راحة
فان هوان النفس أكرم للنفس
وأزهد فى الدنيا فان مقيمها
كظاعنها ما أشبه اليوم بالأمس

[فصل] قال الله تعالى ـ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ـ إلى آخر السورة وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم غرز عودا بين يديه وآخر إلى جنبه وآخر أبعد منه فقال

وصلوا وصاموا حتى يبس جلد أحدهم على عظمه خالفوا فهلكوا ، والذى لا إله غيره ماعمل عامل على جهل إلا كان مايفسد أكثر مما يصلح وصفهم بالهلاك .

[تنبيه] إن أوّل واجب على الآباء للأولاد تعليمهم أن النبىّ صلى الله عليه وسلم بعث بمكة ومات ودفن بالمدينة . اعلم أن أوّل ما يلزم المكلف تعلم الشهادتين ومعناهما وجزم اعتقاده ، ثم تعلم ظواهر علم التوحيد وصفات الله تعالى وإن لم يكن عن الدليل ، ثم مايحتاج إليه لاقامة فرائض الدين كأركان الصلاة والصوم وشروطهما ، والزكاة إن ملك مالا نصابا ولو كان هناك ساع ، والحج إن كان مستطيعا له ، ثم علم الأحكام التى يكثر وقوعها إن أراد أن يباشر عقدا بيعا كان أو غيره كالأركان والشروط ، لاسيما فى الربويات لمن خاض فيها ، وكواجبات القسم بين الزوجات والقيام بالمماليك ، ويجب أيضا تعلم دواء أمراض القلب : كالحسد والرياء والعجب والكبر واعتقاد ما ورد به الكتاب والسنة .

باب الوضوء

أخرج الشيخان عن أبى هريرة . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » وأبو الشيخ عن ابن مسعود « أمر بعبد من عباد الله تعالى يضرب فى قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة فامتلأ قبره عليه نارا ، فلما ارتفع عنه قال : علام جلدتمونى ؟ قالوا إنك صليت صلاة بغير طهور ، ومررت بمظلوم فلم تنصره » والبيهقى عن سلمان « إذا توضأ العبد تحاتت عنه ذنوبه كما تحاتّ ورق هذه الشجرة » ومسلم عن أبى هريرة « إذا توضأ العبد المسلم أوالمؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كلّ خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فاذا غسل رجليه خرج من رجليه كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب » وأبو داود عن ابن عمر « من توضأ على طهر كتب له عشر حسنات » .

وحكى الغزالى : أنه رؤى بعض الموتى فى المنام فقيل له كيف حالك ؟ فقال : صليت يوما بلا وضوء فوكل علىّ ذئب يروّعنى فى قبرى فحالى معه فى أسوإ حال .

وحكى أنه رمدت عين الجنيد مرّة . فقال الطبيب : إن ترد عينيك فلا توصل إليهما ماء ، فلما ذهب الطبيب توضأ وصلى ونام فبرئت عينه فسمع هاتفا يقول : ترك الجنيد عينه فى رضاى . فلو طلب منى الجهنميين بذلك العزم لأجبت ، فلما جاء الطبيب ورأى العين صحيحة قال ما فعلت ؟ قال توضأت وصليت ، وكان الطبيب نصرانيا فآمن فى الحال . وقال هذا علاج الخالق لا المخلوق وكنت أنا أرمد وكنت أنت الطبيب .

وحكى اليافعى عن سهل بن عبد الله قال : أول ما رأيت من العجائب والكرامات أنى خرجت يوما إلى موضع خال ، فطاب لى المقام فيه ووجدت من قلبى ميلا إلى الله عزّ وجلّ وحضرت الصلاة وأردت الوضوء وكانت عادتى من صباى تجديد الوضوء لكل صلاة فكأنى اغتممت لفقد الماء ، فبينما أنا كذلك وإذا دبّ يمشى على رجليه كأنه إنسان معه جرّة خضراء قد أمسك بيده عليها ، فلما رأيته من بعيد توهمت أنه آدمى حتى دنا منى وسلم علىّ ووضع الجرّة بين يدىّ فجاءنى أعراض العلم . فقلت الجرة والماء من أين هو ؟ فنطق الدبّ وقال ياسهل إنا قوم من الوحوش

أتدرون ماهذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الانسان وهذا الأجل وهذا الأمل فيتعاطى الأمل فيلحقه الأجل دون الأمل . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل وهو يعظه « اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك » وكتب الامام أبو حامد الغزالى إلى الشيخ أبى الفتح بن سلامة قرع سمعى بأنك تلتمس منى كلاما وجيزا فى معرض النصح والوعظ وإنى لست أرى نفسى أهلا له فإن الوعظ زكاة نصابها الاتعاظ فمن لانصاب له كيف يخرج الزكاة وفاقد النور كيف يستنير به غيره ومتى يستقيم الظلّ والعود أعوج . وقد أوصى الله تعالى عيسى ابن مريم عليهما السلام يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس

قد انقطعنا الى الله تعالى بعزم المحبة والتوكل ، فبينما نحن نتكلم مع أصحابنا فى مسئلة إذ نودينا : ألا إن سهلا يريد ماء لتجديد الوضوء فوضعت هذه الجرة بيدى وإذا بجنبى ملكان فدنوت منهما وصبا فيها هذا الماء من الهواء وأنا أسمع خرير الماء . قال سهل فغشى علىّ ، فلما أفقت إذا بالجرّة موضوعة ولا أعلم بالحبّ إلى أين ذهب وأنا متحسر إذلم أكمله وتوضأت ، فلما فرغت أردت أن أشرب منها فنوديت من الوادى : ياسهل لم يأذن لك فى شرب هذا الماء بعد فبقيت الجرة تضطرب وأنا أنظر اليها فلا أدرى أين ذهبت .

فصل فى أحكام الوضوء

شروطه : ماء مطلق وظن أنه مطلق ، وإسلام ، وتمييز ، وعلم فرضيته ، وعدم ظنّ فرضه نفلا وعدم حائل ولا مغير للماء على العضو كوسخ تحت ظفر ، وكزعفران وصندل ، وجرى الماء عليه ودخول وقت لدائم حدث .

وفروضه : نية أداء فرض الوضوء ، أو الطهارة لاستباحة الصلاة عند غسل أول جزء من الوجه ، وغسل الوجه واليدين مع المرفقين ، ومسح بعض الرأس ، وغسل الرجلين مع الكعبين والترتيب .

[فرع] لوشك فى تطهير عضو قبل الفراغ من الوضوء طهره وما بعده أو بعد الفراغ لم يؤثر .

وسننه : التسمية . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاصلاة لمن لاوضوء له ولاوضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه» رواه أحمد وأبوداود ثم غسل الكفين ثم السواك بكل خشن إلا لصائم بعدالزوال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أن أشقّ على أمتى لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء » رواه مالك والشافعى ثم المضمضة والاستنشاق والمبالغة فيهما لمفطر وجمعهما بثلاث غرف والاستنثارومسح كل الرأس والأذنين ظاهراو باطنا وتخليل شعر كثيف من لحية وعارض وأصابع اليدين بالتشبيك والرجلين من أسفل بخنصر يده اليسرى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتانى جبريل فقال إذا توضأت فخلل لحيتك » رواه ابن أبى شيبة . وقال صلى الله عليه وسلم « خللوا بين أصابعكم لايخلل الله بينها بالنار ثم قال ويل للأعقاب من النار » رواه الدارقطنى ، ودلك الأعضاء وأن يقول ثلاثا آخره مستقبلا إلى القبلة رافعا يديه وبصره إلى السماء ولو أعمى : أشهد أن لااله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله : اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لااله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، وصلى الله على سيدنا محمدوعلى آل سيدنامحمد وسلم وأن يقرأ إنا أنزلناه بعده كذلك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع بصره إلى السماء ثم قال أشهدأن لااله إلاالله وحده إلى آخره فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء » رواه مسلم . وقال صلى الله عليه وسلم « من توضأ فقال بعد فراغه سبحانك اللهم وبحمدك إلى آخره كتب فى رق ثم جعل فى طابع فلم يكسر إلى يوم القيامة » رواه الحاكم . وقال « من قرأ سورة إنا أنزلناه فى أثر وضوئه مرة كان من الصديقين ومن قرأها مرتين كتب فى ديوان الشهداء ومن قرأها ثلاثا حشره الله مع الأنبياء » رواه الديلمى وتثليث كلّ والتوجه للقبلة فى كلّ ، وقرن النية بأول السنن المتقدّمة على غسل الوجه ليثاب عليها والتلفظ بها سرّا ، وتعهد الغضون وكذا الموق واللحاظ بالسبابة إذا لم يكن فيهما رمص يمنع وصول الماء إلى محله وإلافواجب وأخذ ماء الوجه بكفيه معاوعدم لطمه به والبداءة فيه بأعلاه وفى اليدين والرجلين بالأصابع وإن صبّ عليه غيره وفى الرأس بمقدمه وإطالة الغرة والتحجيل .

وإلا فاشتهى منه وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « تركت فيكم ناطقا وصامتا» فالناطق هو القرآن والصامت هو الموت وفيهما كفاية لكل متعظ ومن لم يتعظ بهما كيف يعظ غيره ولقد وعظت نفسى بهما وقبلت وصدّقت قولا وعلما وأبت وتمرّدت تحقيقا وفعلا فقلت لنفسى أما أنت مصدقة بأن القرآن هو الواعظ الناطق وأنه كلام الله المنزل الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالت بلى فقلت لها قد قال الله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون . فقد وعد الله بالنار على إرادة الدنيا وكل مالايصحب بعد الموت فهو من الدنيا فهل تنزهت عن حب الدنيا وإرادتها ولوأن طبيبا نصرانيا وعدك بالموت أو بالمرض على

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أمتى يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع أن يطيل غرته فليفعل » رواه الشيخان . وقال صلى الله عليه وسلم « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » رواه مسلم ، والتيامن والولاء وترك التكلم والاستعانة والتنشيف والنفض بلا حاجة وتوقى الرشاش ووضع مايغترف منه عن يمينه ومايصبّ منه عن يساره والشرب من فضل وضوئه والاجتهاد فى إسباغ الوضوء . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايسبغ عبد الوضوء إلاغفرله ماتقدم من ذنبه وماتأخر » ورشّ ماء بين إزاره بعده كبعد استنجاء . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتانى جبريل فى أول ما أوحى إلىّ فعلمنى الوضوء ، فلمافرغ الوضوء أخذ غرفة من الماء فنضح بها فرجه » رواه أحمد والحاكم لامسح الرقبة ودعاء الأعضاء . أما حديثهما فموضوع أو شديد ضعفه فلايعمل بهما .

[فرع] يقتصر حتما على الواجب لضيق وقت عن إدراك الصلاة كلهافيه و إدراك جماعة أولى من التثليث وسائر سنن الوضوء ، غير الدالك مالم يرج جماعة أخرى .

[ومكروهاته] الاسراف فى الماء، وتقديم اليسرى على اليمنى والنقص عن الثلاثة والزيادة عليها من غير ماء موقوف ، فمنه حرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هكذا الوضوء فمن زاد على هذا أونقص فقد أساء وظلم » رواه أبوداود .

وحكى الشيخ معين الدين حسن السجزى : أنه كان مع الشيخ أجل سرى يوما فحضر وقت الصلاة فجدد الشيخ أجل سرى الوضوء وسها عن تخليل الأصابع ، فهتف هاتف يا أجل تدعى محبة محمد صلى الله عليه وسلم وتكون من أمته وتترك سنته ، فحلف الشيخ أجل لا أترك سنة من سننه عليه الصلاة والسلام من وقتناهذا إلى وقت الموت . وقال الشيخ معين الدين كنت إذارأيت الشيخ أجل رأيته كأنه ينام ، فسألته عنه فقال أنا من ذلك الوقت الذى نسيت تخليل الأصابع إلى هذا الوقت فى الحيرة كيف ألاقى بهذا الوجه محمدا صلى الله عليه وسلم .

وحكى عن الفضيل بن عياض : أنه نسى فى الوضوء غسل اليد مرتين ، فلماصلى ونام فى تلك الليلة رأى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يافضيل العجب منك إنك تترك فى الوضوء سنتى . فانتبه الفضيل من هيبته وجدد الوضوء من أوله ووظف على نفسه خمسمائة ركعة إلى سنة كفارة لذلك نفعنا الله به و بسائر الأولياء ورزقنا اتباعهم .

[ونواقضه] تيقن خروج غير منيه ولو ريحا من فرج ، وغلبة على العقل لابنوم ممكن مقعده ومس فرج آدمى ببطن كفه وتلاق بشرتى ذكر وأنثى بكبر لامع محرمية . ويحرم بالحدث صلاة وطواف وسجود ومسّ وحمل ما كتب فيه قرآن لدراسة لامع تفسير ، زاد عليه ولا قلب ورقه بعود إن لم ينفصل عليه ، ويجب على نحو الولى منع غير مميز مصحفا ولوحا فيه قرآن ولو بعض آية لاممیز لحاجته .

باب الغسل

أخرج الطبرانى عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا التقى الختانان وغابت الحشفة فقد وجب الغسل أنزل أولم ينزل » والنسائى وابن ماجه عن عائشة رضى الله عنها « إذا استيقظ أحدكم من نومه فرأى بللا ولم ير أنه احتلم اغتسل و إذارأى أنه احتلم ولم ير بللا فلا غسل عليه » وسمويه عن أنس « إذاوجدت المرأة فى المنام مايجد الرجل فلتغتسل » والطبرانى عن ابن عباس « إن

تناول ألذ الشهوات لتحاميتها واتقيت وأنفت منها أفكان النصرانى عندك أصدق من الله تعالى فإن كان كذلك فما أكفرك أم كان المرض أشد عليك من النار فإن كان كذلك فما أجهلك فصدقت ثم ما انتفعت بل أصررت على الميل إلى العاجلة واستمررت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالواعظ فقلت لها قد أخبر الناطق عن الصامت قال الله تعالى – قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون – وقلت لها هب أنك ملت إلى العاجلة أفلست مصدقة بأن الموت لامحالة يأتيك قاطعا عليك ما أنت متمسكة به وسالبا منك كل ما أنت راغبة فيه وأن كلّ ما هو آت قريب وأن البعيد ماليس بآت وقد قال الله تعالى – أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ماأغنى عنهم ما كانوا

الملائكة لاتحضر الجنب ولاالمتضمخ بالخلوق حتى يغتسلا» . وأبو داود والنسائى «لاتدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب» وأحمد وأبو داود عن على رضى الله عنه «من ترك موضع شعرة من جنابة لم يغسلها فعل بها كذا وكذا من النار» . قال على فمن ثم عاديت شعر رأسى وكان يجز شعره . وابن ماجه والترمذى عن أبى هريرة «إن تحت كل شعرة جنابة فاغسلوا الشعر وأنقوا البشرة» . وهما عن ابن عمر «لا يقرأ الجنب والحائض شيئا من القرآن» والنسائى عن عائشة رضى الله عنها «وجهوا هذه البيوت عن المسجد فانى لاأحل المسجد لحائض ولاجنب» وأبو داود والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه . «من أتى حائضا فى فرجها أو امرأة فى دبرها أو كاهنا ؛ فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم» والشيخان عن عائشة رضى الله عنها : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان جنبا وأراد أن يأكل أو ينام توضأ وضوءه للصلاة . ومسلم عن أبى سعيد الخدرى «إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ بينهما» والبزار عن ابن عباس «إن الله ينهاكم عن التعرى فاستحيوا من ملائكة الله الذين لايفارقونكم إلا عند ثلاث حالات : الغائط والجنابة والغسل فاذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجذمة حائط أو ببعيره» وعبد الرزاق عن ابن جريج قال : بلغنى «أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج فاذا هو بأجير له يغتسل عاريا فقال : لاأراك تستحى من ربك خذ إجارتك لاحاجة لنا بك» .

وحكى أبان بن عبد الله البجلى : هلك جارلنا فشهدنا غسله وحملنه إلى قبره فاذا فيه شبيه بالهرة فزجرناه فلم ينزجر فضرب الحفار جبهته بيرمه فلم يبرح فتحولوا إلى قبر آخر فلما ألحد فاذا هو فيه فصنعوا به مثل ماصنعوا فلم يلتفت فقال القوم إن هذا الأمر مارأينا مثله فادفنوا صاحبكم فدفنوه ؛ فلما سوى عليه اللبن سمعنا قضقضة عظامه فذهب عمى وغيره إلى امرأته فقالوا ماحال زوجك ؟ وحدثوها بما رأوا . فقالت كان لايغتسل من الجنابة .

وحكى الغزالى : أنه رؤى رجل فى المنام فقيل له مافعل الله بك ؟ قال دعنى فانى لم أتمكن من غسل يوما من الجنابة فألبسنى الله ثوبا من النار أتقلب فيه .

وحكى اليافعى : أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام احتلم فى ليلة باردة فأتى إلى الماء وهو جامد فكسره واغتسل وكادت روحه تخرج من شدة البرد ؛ ثم احتلم فى ليلة ثانيا فأتى إلى الماء واغتسل فغشى عليه فسمع يقال له لأعوضنك بها عز الدنيا والآخرة ؛ أعزنا الله معه فى الدارين .

فصل

موجب الغسل جنابة بخروج منيه أو دخول حشفة أوقدرها فرجا وحيض ونفاس ونحو ولادة وموت .وشروطه : ماء مطلق وعدم حائل ولا مغير للماء على العضو : كوسخ تحت ظفر وكزعفران وصندل وسدر ؛ وجرى الماء عليه .

وفروضه : نية أداء فرض الغسل أو رفع نحو الجنابة وتعميم ظاهر البدن حتى ماتحت القلفة من الأقلف بالماء .

[فرع] لايجب تيقن عموم الماء بل يكفى فيه كالوضوء غلبة الظن بالعموم .

وسننه : تسمية ؛ وإزالة قذر ؛ ثم وضوء وتخليل ، وتعهد غضون وموق ولحاظ ؛ وذلك

يعنون فكأنك مخرجة بهذا الوعظ عن جميع ما أنت فيه قالت صدقت فكان منها قولا لايحصل وراءه ولم تجتهد قط فى تزود الآخرة كاجتهادها فى تدبير العاجلة ولم تجتهد فى رضا الله تعالى كاجتهادها فى طلب رضاها وطلب رضا الخلق ولم تستحى من الله تعالى كما تستحى من واحد من الخلق ولم تشمر لاستعداد الآخرة كتشميرها فى الصيف لأجل الشتاء وفى الشتاء لأجل الصيف فانها لاتطمئن فى أوائل الشتاء مالم تتفرغ عن جميع ما تحتاج إليه فيه مع أن الموت ربما يختطفها والشتاء لايدركها والآخرة عندها يقين فلا يتصور أن تختطف منها فقلت لها ألست تستعدين للصيف بقدر طوله وتصنعين آلة الصيف بقدر صبرك على الحر قالت نعم قلت فاعصى الله بقدر صبرك على النار واستعدى للآخرة بقدر بقائك فيها فقالت هذا هو الواجب الذى

وتيامن ، وتوجه للقبلة وترك استعانة فى صب والشهادتان بعده وتثليث وولاء .
ومكروهاته : إسراف فى الماء وترك وضوء ومضمضة واستنشاق .

باب فضل الصلاة المكتوبة

قال الله تعالى ـ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا ـ أى مفروضا ـ موقوتا ـ : أى مقدرا وقتها فلا تؤخر عنه وقال تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ـ أى الصلوات الخمس ـ ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ـ وأخرج الحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما افترض الله على أمتى الصلوات الخمس ، وأول مايرفع من أعمالهم الصلوات الخمس وأول مايسألون من أعمالهم الصلوات الخمس فمن كان ضيع شيئا منها يقول الله تبارك وتعالى : انظروا هل تجدون لعبدى نافلة من صلاة تمون بها مانقص من الفريضة وانظروا فى صيام عبدى شهر رمضان فان كان ضيع شيئا منه فانظروا هل تجدون لعبدى نافلة من صيام تمون بها مانقص من الصيام وانظروا فى زكاة عبدى فان كان ضيع شيئا منها فانظروا هل تجدون لعبدى نافلة من صدقة تمون بها ما نقص من الزكاة فيؤخذ ذلك على فرائض الله وذلك برحمة الله وعدله ، فان وجد فضلا وضع فى ميزانه وقيل له ادخل الجنة مسرورا وإن لم يوجد له شئ من ذلك أمرت به الزبانية تأخذه بيديه ورجليه ، ثم يقذف به فى النار » ومسلم عن جابر « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار عذب على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فما يبقى ذلك من الدنس » وأحمد عن أبى ذر : « أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج زمن الشتاء والورق يتهافت فأخذ بغصنين من شجرة قال فجعل ذلك يتهافت . قال : فقال يا أبا ذر فقلت لبيك يارسول الله فقال : إن العبد المسلم ليصلى الصلاة يريد بها وجه الله فتهافت عنه ذنوبه كما تهافت هذا الورق عن هذه الشجرة » والطبرانى والبيهقى عن ابن عمر « إن العبد إذا قام يصلى أتى بذنوبه كلها فوضعت على رأسه وعاتقيه فكلما ركع أوسجد تساقطت عنه ذنوبه » ومسلم عن عثمان رضى الله عنه : « مامن امرئ مسلم يحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب مالم يأت كبيرة ، وذلك الدهر كله » . والبيهقى عن أنس : « مامن حافظين يرفعان إلى الله تعالى بصلاة رجل مع صلاة إلا قال الله تعالى أشهدكما أنى قد غفرت لعبدى مابينهما » . وفى كتاب الزواجر لشيخنا خاتمة المحققين أحمد بن حجر الهيتمى رضى الله عنه . قال بعضهم ورد فى حديث : « من حافظ على الصلاة أكرمه الله بخمس خصال يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ويعطيه الله كتابه بيمينه ويمر على الصراط كالبرق ويدخل الجنة بغير حساب ، ومن تهاون عن الصلاة عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة خمسة فى الدنيا (١) وثلاثة عند الموت وثلاثة فى قبره ، وثلاثة عند خروجه من القبر . فأما اللواتى فى الدنيا فالأولى ينزع البركة من عمره والثانية يمحى سيما الصالحين من وجهه والثالثة كل عمل يعمله لايأجره الله عليه والرابعة لايرفع له دعاء إلى السماء والخامسة ليس له حظ فى دعاء الصالحين (٢) . وأما التى يصيبه عند الموت فالأولى أنه يموت ذليلا ، والثانية يموت جائعا ، والثالثة يموت عطشان ولو سقى بحار الدنيا ما روى من

(١) قوله خمسة ، لعلها ستة وتحرفت .
(٢) لعل السادسة يبغض إلى الناس .

لا يرخص لى تركه لا الحق ثم استمرت على حجبتها ووجتى كما قال بعض الحكماء فى الناس من ينزجر نصفه ثم لا ينزجر نصفه الآخر زما أراك إلا منهم ولما رأيتها متمادية فى الطغيان غير منتفعة بموعظة الموت والقرآن رأيت أهم الأمور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها فان ذلك من العجائب العظيمة فطال تفتيشي عنه حتى وقفت على سببه وها أنا موص نفسي وإياك بالحذر منه فهو الداء العظيم وهو السبب الداعى إلى الغرور والإهمال وهو اعتقاد تراخي الموت واستبعاد هجومه على القرب فانه لو أخبر صادق فى بياض نهاره أنه يموت فى ليلته أو يموت إلى أسبوع أو شهر لاستقام واستوى على الصراط المستقيم وترك جميع ما هو فيه مما يظن أنه يتعاطاه لله تعالى وهو فيه مغرور فضلا عما ليس لله تعالى فانكشف لى تحقيقا

عطشه . وأما التى تصيبه فى قبره : فالأولى يضيق عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ، والثانية يوقد عليه القبر نارا يتقلب على الجمر ليلا ونهارا ، والثالثة يسلط عليه فى قبره ثعبان اسمه الشجاع الأقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد كل ظفر مسيرة يوم يكلم الميت فيقول : أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول : أمرنى الله أن أضربك على تضييع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس وأضربك على تضييع صلاة الظهر إلى العصر وأضربك على تضييع صلاة العصر إلى المغرب وأضربك على تضييع صلاة المغرب إلى العشاء وأضربك على تضييع صلاة العشاء إلى الفجر ، فكلما ضرب ضربة يغوص فى الأرض سبعين ذراعا فلا يزال فى الأرض معذبا إلى يوم القيامة . وأما التى تصيبه عند الخروج من القبر فى موقف القيامة فشدّة الحساب وسخط الرب ودخول النار » . وفى رواية « فانه يأتى يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات فى السطر الأوّل : يا مضيع حقّ الله ، والسطر الثانى : يا مخصوصا بغضب الله ، والسطر الثالث : ضيعك الله كما ضيعت فى الدنيا حقّ الله فايأس اليوم أنت من رحمة الله » وروى « إنّ فى جهنم واديا يقال له لملم فيه حيات كلّ حية بثخن رقبة البعير طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها فى جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه » وروى أيضا « إنّ امرأة من بنى إسرائل جاءت إلى موسى عليه السلام . فقالت يا نبىّ الله أذنبت ذنبا عظيما وقدتبت إلى الله تعالى فادع الله أن يغفر لى ذنبى ويتوب علىّ . فقال لها موسى وماذنبك ؟ قالت يانبىّ الله زنيت وولدت ولدا وقتلته . فقال موسى عليه السلام اخرجى يا فاجرة لئلا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك فخرجت من عنده منكسرة القلب ، فنزل جبريل عليه السلام وقال : ياموسى الرب تعالى يقول لك لم رددت التائبة ياموسى أماوجدت شرّا منها ؟ . قال موسى ياجبريل ومن شرّ منها ؟ قال من يترك الصلاة عامدا متعمدا » انتهى . وأخرج أحمد وابن حبان « من حافظ على الصلوات كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبىّ بن خلف » ومسلم وأبوداود والترمذى وابن ماجه : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » . والترمذى : بين الكفر والايمان ترك الصلاة . وأبو داود : بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة . وأحمد والترمذى والنسائى وابنا ماجه وحبان والحاكم عن بريدة : العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، ومن تركها فقد كفر . والطبرانى : من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا . وفى رواية سندها حسن : عرا الاسلام وقواعد الدين ثلاث عليهنّ أسس الاسلام من ترك واحدة منهنّ فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أنّ لا إله إلا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان . وفى رواية أخرى سندها حسن أيضا : من ترك واحدة منهنّ فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حلّ دمه وماله . والترمذى : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لايرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة . وابن أبى شيبة والبخارى فى تاريخه موقوفا على علىّ رضى الله عنه قال : من لم يصلّ فهو كافر . ومحمد ابن نصر وابن عبدالبر موقوفا على ابن عباس : من ترك الصلاة فقد كفر . وابن عبد البرّ موقوفا على جابر : من لم يصل فهو كافر . وقال محمد بن نصر : سمعت إسحق بن راهويه يقول . صح عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : أن تارك الصلاة كافر . وقال ابن حزم : قد جاء عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أن من ترك صلاة واحدة حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتدّ .

[تنبيه] قال جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم : بكفر تارك الصلاة وإباحة دمه

أن من أصبح وهو يؤمل أنه يمسى أو أمسى وهو يؤمل أنه يصبح لم يخل من الفتور والتسويف ولم يقدر إلا على سير ضعيف فأوصيك ونفسى بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال «صل صلاة مودع» ولقد أوتى جوامع الكلم وفصل الخطاب ولا ينتفع بوعظ إلا به ومن غلب على ظنه فى كلّ صلاة أنها آخر صلاته حضر معه خوفه من الله تعالى وخشيته منه ومن لم يخطر بخاطره قصر عمره وقرب أجله وغفل قلبه عن صلاته وسئمت نفسه فلا يزال فى غفلة دائمة وفتور مستمرّ وتسويف متتابع إلى أن يدركه الموت ويهلكه حسرة الفوت وأنا مقترح عليه أن يسأل الله تعالى أن يرزقنى هذه الرتبة فانى طالب لها وقاصر عنها وأوصيه أن لا يرضى من نفسه إلا بها وأن يحذر مواقع الغرور فيها ويحترز من خداع النفس فان

منهم عمر بن الخطاب وابن عباس وابن مسعود وعبدالرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبوهريرة وأبو الدرداء وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم . ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنخعى والحاكم وابن عيينة وأيوب السختيانى وأبو داود والطيالسى وأبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب وابن حبيب وغيرهم . وقال الشافعى رضى الله عنه وآخرون : إنّ تارك الصلاة يكفر إن استحلّ الترك أو جحد الوجوب وإلا يقتل بترك أداء صلاة واحدة حتى يخرج وقت الجمع بضرب عنقه بالسيف إن لم يتب بعد استتابته كتارك الصلاة وقيل يضرب بالعصا وقيل ينخس بحديدة إلى أن يصلى أو يموت . وقال الغزالى : لو زعم زاعم أن بينه وبين الله حالة أسقطت عنه الصلاة فلاشكّ فى وجوب قتله ، وقتل مثله أفضل من قتل مائة كافر . وقال أحمد بن حنبل : لايصح نكاح تاركة الصلاة ، ولكن فى مذهبنا أن نكاح الذمية أولى من نكاح تاركتها .

فصل فى تحريم تأخير الصلاة عن وقتها عمداً

واستحباب تعجيلها لأوّل الوقت

قال الله تعالى ـ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ـ . قال النبىّ صلى الله عليه وسلم « هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها : والويل شدّة العذاب . وقيل واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدّة حرّه فهو مسكن من يؤخر الصلاة عن وقتها » . وأخرج الحاكم والترمذى عن ابن عباس . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جمع بين صلاتين فقد أتى بابا من أبواب الكبائر » وأبو داود وابن ماجه عن ابن عمر « ثلاثة لايقبل الله تعالى منهم صلاة: الرجل يؤمّ قوما وهم له كارهون ، والرجل لايأتى الصلاة إلا دبارا» والدبار أن يأتيها بعد أن يفوتها « ورجل اعتبد محررا أى جعله عبدا » وروى النهبى أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا صلى العبد الصلاة فى أول الوقت صعدت إلى السماء ولها نور حتى تنتهى إلى العرش فتستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة وتقول له حفظك الله كما حفظتنى ، وإذا صلى العبد الصلاة فى غير وقتها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة . فإذا انتهت إلى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها» وأخرج أبو الشيخ عن ابن عمر «فضل الوقت الأول على الآخر كفضل الآخرة على الدنيا » والترمذى عنه « الوقت الأول من الصلاة رضوان الله والوقت الآخر عفو الله» والطبرانى عن أمّ فروة «أحبّ الأعمال إلى الله تعجيل الصلاة لأول وقتها » . روى البخارى عن الزهرى قال : دخلت على أنس بن مالك بدمشق ، وهو يبكى . فقلت مايبكيك ؟ . فقال لا أعرف شيئا مما أدركت إلاهذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت . قال الكرمانى والمراد بتضييعها تأخيرها عن الوقت المستحب لا أنهم أخروها عن وقتها بالكلية : وروى عن عقيل بن أبى طالب : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإذاجمل يعدوحتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله الأمان فلم يلبث حتى جاء خلفه أعرابى ومعه سيف مسلول . فقال النبى صلى الله عليه وسلم ماذا تريد من هذا المسكين ؟ قال يارسول الله اشتريته بثمن كثير ، وليس هو يطيعنى فأريد أن أذبحه وأنتفع بلحمه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم للجمل لم تعصيه ؟ . فقال يارسول الله لست أعصيه لأنى لست أقدر على العمل ، ولكن أعصيه لأن القبيلة التى أنا فيها ينامون عن صلاة العشاء الأخيرة فلو عاهدك

خداعها لايقف عليه إلا الأكياس وقليل ماهم والوصايا وان كانت كثيرة والمذكورات وان كانت كثيرة فوصية الله أكملها وأنفعها وأجمعها وقد قال الله عزوعلا فى محكم القرآن ـ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله ـ فما أسعد من قبل وصية الله تعالى وعمل بها وادخرها لنفسه ليجدها يوم مردها ومنقلبها وقال يزيد الرقاشى كان فى بنى إسرائيل جبار من الجبابرة وكان فى بعض الأيام جالسا على سرير مملكته فرأى رجلا قد دخل من باب الدار ذاصورة منكرة وهيئة هائلة فاشتدّ خوفه من هجومه وهيئته وقدومه فوثب فى وجهه وقال له من أنت أيها الرجل ومن أذن لك فى الدخول إلى دارى فقال أذن لى صاحب الدار وأنا الذى لايحجبنى حاجب ولا أحتاج فى دخولى على الملوك إلى إذن ولا أرهب سياسة السلطان

أن يصلى العشاء الأخيرة عاهدتك أن لا أعصيه مادمت حيا فانى أخاف أن ينزل عليهم عذاب من الله عز وجلّ فأكون فيهم فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم العهد على الأعرابى أن لايترك الصلاة وسلم اليه الجمل فرجع إلى أهله » .

وحكى عن بعض السلف:أنه دفن أختا له ماتت فسقط منه كيس فيه مال فى قبرها ولم يشعر به حتى انصرف عن قبرها ، ثم ذكره فرجع إلى قبرها فنبشه بعد ما انصرف الناس فوجد القبر يشتعل عليها نارا فردّ التراب اليها ورجع إلى أمه باكيا حزينا . فقال يا أماه أخبرينى عن أختى ، وما كانت تعمل ؟ قالت وماسؤالك عنها ؟ . قال ياأمى رأيت قبرها يشتعل عليها نارا . قال فبكت وقالت ياولدى كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها ، فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فكيف حال من لايصلى . فنسأل الله تعالى أن يعيننا على المحافظة عليها بكمالاتها فى أوقاتها إنه جواد كريم رءوف رحيم .

[تنبيهات : أحدها] أن إخراج الصلاة عن وقتها بلاعذر من أكبر الكبائر المهلكة فيجب على من فوّتها بغير عذر القضاء فورا وصرف جميع زمنه للقضاء ماعدا الوقت الذى يحتاج لصرفه فى تحصيل ماعليه من مؤنة نفسه وعياله وكما يحرم الاخراج عن الوقت يحرم تقديمها عنه عمدا . وثانيها أن الصلاة تجب أوّل الوقت وجوبا موسعا فله التأخير عن أوّله إلى وقت يسعها مالم يظنّ فوتها بشرط العزم على فعلها فيه وإلا عصى بالتأخير كمن نام بلا غلبة بعد دخول الوقت وقبل فعلها حيث لم يظنّ الاستيقاظ قبل ضيق الوقت أو إيقاظ غيره له . وثالثها أن فضيلة أوّل الوقت تحصل باشتغاله بأسباب الصلاة كطهارة وستر أوّل الوقت ثم يصليها . ورابعها أنه يندب تأخير الصلاة عن أوّل الوقت لمن تيقن جماعة أثناءه وإن فحش التأخير مالم يضق الوقت وكذا لمن ظنها إذا لم يفحش التأخير بحيث لايزيد على نصف الوقت ولايندب التأخير مطلقا لمن شك فيها .

فصل فى أحكام الصلاة

شروطها : ستر رجل وأمة مابين سرة وركبة ، وحرّة غير وجه وكفّ من الأعلى والجوانب بما لايحكى اللون إن قدروا عليه وتوجه للقبلة إلافى صلاة شدّة الخوف ونفل سفر مباح ومعرفة دخول وقت ولوظنا ومعرفة كيفية الصلاة بأن يعرف فرضيتها ويميز فرائضها من سنتها إلافى حق العامى إذا لم يقصد النفل بما هو فرض وطهارة عن حدث وطهارة بدن وملبوس ومكان عن نجس لاعن دم نحو برغوث ودمل وحجم وان كثر بغير فعله ولا عن قليل دم أجنبي غير نحو كلب ودم نحو حيض ولاعن روث وبول نحو خفاش وان كثرا ويعفى عن ذرق طيور فى المسجد وان كثر مالم يتعمد ملاقاته من غير حاجة ولم يكن هو أو مماسه رطبا .

وفروضها : نية فعلها مع تعيين ذات وقت أوسبب ومع نية الفرض فيه كأصلى فرض الظهر ويجب قرنها بأوّل التكبير واستصحابها إلى آخرها كما فى الروضة وأصلها والمختار الاكتفاء بالمقارنة العرفية بحيث يعدّ مستحضرا للصلاة وتكبيرة تحرّم وتعين فيه الله أكبر ويجب إسماع التكبير نفسه إن كان صحيح السمع ولاعارض من لغط ونحوه وكذا كل ركن قوليّ وقيام لقادر فى فرض والعاجز عنه ولو بنحو دوران رأس فى سفينة قعد ثم اضطجع ثم استلق وقراءة الفاتحة مع البسملة كل ركعة إلا ركعة مسبوق ويجب رعاية حروفها ومخارجها وتشديداتها وإعرابها المخلّ للمعنى وموالاتها كالتشهد ، فان تخلل سكوت طال أو قصد به قطع القراءة أوذكر قطع الموالاة ، فان

ولا يفزعنى جبار ولا لأحد من قبقق فرار فلما سمع هذا الكلام خرّ على وجهه ووقعت الرعدة فى جسده وقال أنت ملك الموت قال نعم قال أقسم عليك بالله إلا أمهلتنى يوما واحدا لأتوب من ذنبي وأطلب العذر من ربى وأردّ الأموال التى أودعتها خزائنى إلى أربابها ولاأتحمل مشقة عذابها فقال كيف أمهلك وأيام عمرك محسوبة وأوقاتها مثبتة مكتوبة فقال أمهلنى ساعة فقال إن الساعات فى الحساب وقد عبرت وأنت غافل وانقضت وأنت ذاهل وقد استوفيت أنفاسك ولم يبق لك نفس واحد فقال من يكون عندى إذا نقلتنى الى لحدى فقال لا يكون عندك سوى عملك فقال مالى عمل فقال لاجرم يكون مقيلك فى النار ومصيرك إلى غضب الجبار وقبض روحه فخرّ عن سريره وعلا الضجيج من أهل مملكته وارتفع ولو علموا مايصير اليه من سخط ربه لكان

بكاؤهم عليه أكثر وعويلهم أوفر .

[فصل] فى طول الأمل قال الله تعالى — ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون — وعن أبى ابن كعب رضى الله عنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلث الليل قام فقال : يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يهريق الماء فيتيمم بالتراب فأقول يارسول الله إن الماء منك قريب فيقول مايدرينى لعلى لاأبلغه » وعن أنس قال النبى صلى الله عليه وسلم « يهرم ابن آدم ويشب فيه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر » قال رسول الله صلى الله عليه

تعلق بالصلاة كتأمينه وسجوده لقراءة إمامه وفتحه عليه فلا وترتيبها ، ولوشك فى حرف أوآية قبل فراغها لابعده أوهل قرأ استأنفها وكالفاتحة فى ذلك سائر الأركان ، ويحرم وقفة لطيفة بين السين والتاء من نستعين وتعمد تشديد مخفف ثم قدرها من بقية القرآن فمن ذكر أو دعاء ثم وقفة قدرها وركوع بانحناء بلغ راحتيه ركبتيه واعتدال بعود لبدء وسجود مرتين بوضع بعض الجبهة مكشوفا إن أمكن على غير محمول يتحرك بحركته والركبتين وبطن الكفين وأصابع القدمين ويجب أن ينال مسجده ثقل رأسه ويرتفع أسافله على أعاليه وجلوس بينهما ولايطوله ولاالاعتدال وطمأنينة فيها ويجب أن لايقصد بالركن غيره ، وتشهد أخير : التحيات لله سلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعده اللهم صل على محمد ، وتسليمة أولى : السلام عليكم وقعود للثلاثة ، وترتيبها كماذكر .

وسننها نوعان : هيآت منها الاضافة إلى الله تعالى والتعرض للاستقبال وعدد الركعات والأداء والقضاء ، وإن لم يكن عليه فائتة مماثلة للمؤداة والنطق بالمنوى ، ونظر موضع سجوده مطرقا رأسه قليلا ثم رفع يديه بكشف حذو منكبيه مع ابتداء تحرم وركوع ورفع منه ومن تشهد أول ووضع يمين على كوع يساره تحت صدره وتفريق قدميه قدر شبر فى القيام وافتتاح سر المتمكن إن لم يتعوذ أو يجلس مع إمامه ، وهو — وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين — ثم تعوذ له بكل ركعة سرا ووقف على رأس كل آية من الفاتحة حتى البسملة ويكره الوقف على أنعمت عليهم ، وتأمين بتخفيف ومد ولمأموم سمع قراءة إمامه معه ولوتركه الامام . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أمن الامام فأمنوا فانه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه الشيخان ، ثم قراءة شيء من القرآن ولوآية ، والأولى ثلاث آيات فى الأوليين لغير مأموم سمع قراءة إمامه وفهمه فتكره له لجهر خلفه وتحصل باعادته الفاتحة إن لم يحفظ غيرها وبتكرير سورة واحدة فى الركعتين وسورة كاملة أفضل من البعض وإن طال فى غير التراويح وكون السورتين متواليتين مالم تكن التى تليها أطول وعلى ترتيب المصحف وقراءة الم تنزيل ، وهل أتى فى صبح جمعة ، والجمعة والمنافقين أو سبح وهل أتاك فيها وفى عشائها ، والكافرون والاخلاص فى مغربها وفى صبح المسافر ، والمعوذتين فى مغرب السبت . وجهر وإسرار فى محليهما وتدبر قراءة ، وذكر وتكبير فى كل خفض ورفع من غير ركوع ومده إلى أن يصل إلى الركن المنتقل إليه ووضع راحتيه على ركبتيه وتسوية ظهر وعنق فى الركوع ، وأن يقول فيه سبحان ربى العظيم وبحمده ثلاثا ، وفى رفعه منه سمع الله لمن حمده ، وفى اعتداله : ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ماشئت من شيء بعد ورفع اليدين فى القنوت حذو منكبيه وجهر إمام به ، وتأمين مأموم سمع قنوت إمامه سماعا محققا للدعاء منه ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وآله فيه وإتيان إمام بصيغة جمع فيه ، وفى دعاء التشهد فيكره تخصيص نفسه ووضع ركبتيه مفرقتين بقدر شبر ثم كفيه مكشوفتين حذو منكبيه ناشرا أصابعه مضمومة للقبلة ثم جبهته وأنفه معا وتفريق قدميه بشبر منصوبتين موجها أصابعهما للقبلة وإبرازهما من ذيله فى السجود ، وأن يقول فيه : سبحان ربى الأعلى وبحمده ثلاثا ، ومجافاة ذكر عضديه عن جنبيه وبطنه عن فخذيه فيه وفى ركوع

وضم

وضمّ غيره والافتراش في جلوس بين السجدتين ، ووضع كفيه قريبا من ركبتيه ناشرا أصابعه ، وأن يقول فيه : رب اغفر لي ثلاثا وارحمني واجبرني وارفعني وارزقني واهدني وعافني ، وجلسة الاستراحة ، وافتراش فيه وفي تشهد أوّل ، واعتماد على الأرض ببطن كفيه عند نهوضه من سجود وقعود وتورّك في تشهد أخير لايعقبه سجود سهو ووضع كفيه في تشهديه على طرف ركبتيه ناشرا أصابع يسراه بضم وجاعلا أصابع يمناه كعاقد ثلاثة وخمسين ورفع مسبحتها عند همزة إلا الله منحنية قليلا وإبقاؤها مرفوعة إلى القيام أو السلام ، وأن لايجاوز بصره إشارة ، ونظر إليها حال رفعها ، وأن يأتي في التشهدين بأكمل التشهد ، وهو التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنّ محمدا رسول الله ، وبعد تشهد أخير بأكمل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد . ثم بالدعاء المأثور : اللهم اغفر لي ماقدّمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدّم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن عذاب النار ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال : اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم ، يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، وتسليمة ثانية وزيادة ورحمة الله فيهما والتفات بوجهه يمينا وشمالا في تسليمته ناويا السلام على من التفت إليه من ملائكة ومؤمني إنس وجنّ وينويه على من خلفه وأمامه بأيهما شاء ، ومأموم الردّ على من سلم عليه وإدراجه بلا مدّ ، ونية خروج من الصلاة بالتسليمة الأولى .

وأبعاض : وهي تشهد أوّل وقعود له وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعده وعلى آله بعد التشهد الأخير وقنوت في اعتدال آخر صبح ووتر نصف أخير من رمضان : كاللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شرّ ماقضيت فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، وإنه لايذلّ من واليت ولايعزّ من عاديت تباركت ربنا وتعاليت فلك الحمد على ماقضيت أستغفرك وأتوب إليك ، ويجزئ آية فيها دعاء إن قصده وكذا يجزئ دعاء محض ولو غير مأثور وقيام له وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله بعده لاقبله فلو ترك شيئا من هذه الأبعاض ولو عمدا أوشك في تركه سجد سجدتين ندبا قبيل السلام كمن سها بما يبطل عمده كتطويل ركن قصير وقليل كلام وأكل وتكرير ركن فعلي أونقل قوليا إلى غير محله أوشك فيما صلاه واحتمل زيادة . ومن السنن المتقدّمة عن الدخول في الصلاة الأذان والإقامة فسنتان لمكتوبة ذكر وإن بلغه أذان غيره ، وإقامة لامرأة ويجيب سامعهما ولو تاليا ومتوضئا ويحوقل ويصدّق إن حيعل وثوّب ويقول بعدهما : اللهم صلّ وسلم على محمد اللهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته لما روى الشيخان : إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم . وابن النجار عن أبي هريرة : ثلاث لو يعلم الناس مافيهنّ ما أخذن إلا بسهم حرصا على مافيهنّ من الخير والبركة : التأذين بالصلاة ، والتهجير بالجماعات ، والصلاة في أوّل الصفوف . وابن أبي شيبة والبيهقي عن سلمان الفارسي موقوفا ، قال : إذا كان الرجل في أرض فأقام الصلاة صلى خلفه ملكان ، فاذا أذن

وسلم « مثل ابن آدم إلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته المنايا وقع في الهرم » . وروى أن الحسن قيل له إن فلانا مات بغتة ، فقال مايعجبكم من ذلك لو لم يمت بغتة مرض بغتة ثم مات . قال الغزالي رحمه الله عليه وعليك أن تجتنب طول أملك فانه إذا طال هاج أربعة أشياء : الأوّل ترك الطاعة والكسل فيها يقول سوف أفعل والأيام بين يديّ . والثاني ترك التوبة والتسويف فيها يقول سوف أتوب وفي الأيام سعة وأنا شاب وسني قليل والتوبة بين يديّ وأنا قادر عليها متى رمتها وربما اغتاله الحمام على الاصرار واختطف الأجل قبل صلاح العمل . والثالث الحرص على جمع الأموال والاشتغال بالدنيا عن الآخرة يقول أخاف الفقر في الكبر وربما أضعف عن الاكتساب ولا بدّ لي من شيء فاضل أدّخره لمرض أوهرم

وأقام صلى خلفه من الملائكة مالايرى طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ويؤمنون على دعائه . وأحمد ومسلم : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ، ثم صلوا علىّ فانه من صلى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة . وروى : من تكلم فى وقت الأذان خيف عليه زوال الايمان والارتداء والتعمم والاستياك عند القيام إلى الصلاة لما روى الشيخان : لا يصلين أحدكم فى الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شئ . وابن عساكر : صلاة تطوع أوفريضة بعمامة تعدل خمسا وعشرين صلاة بلا عمامة ، وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة بلا عمامة . والشيخان : لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة . وابن زنجويه وصححه الحاكم : صلاة بالسواك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك . قال النووى فى المجموع : يسن أن يجعل فى عاتقه ثوبا فان لم يجده جعل حبلا عليه حتى لايخلو من شئ ويكره ترك ذلك ككشف رأس . وقال شيخنا ابن حجر : إن التعمم والاستياك يستحبان ولو بعد الدخول فى الصلاة إن أمكن فعلهما بفعل قليل ، واتخاذ سترة وهى شاخص طوله ثلثا ذراع و بينهما ثلاثة أذرع فبسط المصلى فخط أمامه طولا فندب دفع مارّ مكلف وحرم مرور حينئذ . وقال البغوى فى شرح السنة : إذا بين الامام موضع صلاته بعصا أوغيرها لاحاجة إلى بين إلى غرز العنزة وغيرها . لما روى أبو داود : إذا صلى أحدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئا فلينصب عصا فان لم يكن معه عصا فليخطط بين يديه ثم لايضره مارّ أمامه . والشيخان : إذا صلى أحدكم إلى شئ يستره من الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه فان أبى فليقاتله ، فانما هو شيطان . وهما : لو يعلم المارّ بين يدى المصلى إلى السترة ماذا عليه من الإثم لكان أن يقف أربعين خريفا خيرا له من أن يمرّ بين يديه . والطبرانى : إنّ سترة الامام سترة من خلفه : وتسبيح وتحميد وتكبير وتهليل واستغفار عشرا عشرا إذا أراد القيام إلى الصلاة لما روى ابن السنى عن أم رافع أنها قالت يارسول الله دلنى على عمل يأجرنى الله عز وجلّ عليه . قال يا أمّ رافع : إذا قمت إلى الصلاة فسبحى الله تعالى عشرا وهلليه عشرا واحمديه عشرا وكبريه عشرا واستغفريه عشرا ، فانك إذا سبحت قال الله تعالى هذا لى ، و إذا هللت قال الله تعالى : هذا لى ، و إذا حمدت قال الله تعالى هذا لى . و إذا كبرت قال الله تعالى هذا لى ، و إذا استغفرت قال الله تعالى قد فعلت ذلك .

ومكروهاتها : ترك كشف يديه عند تحرّمه وسجوده و إلصاق قدميه ، وتقديم إحداهما واعتماد عليها فى القيام وجهر بمحل إسرار وعكسه وخفض رأس فى ركوع ، ومخالفة ترتيب ذكرناه فى وضع أعضاء السجود و بسط الذراعين على الأرض وترك وضع الأنف فيه وترك رجل مجافاة فيه وفى الركوع ، وترك تعوّذ وسورة وتكبير انتقال ، وأقلّ تسبيح ركوع وسجود ، وذكر اعتدال وجلوس بين السجدتين ، وتعوّذ بعد تشهد أخير و إسراع وتخصيص إمام نفسه بالدعاء ، وتخلف مأموم لجلسة استراحة تركها الامام وكفّ شعر وثوب ومسح وجهه من نحو غبار وتروّح على نفسه و بصق أماما ويمينا و إشارة مفهمة وتثاؤب واختصار واعتماد على اليد اليسرى فى الجلوس وتقليب اليدين عند التسليمتين .

[فائدة] يحرم الالتفات فى الصلاة على ماقاله المتولى والحليمى ورفع البصر عن موضع سجوده على ماقاله الأذرعى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قام فى الصلاة فالتفت ردّ الله عليه

أوفقرهذا ونحوه يحرك إلى الرغبة فى الدنيا والحرص عليها والاهتمام للرزق تقول إيش آكل وإيش ألبس هذا الشتاء وهذا الصيف ومالى شئ ولعلّ العمر يطول فأحتاج والحاجة مع الشيب شديدة ولابدّلى من قوت وغنية عن الناس وهذه وأمثالها تحرّك إلى طلب الدنيا والرغبة فيها والجمع لها والنمع لماعندك منها . والرابع القسوة فى القلب والنسيان للآخرة لأنك إذا أملت العيش الطويل لا تذكرالموت والقبر . وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أخوف ماأخاف عليكم اثنان : طول الأمل واتباع الهوى ألا إنّ طول الأمل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصدّك عن الحق فاذن يصير فكرك فى حديث الدنيا وأسباب العيش فى صحبة الخلق ونحوها فيقسو القلب فبسبب طول الأمل تقلّ الطاعة وتتأخرالتوبة وتكثر للمعصية و يشتدالحرص

صلاته » رواه الطبراني . وقال صلى الله عليه وسلم « ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فى صلاتهم ، فاشتد قوله فى ذلك حتى قال : لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم » رواه البخاري . وروى أن سبب ابتلاء يعقوب بابنه يوسف عليهما السلام أنه التفت فى صلاته إليه وهو نائم محبة له . ويكره تحريما صلاة عند الاستواء إلا يوم جمعة وبعد أداء صبح وعصر حتى ترتفع وتغرب شمس إلا لسبب غير متأخر كركعتى تحية ووضوء وكفائتة لم يقصد تأخيرها اليها وتنزيها صلاة بمدافعة حدث وبحضرة طعام يتوق إليه وبطريق فى بنيان ومقبرة سواء أصلى إلى القبر أم عليه أم بجانبه .

ومبطلاتها : نطق بحرفين ولاء ولو فى تنحنح أو حرف مفهم من كلام بشر لايسير كلام سبق لسانه اليه أونسى أوجهل تحريمه فيها وقرب عهده بالاسلام أو نشأ بعيدا عن العلماء ولا بتنحنح لتعذر ركن قولىّ وإن كثر ولا ضحك وبكاء وسعال وعطاس إن غلبت وقلّت ، وفعل فاحش كوثبة أو كثير يقينا من غير جنسها كثلاث خطوات وتحريك كف ثلاثا بحك لغير شدة جرب ولاء بحيث يعد كلّ متصلا على ما قبله ولو سهوا ، لاخفيف وإن كثر متواليا كتحريك أصابعه وأجفانه ومفطر وتعمد تكرير ركن فعلىّ وإطالة فعلىّ قصير عمدا وإخلال شرط من شروطها وترك ركن من أركانها .

وحكى عن الشيخ معين الدين أنه قال : كان الشيخ أحمد الغزنوى ساكنا فى غار قريب من الشام فزرته فاذا ماعليه إلا الجلد والعظم وهو جالس على سجادة وبين يديه أسدان ، فقال لى من أين تصل ؟ قلت من بغداد . قال مرحبا وأكثر خدمة الفقراء حتى يعظم أمرك ، وإنى سكنت فى هذا الغار منذ أربعين سنة واعتزلت الخلق ولكن مااسترحت من البكاء منذ ثلاثين سنة لأجل خوف شئ . قلت ماهو ؟ قال الصلاة إذا صليت نظرت فيها مفكرا وبكيت وقلت لواختلت ذرة من الشروط ضاعت جميع أعمالى وضرب بطاعتى على وجهى فان كنت يافقير تقدر أن تخرج من عهدة الصلاة فعلت أمرا وإلا ذهب العمر بالغفلة وضاع . وأخرج الطبرانى وابنا خزيمة وحبان فى صحيحيهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا لايتمّ ركوعه وينقر فى سجوده وهو يصلى فقال صلى الله عليه وسلم : لومات هذا على حاله مات على غير ملة محمد » صلى الله عليه وسلم . ثم قال صلى الله عليه وسلم « مثل الذى لايتمّ ركوعه وينقر فى سجوده مثل الجائع يأكل التمرة أوالتمرتين لايغنيان عنه » وأحمد « لاينظر الله إلى عبد لايقيم صلبه من سجوده وركوعه » والطبرانى « من صلاها لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتمّ لها خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها خرجت وهى سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتنى حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق ثم ضرب بها وجهه » ومسلم « يافلان ألا تحسن صلاتك ألاينظر المصلى إذاصلى كيف يصلى فانما يصلى لنفسه » والديلمى وحسنه الحافظ ابن حجر « اذكر الموت فى صلاتك فان الرجل إذاذكر الموت فى صلاته لحرىّ أن يحسن صلاته وصلّ صلاة رجل لايظنّ أنه يصلى صلاة غيرها » وأبوداود عن عبد الله بن الشخير قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وفى صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء .

[فائدة] قال السيد معين الدين الصفوى فى تفسيره جوامع التبيان : والأصح أن الخشوع من فرائض الصلاة ؛ وقال سفيان الثورى : من لم يخشع فسدت صلاته ؛ وقال سيدى القطب العارف بالله محمد البكرى رضى الله عنه ونفعنا به : وإنما يورث ذلك إطالة الركوع والسجود ؛ وقال

ويقسو القلب وتعظم الغفلة فتذهب والعياذ بالله إن لم يرحم الله الآخرة فأى حال أسوأ من هذه وأىّ آفة أعظم من هذه وإنما رقة القلب وصفوته بذكر الموت ومفاجآته والقبر والثواب والعقاب وأحوال الآخرة . وروى أن ذا القرنين اجتاز بقوم لايملكون شيئا من أسباب الدنيا وقد حفروا قبورموتاهم على باب دورهم وهم فى كل وقت يتعهدون تلك القبور وينظفونها ويزورونها ويتعبدون الله تعالى بينها ومالهم طعام إلا الحشيش ونبات الأرض فبعث إليهم ذوالقرنين رجلا يستدعى ملكهم فلم يجبه وقال مالى إليه حاجة فجاء ذوالقرنين إليه وقال كيف حالكم فانى لاأرى لكم شيئا من ذهب ولافضة ولا أرى عندكم شيئا من نعم الدنيا فقال نعم لأن نعم الدنيا لايشبع منها أحد قط فقال لم حفرتم القبور على أبوابكم فقال لتكون نصب أعيننا فننظر إليها

شيخ مشايخنا زكريا الأنصارى رحمه الله تعالى : إنّ نظر موضع السجود أقرب إلى الخشوع . وروى عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنه فى بعض الحروب الجهادية أصيب بسهم ثم جذب السهم من عضوه الشريف وبقى النصل فيه فقالوا إذا لم يجرح العضو لا يمكن استخراج النصل منه ونخاف من إيذاء أمير المؤمنين وقطع عضوه ؛ فقال رضى الله عنه إذا اشتغلت بالصلاة فاستخرجوه فافتتح الصلاة وهم قطعوا أم جرحوا العضو واستخرجوا النصل وهو رضى الله عنه لم يتغير فى صلاته فلما فرغ قال لم لم تستخرجوه ؟ فقالوا قد استخرجناه فانظر إلى إقباله على ربه حتى لم يحسّ بجرح العضو واستخراج النصل من جوف اللحم ، فنحن إذا عضتنا قملة أو برغوث بل إذا وقع علينا ذباب تشوّش ولايبقى لنا حضور فأين نحن من تلك الحالات والمقامات .

وحكى عن زين العابدين على بن الحسين : أنه كان إذا توضأ اصفرّ لونه وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة فقيل له مالك ؟ فقال ويحكم أتدرون بين يدى من أقوم ولمن أريد أن أناجى ؟ وأنه وقع حريق فى بيته وهو ساجد فجعلوا يقولون له يا ابن رسول الله النار فما رفع رأسه فقيل له فى ذلك لما رفع رأسه فقال ألهتنى عنها النار الكبرى ؛ فانظر أيها الغافل فى الصلاة بين يدى من تقوم ومن تناجى ؟ واستحى أن تناجى مولاك بقلب غافل وصدر مشحون بوساوس الدنيا وخبائث الشهوات ؛ أما تعلم أنه مطلع على سريرتك وناظر إلى قلبك وإنما يتقبل من صلاتك بقدر خشوعك وخضوعك وتواضعك وتضرّعك فاعبده فى صلاتك كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ؛ فان لم يحضر قلبك بما ذكرنا ولم تسكن جوارحك لقصور معرفتك بجلال الله تعالى فقدّر أن رجلا صالحا من وجوه أهل بيتك ينظر إليك كيف صلاتك فعند ذلك تحضر قلبك وتسكن جوارحك . ثم ارجع إلى نفسك وقل ألا تستحيين من خالقك ومولاك الذى هو مطلع عليك وناظر إلى قلبك ؛ أهو أقلّ عندك من عبد من عباده وليس بيده ضرّك ولا نفعك فما أشدّ طغيانك وجهلك وما أعظم عداوتك لنفسك ؛ فعالج قلبك بهذا فعسى أن يحضر معك فى صلاتك فانه انعقد إجماع العلماء على أنه لا يكتب لك من صلاتك إلا ما عقلت منها ؛ وأما ما أتيت به مع الغفلة ولو حكم بصحته ظاهرا فهو إلى الاستغفار أحوج لأنه إلى العقوبة أقرب . قال الفقيه اسمعيل المقرى رحمه الله :

تصلى بلا قلب صلاة بمثلها	يكون الفتى مستوجبا للعقوبة
تظلّ وقد أتممتها غير عالم	تزيد احتياطا ركعة بعد ركعة
فويلك تدرى من تناجيه معرضا	وبين يدى من تنحنى غير مخبت
تخاطبه إياك نعبد مقبلا	على غيره فيها لغير ضرورة
ولو ردّ من ناجاك للغير طرفه	تميزت من غيظ عليه وغيرة
أما تستحى من مالك الملك أن يرى	صدودك عنه ياقليل المروءة
إلهى اهدنا فيمن هديت وخذ بنا	إلى الحق نهجا فى سواء الطريقة

خاتمة

فى الأذكار المأثورة بعد الصلاة المكتوبة

روى الترمذى عن أبى أمامة قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أى الدعاء أسمع ؟ قال جوف

الليل

يتجدّد ذكر الموت ويبرد حبّ الدنيا فى قلوبنا فلا تشتغل بها عن عبادة ربنا فقال كيف تأكلون الحشيش فقال لأنا نكره أن نجعل بطوننا مقابر للحيوان ولأن لذة الطعام لا تتجاوز الحلق ثم مدّ يده إلى طاقة وأخرج منها قحف رأس آدمى فوضعه بين يديه وقال ياذا القرنين تعلم من كان هذا فقال لا قال كان صاحب هذا القحف ملكا من ملوك الدنيا وكان يظلم رعيته ويجور على الضعفاء ويستفرغ زمانه فى جمع الدنيا فقبض الله روحه وجعل النار مقره وهذا رأسه ثم مدّ يده ووضع قحفا آخر بين يديه وقال له أتعرف هذا فقال لا فقال كان هذا ملكا عادلا مشفقا على رعيته محبا لأهل مملكته فقبض الله روحه وأسكنه جنته ورفع درجته ثم إنه وضع يده على رأس ذى القرنين وقال ترى أىّ هذين الرأسين يكون هذا الرأس فبكى

الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات . قال النووى : أجمع العلماء على استحباب الذكر والدعاء بعد الصلاة ، فمن الذكر المأثور ماخرّجه ابن السنى وأبو يعلى عن البراء . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من استغفر الله دبر كل صلاة ثلاث مرات . فقال : أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان قد فرّ من الزحف . ويزيد فيه العظيم بعد الصبح والمغرب . ومسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال : اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام : لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ، اللهم لامانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا رادّ لما قضيت ولاينفع ذا الجد منك الجد ، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، لاإله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون . وهو أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين ؟ وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر . والرافعى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذاصليتم صلاة الفرض فقولوا فى عقب كل صلاة عشر مرات : لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير يكتب له من الأجر كأنما أعتق رقبة . ويزيد فيها يحيى ويميت بيده الخير بعد الصبح والعصر والمغرب . والحرث بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فاتحة الكتاب وآية الكرسى وشهد الله إلى الاسلام وقل اللهم إلى حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب قلن يارب أتهبطنا إلى أرضك وإلى من يعصيك قال الله تعالى : بى حلفت لايقرؤكنّ أحد دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه على ما كان فيه وأسكنته حظيرة القدس ونظرت إليه بعينى المكنونة فى كل يوم سبعين مرة وقضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة وأعذته من كل عدوّ وحاسد ونصرته . والنسائى وابن حبان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت . وأبو يعلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاث من جاء بهنّ مع الايمان دخل من أىّ أبواب الجنة شاء وزوّج من الحور العين حيث شاء : من عفا عن قاتله ومن أدّى دينا خفيا ومن قرأ فى دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات قل هو الله أحد . وأبو داود والترمذى عن عقبة ابن عامر قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقرأ المعوذات دبر كل صلاة . وورد التهليل عشر مرات .

وحكى عن الحفار بن يزيد المشهور بالفضل والصلاح أنه احتفر قبرا فاذا رجل قاعد على منبر وعنده طبق رطب قال : فقال لى أقامت القيامة ؟ فقلت لا . فقلت له بالذى أحلك هذه المحلة بم نلت هذا ؟ . قال كنت أقول دبر كل صلاة : لا إله إلا الله أرضى بها ربى : لا إله إلا الله أفنى بها عمرى لا إله إلا الله أقطع بها دهرى لا إله إلا الله أونس بها قبرى لا إله إلا الله ألقى بها ربى لا إله إلا الله أعدها لكل شئ يجرى . ومن الدعاء المأثور ما خرجه أبو داود والنسائى عن معاذ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيدى وقال : يامعاذ والله إنى لأحبك . فقال : أوصيك يامعاذ لا تدعنّ فى دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . وابن السنى عن أبى أمامة : مادنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دبر كل صلاة مكتوبة ولاتطوع إلا سمعته يقول : اللهمّ اغفر لى ذنوبى وخطاياى كلها : اللهم أنعشنى واجبرنى واهدنى لصالح

ذوالقرنين بكاء شديدا وضمه إلى صدره وقال له إن أنت رغبت فى صحبتى فانى أسلم إليك وزارتى وأقاسمك مملكتى فقال هيهات مالى فى ذلك رغبة فقال لم قال لأن جميع الخلق كلهم أعداؤك بسبب المال والمملكة وجميعهم أصدقائى بسبب القناعة والصعلكة ولله درّ القائل :

دليلك أن الفقر خير من الغنى
وأن قليل المال خير من المثرى
لقاؤك عبدا قد عصى الله بالغنى
ولم تلق عبدا قد عصى الله بالفقر

[فصل] اعلم أن تقصير الأمل مع حب الدنيا متعذر وانتظار الموت مع الاكباب عليها غير متيسر إذ الاناء إذا كان مملوءا بشئ لايكون لشئ آخر محل فيه ولأن الدنيا والآخرة كضرتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى وكالمشرق والمغرب بقدر ماتقرب من أحدهما تبعد من الآخر قال الله تعالى

الأعمال والأخلاق إنه لا يهدى لصالحها ولايصرف سيئها إلا أنت . وهو أيضا عن أنس : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا انصرف من الصلاة « اللهم اجعل خير عمرى آخره وخير عملى خواتمه واجعل خير أيامى يوم ألقاك » وعن أبى بكرة . قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دبر الصلاة «اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر » وأحمد عن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح قال «اللهم إنى أسألك علما نافعا وعملا متقبلا ورزقا طيبا» وهو عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرك شفتيه بعد صلاة الفجر بشئ . فقلت يارسول الله ماهـذا الذى تقول قال « اللهم بك أحاول و بك أصاول و بك أقاتل» وأبو داود عن مسلم بن الحرث التميمى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه أسرّ إليه فقال « إذا انصرفت من صلاة المغرب فقل اللهم أجرنى من النار سبع مرات فانك إذا قلت ذلك ثم مت من ليلتك كتب لك جواز منها و إذا صليت الصبح فقل كذلك فانك إذا مت من يومك كتب لك جواز منها» .

[فائدة] يسن لغير إمام يريد تعليم المأمومين إسرار بالذكر والدعاء وجهر بهما لامام يريده ولداع غير مصلّ وخطيب رفع يديه الطاهرتين حذو منكبيه ومسح وجهه بهما بعد الفراغ ورفع بصره إلى السماء وافتتاحه بحمد الله والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وختمه بهما و بالتأمين واستقبال القبلة إن كان منفردا أو مأموما . أما الامام فيستقبل المأمومين بوجهه فى الدعاء ولكل جلوس ذاكرا الله تعالى بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتينَ كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة » رواه الترمذى وحسنه . وقال صلى الله عليه وسلم « من قعد فى مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتى الضحى لايقول إلاخيرا غفرله خطاياه و إن كانت أكثر من زبد البحر » رواه أبو داود . وقال : لأن أجلس مع قوم يذكرون الله عزّ وجل من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلىّ من أن أعتق ثمانية من ولد اسمعيل عليه السلام . أعتق الله رقابنا من النار وغفر ذنوبنا وخطايانا وأصلح ما فسد من أعمالنا وتقبلها بمنه منا آمين .

باب صلاة التطوع

أخرج أحمد والترمذى عن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أذن الله لعبد فى شئ أفضل من ركعتين أو أكثر من ركعتين و إن البر ليـذرّ فوق رأس العبد ما كان فى الصلاة وماتقرب عبد إلى الله عزّ وجل بأفضل مماخرج منه» والطبرانى عنه : ماأوتى عبد فى هذه الدنيا خيرا له من أن يؤذن له فى ركعتين يصليهما . ومسلم والترمذى عن عائشة رضى الله عنها : ركعتا الفجر خير من الدنيا ومافيها . والبيهقى عن أبى هريرة : لايحافظ على ركعتى الفجر إلا أوّاب . وأبو داود والترمذى عنـه « إذا صلى أحدكم ركعتى الفجر فليضطجع على جنبه الأيمن » والبيهقى عن عائشة « نعم السورتان هما تقرآن فى الركعتين قبل الفجر ـ قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد» . وابن السنى عن والد أبى المليح « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين خفيفتين ثم سمعته يقول وهو جالس : اللهمّ رب جبريل و إسرافيل وميكائيل ومحمد النبىّ صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من النار ثلاث مرات » وأبو داود والترمذى عن أم حبيبة « من

ـ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا وقال تعالى فلاتغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بنى إسرائيل كانت من النساء» وقال النبى صلى الله عليه وسلم «ماذئبان جائعان أرسلا فى زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه» وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم «إن مما أخاف عليكم من بعدى مايفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها فقال رجل يأتى الخير بالشر فسكت حتى ظننا أنه ينزل عليه قال فمسح عنه الرحضاء وقال أين السائل وكأنه حمده وقال إنه لايأتى الخير بالشرّ و إن مما ينبت الربيع

حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرّمه الله على النار . والطبرانى عن ابن عمر : من صلى قبل العصر أربعا حرّمه الله على النار . وأحمد وأبو داود عن عبد الله المزنى : صلوا قبل المغرب ركعتين لمن شاء . وعبد الرزاق عن مكحول مرسلا : من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم كتبتا فى عليين . والبيهقى عن حذيفة : عجلوا الركعتين بعد المغرب لترفعا مع العمل . وابن السنى عن أمّ سلمة رضى الله عنها ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاة المغرب يدخل بيته فيصلى ركعتين ، ثم يقول فيما يدعو : يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك . والشيخان والترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة : من صلى بعد المغرب ستّ ركعات لم يتكلم فيما بينهنّ بسوء عدلن له بعبادة ثنتى عشرة سنة . وابن نصر عن ابن عمر : من صلى ستّ ركعات بعد المغرب قبل أن يتكلم غفر له ذنوب خمسين سنة . وابن نصر عن محمد ابن المنكدر : من صلى مابين الغروب والعشاء فانها صلاة الأوّابين . والشيخان عنه : صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم ركعتين بعد العشاء . قال النووى فى المجموع : يسنّ ركعتان قبل العشاء لخبر : بين كل أذانين صلاة . وقال أيضا فيه : يجب فى سنة الظهر التعيين بالتى قبلها أو التى بعدها وإن لم يؤخر المقدمة وكذا كل صلاة لها سنة قبلها وسنة بعدها . وأبو داود والترمذى عن أبى أيوب : الوتر حق على كلّ مسلم ، فمن أحب أن يوتر بخمس فليفعل ، ومن أحب أن يوتر بثلاث فليفعل ، ومن أحب أن يوتر بواحدة فليفعل . والبيهقى والحاكم : أوتروا بخمس أو بسبع أو تسع أو إحدى عشرة . ومسلم والترمذى عن جابر : من خاف أن لايقوم آخر الليل فليوتر أوّله ، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل ، فانّ صلاة آخر الليل مشهودة وذلك أفضل . والنسائى وابن ماجه : سئلت عائشة رضى الله عنها بأىّ شئ كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت كان يقرأ فى الأولى بسبح اسم ربك الأعلى ، وفى الثانية بقل يا أيها الكافرون ، وفى الثالثة بقل هو الله أحد والمعوّذتين . ويسنّ أن يقرأ فى كل من أولى الوتر بالاخلاص . وأبو داود والترمذى عن أبىّ بن كعب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم فى الوتر قال : سبحان الملك القدّوس ثلاث مرات يرفع فى الثالثة صوته . وهما عن على رضى الله عنه : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى آخر وتره : اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . وأحمد والترمذى عن أبى هريرة : من حافظ على شفعة الضحى غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر . وأبو الشيخ عن أنس : ركعتان من الضحى تعدلان عند الله بحجة وعمرة متقبلتين . وحمويه عن سعد : من سبح سبحة الضحى حولا محولا كتب له براءة من النار . والطبرانى عن أبى هريرة : إنّ فى الجنة بابا يقال له الضحى ، فاذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين الذين كانوا يديمون على صلاة الضحى هذا بابكم فادخلوه برحمة الله . والديلمى عن عبد الله بن جراد : المنافق لايصلى صلاة الضحى ولا يقرأ قل يا أيها الكافرون . والشيخان عن أم هانئ رضى الله عنها قالت : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيتى يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمانى ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير أنه يتمّ الركوع والسجود وذلك ضحى . وابن حبان عن عقبة بن عامر : صلوا ركعتى الضحى بسورتيهما والشمس وضحاها والضحى . وورد فى حديث رواه العقيلى . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد .

مايقتل حبطا أو يلمّ إلا أكلة الخضر أكلت حتى إذا امتدّت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم عادت فأكلت وإنّ هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بحقه ووضعه فى حقه فنعم المعونة ومن أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولايشبع ويكون شهيدا عليه يوم القيامة يعنى مثال كثرة المال كمثال مانبت فى فصل الربيع فانّ بعض النبات حلوة فى فم الدابة وهى حريصة على أكله لكن ربما تأكل كثيرا فيحصل بها داء من كثرة الأكل فتموت من ذلك الداء أو تقرب فان لم تأكل الدابة إلا بقدر مايطيقه كرشها فتأكل وتترك الأكل حتى ينهضم ما أكلت وحتى تبول وتروث روثا وتحصل لها خفة من خروج الروث والبول منها فلا يضرّها الأكل فكذلك من يحصل له مال كثير فان حرص على المال وتكثير الأكل والشرب والتحمل فيقسو قلبه

وورد بعد الضحى : رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الغفور مائة مرة . ومسلم عن أبى هريرة : أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل . والديلمى عن جابر : ركعتان فى جوف الليل تكفران الخطايا . وأحمد والترمذى عن بلال : عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم ومكفرة للسيئات ومطردة للداء عن الجسد . وابن نصر عن حسان ابن عطية مرسلا . ركعتان يركعهما ابن آدم فى جوف الليل الآخر خير له من الدنيا ومافيها ولولا أن أشق على أمتى لفرضتهما عليهم . ومسلم عن جابر : إن فى الليل لساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه وذلك كل ليلة . والشيخان : ينزل ربنا تبارك وتعالى أى أمره كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له ومن يسألنى فأعطيه ومن يستغفرنى فأغفر له ؟ . وأحمد وأبو داود عن أبى هريرة : رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت ، فان أبت نضح فى وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى ، فان أبى نضحت فى وجهه الماء . وأبوداود والنسائى عن أبى هريرة : إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ أهله وصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات . وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها : مامن امرىء يكون له صلاة بالليل فيغلبه عليها نوم إلا كتب الله له أجر صلاته وكان نومه عليه صدقة . والشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص : ياعبد الله لاتكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل .

وحكى اليافعى عن الشيخ أبى بكر الضرير . قال كان فى جوارى شاب حسن يصوم النهار ولايفطر ويقوم الليل ولا ينام فجاءنى يوما وقال يا أستاذى إنى نمت عن وردى الليلة فرأيت كأن محرابى قد انشق وكأنى بجوار قد خرجن من المحراب لم أر أحسن وجها منهن ، وإذا فيهن واحدة شوهاء ، فوهاء ، لم أر أقبح منها منظرا ، فقلت لمن أنتن ولمن هذه ؟ فقلن نحن لياليك التى مضين ، وهذه ليلة نومك ولو مت فى ليلتك هذه لكانت هذه حظك ، فشهق شهقة وخر ميتا . رحمه الله .

وحكى عن بعض الصالحين أنه قال : رأيت سفيان الثورى فى النوم بعد موته ، فقلت له كيف حالك يا أبا سعيد ؟ فأعرض عنى وقال ليس هذا زمان الكنى ، فقلت له كيف حالك ياسفيان فأنشأ يقول :

نظرت إلى ربى عيانا فقال لى ... هنيئا رضائى عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما إذا الليل قد دجى ... بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أى قصر تريده ... وزرنى فانى عنك غير بعيد

وأبو داود والحاكم عن ابن عباس وصححه ابن خزيمة وحسنه الحافظ ابن حجر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب : ياعباس ياعماه ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك ألا أفعل بك ؟ عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره وقديمه وحديثه وخطأه وعمده وصغيره وكبيره وسره وعلانيته : أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشرا ، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ، ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشرا ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا وأنت جالس بين السجدتين ، ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشرا ، ثم ترفع رأسك

وتكبر نفسه ويرى نفسه أفضل من غيره ويحتقر الناس ويؤذيهم ولا يخرج حقوق المال من الزكاة وأداء الكفارات والنذور وإطعام السائلين والأضياف وحقوق الجار فمن كانت هذه صفته لاشك أن المال شر له ويبعده من الجنة ويقربه من النار ومن أدى حقوق المال ولايحتقر الناس ولا يفتخر عليهم ولا يشتغل بجمع المال بحيث يفوت عنه طاعة ويحسن إلى الناس فماله خير له كما قال عليه السلام « نعم المال الصالح للرجل الصالح » فاذا عرفت هذا فقد عرفت أن الخير والشر لا يحصل للرجل من المال بل نفس الرجل التى هى تصرف المال فيما فيه خير له أو شر له قاله المظهرى وقال صلى الله عليه وسلم « لكل أمة فتنة وفتنة أمتى المال » . وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسد فقرك

من

من السجود فتقولها عشرا ، فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة تفعل ذلك فى أربع ركعات ، إن استطعت أن تصليها فى كلّ يوم مرّة فافعل فان لم تفعل ففى كلّ جمعة مرّة ، فان لم تفعل ففى كلّ شهر مرة ، فان لم تفعل ففى كل سنة مرة ، فان لم تفعل ففى عمرك مرة » .

واعلم أن صلاة التسبيح مرغب فيها يستحبّ أن يعتادها فى كلّ حين ولا يتغافل عنها هكذا قال عبد الله بن المبارك وجماعة من العلماء . وقال تاج الدين السبكى صلاة التسبيح من المهمات فى الدين فينبغى الحرص عليها ، فمن سمع ماورد فيها من عظيم الفضل ثم تغافل عنها بتركها فهو متهاون بالدين غير مكترث بأعمال الصالحين لاينبغى أن يعدّ من أهل الخير فى شىء . وقال ابن أبى الصيف اليمنى يستحب صلاة التسبيح عند الزوال يوم الجمعة يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة التكاثر ، وفى الثانية والعصر ، وفى الثالثة الكافرون ، وفى الرابعة الاخلاص ، فاذا كملت الثلثمائة تسبيحة قال بعد فراغه من التشهد وقبل أن يسلم اللهمّ إنى أسألك توفيق أهل الهدى وأعمال أهل اليقين ومناصحة أهل التوبة وعزم أهل الصبر وجدّ أهل الخشية وطلب أهل الرغبة وتعبد أهل الورع وعرفان أهل العلم حتى أخافك . اللهم إنى أسألك مخافة تحجزنى عن معاصيك حتى أعمل بطاعتك عملا أستحقّ به رضاك وحتى أناصحك فى التوبة خوفا منك وحتى أخلص لك النصيحة حيالك وحتى أتوكل عليك فى الأمور كلها وأحسن الظن بك سبحان خالق النور – ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير – برحمتك ياأرحم الراحمين ، ثم يسلم ثم يدعو حاجته . وأبو داود عن زيد بن خالد «من توضأ ثم صلى ركعتين لايسهوفيهما غفر له ماتقدم من ذنبه» ومسلم عن عقبة بن عامر «مامن مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبلا عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة» وقال شيخنا ابن حجر إن ركعتى الوضوء تفوتان إذا أخرهما بحيث لا تنسبان إليه عرفا ، وبحث بعض المتأخرين امتداد وقتهما مابقى الوضوء ويسنّ أن يقرأ فى الأولى – ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك إلى رحيما – وفى الثانية – ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه إلى رحيما – وقيل تفوتان بجفاف الأعضاء . وابن حبان عن أبى ذرّ قال « دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده . فقال: يا أبا ذر إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتان فقم فاركعهما فقمت فركعتهما ثم عدت» وقال النووى فى التحقيق : إن تحية المسجد تفوت بالجلوس مالم يسه أو يجهل وقصر الفصل . وقال شيخنا ابن حجر ويلحق بهما على الأوجه ما لو احتاج للشرب فيقعد له قليلا ثم يأتى بهما . واعلم أن ركعتى التحية والوضوء تتأديان بغيرهما من فرض أو نفل آخر ، وإن لم ينوهما معه ، ثم الأوجه أن لايحصل فضلهما إلا إذا نويتا . ويسن أن يقرأ فى التحية وسنة المغرب وصلاة الاستخارة والإحرام والطواف الكافرون والإخلاص . وقال النووى فى الأذكار : قال بعض أصحابنا من دخل المسجد ولم يتمكن من صلاة التحية لحدث أو شغل أو نحوه فيستحبّ له أن يقول أربع مرات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم . وأبو داود والترمذى عن أبى بكر رضى الله عنه « ليس عبد يذنب ذنبا فيقوم ويتوضأ ويصلى ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر له» غفر الله ذنوبنا وقبل توبتنا . وأحمد عن أبى هريرة « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » . والديلمى عن ابن عباس : العيدان واجبان على كلّ حالم من ذكر أو أنثى . وصح أيضا أنه صلى الله عليه وسلم كان يواظب على صلاة العيدين . فهى سنة مؤكدة عندنا واجبة كالأعيان عندأبى حنيفة ، ويكفر من أنكرمشروعيتها .

وإن لم تفعل ملأت يدك شغلا ولم أسدّ فقرك . وحكى أن رابعة العدوية رضى الله عنها كانت تقول لكل يوم وليلة هذه ليلتى التى أموت فيها فلا تنام حتى تصبح وتقول للنهار كذا فلا تنام حتى تمسى . وقال أبو بكر ابن عياش ختمت القرآن فى هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة وصام ابن المعتمر أربعين سنة وقام ليلها ولم يضع سليمان التيمى جنبه عشرين سنة . وصلى عبد القادر الجيلانى رحمة الله عليه الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة ولزم الغزالى الانقطاع ووظائف أوقاته على وظائف الخير بحيث لايمضى لحظة منها إلا فى طاعة من التلاوة والتدريس والنظر فى الأحاديث خصوصا البخارى، وإدامة الصيام والتهجد ومجالسة أهل القلوب إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى ولم يضع النووى رحمه الله جنبه على الأرض نحو سنتين

وأبو داود عن زيد بن ثابت « صلاة أحدكم فى بيته أفضل من صلاته فى مسجدى هذا إلا المكتوبة » . وابن أبى شيبة عن رجل « تطوع الرجل فى بيته يزيد على تطوعه عند الناس كفضل صلاة الرجل فى جماعة على صلاته وحده » وابن عساكر عن جابر « من صلى ركعتين فى خلاء لا يراه إلا الله والملائكة كتب له براءة من النار » كتب الله لنا البراءة من النار وعذاب القبر آمين . وفى كتاب ابن السنى عن أبى أمامة قال « ما دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دبر كل صلاة مكتوبة ولا تطوع إلا سمعته يقول اللهمّ اغفر لى ذنوبى وخطاياى كلها » إلى آخره .

[فائدة] ومن البدع المذمومة التى يأثم فاعلها ويجب على ولاة الأمر منع فاعلها صلاة الرغائب اثنتا عشرة ركعة بين العشاءين ليلة أول جمعة من رجب ، وصلاة ليلة نصف شعبان مائة ركعة ، وصلاة آخر جمعة رمضان سبع عشرة ركعة بنية قضاء الصلوات الخمس التى لم يقضه ، وصلاة يوم عاشوراء أربع ركعات أو أكثر ، وصلاة الأسبوع . أما أحاديثها فموضوعة باطلة ، ولا تغتر بمن ذكرها ، وفقنا الله لاجتلاب الفضائل واجتناب الرذائل .

باب صلاة الجماعة

أخرج الشيخان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة الرجل فى جماعة تزيد على صلاته فى بيته وصلاته فى سوقه خمسا وعشرين درجة ، وذلك أن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفع الله له بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد ، فإذا دخل المسجد كان فى صلاة ما كانت الصلاة تحبسه وتصلى الملائكة عليه ما دام فى مجلسه الذى صلى فيه يقولون اللهمّ اغفر له اللهمّ ارحمه اللهمّ تب عليه ما لم يؤذ منه أو يحدث فيه » وفى رواية لهما « صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » وأحمد وابن حبان عن أبى ذر « أن الرجل إذا صلى مع الامام حتى ينصرف الامام كتب له قيام ليلة » والطبرانى والضياء عن أنس « من مشى إلى صلاة مكتوبة فى الجماعة فهى كحجة ، ومن مشى إلى صلاة تطوع فهى كعمرة نافلة » والترمذى عن أنس « من صلى أربعين يوما فى جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق » ومسلم وأحمد عن عثمان رضى الله عنه « من صلى العشاء فى جماعة يدرك التكبيرة الأولى كان كقيام نصف ليلة ، ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما صلى الليل كله » وابن ماجه عن عمر رضى الله عنه « من صلى فى جماعة أربعين ليلة لا تفوته الركعة الأولى من صلاة العشاء كتب الله له بها عتقا من النار » والطبرانى عن أبى عبيدة « ليس من الصلاة صلاة أفضل من صلاة الفجر يوم الجمعة فى الجماعة وما أحسب من شهدها منكم إلا مغفورا له » وهو ومالك عن أبى بكر بن سليمان بن أبى حثمة قال : إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد سليمان بن أبى حثمة فى صلاة الصبح ، وإن عمر عمد إلى السوق ومسكن سليمان بين المسجد والسوق فمرّ على الشفاء أم سليمان ، فقال لها لم أر سليمان فى الصبح ، فقالت إنه بات يصلى فغلبته عيناه ، فقال عمر لأن أشهد صلاة الصبح فى جماعة أحب إلىّ من أن أقوم ليلة . وأحمد وأبو داود عن أبىّ « إن هاتين الصلاتين يعنى العشاء والصبح من أثقل الصلاة على المنافقين ولو يعلمون فضل ما فيهما لأتوهما ولو حبوا ، عليكم بالصف المقدم فانه على مثل صف الملائكة ولو تعلمون فضيلته لابتدرتموه ، وصلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده ، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل

وكان لا يضيع له وقتا فى ليل ولا نهار إلا فى وظيفة من الاشتغال بالعلم حتى فى ذهابه فى الطريق ومجيئه يشتغل فى تكرار ومطالعة وحكاياتهم فى المبادرة إلى الخيرات كثيرة يكفى من وفقه الله ما ذكرنا وكل ذلك من نتيجة قصر الأمل. اعلم أن مما يعينك على ذكر الموت أن تذكر من مضى من أقاربك وإخوانك وأصحابك وأترابك الذين مضوا قبلك كانوا يحرصون حرصك ويسعون سعيك ويعملون فى الدنيا عملك فقصفت المنون أعناقهم وقلعت أعراقهم وقصمت أصلابهم وفجعت فيهم أحبابهم فأفردوا فى قبورهم موحشة وصاروا جيفا مدهشة والأحداق سالت والألوان حالت والفصاحة زالت والرءوس تغيرت ومالت مع فتان يقعدهم يسألهم عما كانوا يعتقدون ثم يكشف لهم من الجنة والنار مقعدهم إلى يوم يبعثون فيرون أرضا

وما كان أكثر فهو أحبّ إلى الله » وأبو داود والحاكم عن يزيد بن الأسود : إذا صلى أحدكم فى رحله ثم أدرك الامام ولم يصل فليصل معه فانها له نافلة . والشيخان عن أبى هريرة : لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيؤمّ الناس ثم أنطلق معى برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار . وأحمد والطبرانى عن معاذ بن أنس : الجفاء كل الجفاء والكفر والنفاق من يسمع منادى الله ينادى الصلاة فلا يجيبه . وأبو داود عن ابن أمّ مكتوم أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال يارسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر شاسع الدار أى بعيدها ولى قائد لا يلازمنى فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى ؟ فقال هل تسمع النداء ؟ قال نعم ، قال فأجب فانى لا أجد لك رخصة . وهو من سمع المنادى بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر ، قيل وما العذر ؟ قال خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التى صلى يعنى فى بيته . وسئل ابن عباس عمن يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلى فى الجماعة ولا يجمع ؟ فقال إن مات هذا فهو فى النار .

وروى ابن عمر رضى الله عنهما أن عمر خرج إلى بستان فرجع وقد صلى الناس العصر . فقال ـ إنا لله وإنا إليه راجعون ـ فاتتنى صلاة العصر فى الجماعة أشهدكم أن حائطى على المساكين صدقة أى ليكون كفارة لما ضيع . قال حاتم الأصم فاتتنى مرة صلاة الجماعة ، فعزانى أبو إسحاق النجارى وحده . ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف نفس ، لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا ، وأنه لو مات لى الأبناء جميعا لكان أهون علىّ من فوات هذه الصلاة فى الجماعة .

وحكى الناشرى عن محمد بن سماعة أنه قال أقمت أربعين سنة لم تفتنى التكبيرة الأولى إلا يوما واحدا ماتت فيه أمى ففاتتنى صلاة واحدة عن الجماعة فقمت فصليت خمسا وعشرين صلاة أريد بذلك التضعيف ، فغلبتنى عينى فأتانى آت . فقال يامحمد قد صليت خمسا وعشرين ، ولكن كيف لك بتأمين الملائكة . وأخرج الطبرانى من أمّ قوما فليتق الله وليعلم أنه ضامن مسئول لما ضمن وإن أحسن كان له من الأجر مثل أجر من صلى خلفه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا وما كان من نقص فهو عليه . وأبو الشيخ عن أبى هريرة الرحمة تنزل على الامام ثم من على يمينه الأوّل فالأوّل . والطبرانى عن طلحة : أيما رجل أمّ قوما وهم له كارهون لم تجاوز صلاته أذنيه . وهو عن مرثد الغنوى : إن سركم أن تقبل صلاتكم فليؤمكم علماؤكم فانهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم . ومسلم عن ابن مسعود : يؤمّ القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فان كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فان كانوا فى السنة سواء فأقدمهم هجرة فان كانوا فى الهجرة سواء فأقدمهم سنا ولا يؤمنّ رجل رجلا فى سلطانه ولا يجلس فى بيته على تكرمته إلا باذنه . والعقيلى عن ابن عمر من أمّ قوما وفيهم من هو أقرأ منه لكتاب الله وأعلم لم يزل فى سفال إلى يوم القيامة . ومسلم عن أبى هريرة : إذا ثوّب للصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون وائتوها وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا فان أحدكم إذا كان يعمد إلى الصلاة فهو فى الصلاة . وأحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم عن البراء إن الله تعالى وملائكته يصلون على الصف الأوّل . وأحمد عن أبى أمامة : إن الله وملائكته يصلون على الصف الأوّل ، فسوّوا صفوفكم وحاذوا بين مناكبكم ، ولينوا بأيدى إخوانكم وسدوا الخلل فان

مبدلة وسماء مشققة
وشمسا مكورة ونجوما
منكدرة وملائكة
منزلة وأهوالا مذعرة
وصحفا منشرة ونارا
زافرة وجنة مزخرفة
فعد نفسك منهم
ولا تغفل عن زاد معادك
ولا تهمل نفسك سدى
كالبهائم ترتع ولا تدرى
ـذرهم يأكلوا ويتمتعوا
ويلههم الأمل فسوف
يعلمون ، إذ الأغلال
فى أعناقهم والسلاسل
يسحبون فى الحميم ثم
فى النار يسجرون ـ
ياباني القصر الكبير
بين الدساكر والقصور
ومجرد الجيش الذى
ملأ البسيطة والصدور
ومدوّخ الأرض التى
أعيت على مرّ الدهور
أما فرغت فلا تدع
بنيان قبرك فى القبور
وانظر إليه تراه كيـ
ف إليك معترضا بشبر
واذكر رقادك وسطه
تحت الجنادل والصخور
قد بددت تلك الجيو
ش وغيرت تلك الأمور
واعتضت من لين الحر
ير خشونة الحجر الكبير
وتركت من تهنا به
لا مال ويك ولا عشير
حيران تعلن بالأسى

الشيطان يدخل فيما بينكم مثل الحذف . وأحمد عن عائشة : إن الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف ، ومن سدّ فرجة رفعه الله بها درجة . وفى رواية من سد فرجة غفر له . والنسائى والحاكم عن ابن عمر من وصل صفا وصله الله ، ومن قطع صفا قطعه الله . والطبرانى عن وابصة : أيها المصلى وحده ألا وصلت إلى الصف فدخلت معهم أوجررت إليك رجلا إن ضاق بك المكان فقام معك أعد صلاتك فانه لاصلاة لك وابن ماجه : لا صلاة للذى خلف الصف . والشيخان عن أبى هريرة : أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الامام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار . وابن قانع عن شيبان : من رفع رأسه قبل الامام أو وضعه فلا صلاة له . وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأوّل حتى يؤخرهم الله فى النار . وهو وابنا ماجه وحبان عنها : إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف .

[تنبيه] إن الجماعة فى أداء مكتوبات الرجال الأحرار المقيمين فرض كفاية على الأرجح فى مذهبنا وفرض عين عند أحمد بن حنبل وعطاء والأوزاعى وأبى ثور وابن المنذر وابن خزيمة وشرط لصحة الصلاة عند داود وينبغى تسوية الصف وهى سدّ الفرج فيه وإتمام الصف الأول فالأوّل فتسويته مستحب فى تأدية الجماعة وشرط لنيل فضلها وصلاة من تركها صحيحة على الأصح لكن جزم ابن حزم بوجوبها وببطلان صلاة تاركها وعدم مسابقة الامام برفع الرأس أوقيام أوهوىّ قبله فمسابقته مكروهة على المرجح ، ويسنّ العود إلى الامام إن كان باقيا فى ذلك الركن وحرام على ماجزم به بعض المتأخرين والاعتناء بالوقوف فى الصف الأول فالمحافظة عليه أولى من المبادرة إلى الاحرام لادراك الركوع مع الامام فى غير الركعة الأخيرة.

[فرع] يندب قطع النافلة وقلب فريضة مؤداة نفلا لخوف فوت جماعة .

فصل

شروط الاقتداء عدم تقدمه على إمامه بعقب ونية الاقتداء بالامام الحاضر مع تحرم وشرط فى جمعة نية إمامة معه وهى سنة فى غيرها وعلمه بانتقالات الامام واجتماعهما بمكان فلو كانا فى بناءين شرط عدم حائل أووقوف واحد حذاء منفذ فيه ولو وقف فى علو وإمامه فى سفل أوعكسه لم يشترط محاذاة بعض بدنه بعض بدنه على طريق العراقيين التى رجحها النووى ، وتوافق صلاتيهما نظما لانية وعددا وموافقة فى سنن تفحش مخالفة فيها فعلا وتركا كتشهد أول وقنوت وتبعية بأن يتأخر إحرامه وأن لا يتعمد مع علم تحريم تقدما بتمام ركنين فعليين ولو قصيرين أو تخلفا بهما بلاعذر فان خالف بطلت صلاته أو بأربعة طويلة بعذر أوجبه نحو بطء أوشك فى قراءة لاوسوسة فليوافق فى الرابع ويقطع مسبوق الفاتحة فان قرأ ففاته الركوع لغت ركعته وتخلف بلا عذر فان اشتغل بسنة أو سكت أو استمع قراءة الامام قرأ وجوبا قدرها بعد ركوع الامام وعذر فيتخلف ويدرك الركعة مالم يسبق بأكثر من ثلاثة أركان طويلة على ماقاله الشيخان كالبغوى فان ركع بدون قراءة قدرها بطلت صلاته ولا يصح اقتداؤه بمن يعتقد بطلان صلاته ولا قارئ بأمى يخل بحرف من الفاتحة كأرتّ بألثغ ولو اقتدى بمن ظنه قارئا أو غير مأموم فبان أميا أو مأموما أعاد وكذا بمن جهله فى الجهرية إن أسرّ لا إن بان ذا حدث أونجاسة خفية على المأموم بحيث لوتأملها لم يرها

لهفان تدعو بالثبور
ودعيت باسمك بعدما
قد كنت تدعى بالأمير

[فصل]

فى سكرات الموت

قال الله تعالى – كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور – وقال تعالى – وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد – روى البخارى فى صحيحه أن عائشة رضى الله عنها قالت «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين يديه علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ثم نصب يده فجعل يقول فى الرفيق الأعلى حتى قبض» وفى صحيحه «لما ثقل صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب فجعلت فاطمة رضى الله عنها تقول وا كرب أبتاه فقال صلى الله عليه وسلم لا كرب على أبيك بعد اليوم» وروى أن النبى صلى

ويكره

CODE NO.	ORDER NO.	ACQUISITIONS DEPARTMENT COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES 535 West 114th St. New York, N. Y. 10027	L. C. CARD NO.
576	14592 F		

AL-MALIBARI, ZAYN AL-DIN IBN 'ABD AL-'AZIZ.
IRSHAD AL-'IBAD ILA SABIL AL-RASHAD WA-BI-HAMISHIH MUKHTASAR...AHADITH WA-ATHAR... CAIRO, 1939 BEIRUT, DAR AL-MA'RIFAH, 1977?

LIST #33

DEALER
SULAIMAN

RECOMMENDED BY

LIST PRICE	DATE ORDERED
$3.75	11/14/77

RIDER COPY TITLE NOTED ABOVE HAS BEEN ADDED TO LIBRARY

GC LC42 42-7 48-52 53-7 58 PS

ويكره اقتداء بفاسق ومبتدع وإن لم يوجد أحد سواهما وكره تعمد مقارنة الامام بالأركان حتى السلام والتخلف عنه إلى فراغ الركن وانفراد عن الصف ووقوف الذكر الفرد عن يسار الامام ووراءه ومحاذياله ومتأخرا لا كثيرا .

أعلم أن الجماعة تتأدى أي يسقط إثم تركها مع هذه المكروهات لكن لايحصل الثواب عليها كمع سائر مايكره من حيث الجماعة ؛ وقال بعضهم : انتفاء الفضيلة يلزمه الخروج عن المتابعة حتى يصير كالمنفرد ولا تصح له الجماعة .

باب صلاة الجمعة

قال الله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فاذاقضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ـ .

وأخرج القضاعى وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الجمعة حج الفقراء » والشافعى وأحمد عن سعد بن عبادة « سيد الأيام عند الله يوم الجمعة وهو أعظم من يوم النحر ويوم الفطر » وفيه خمس خصال : فيه خلق الله آدم وفيه أهبط من الجنة إلى الأرض وفيه توفى وفيه ساعة لايسأل العبد فيها شيئا إلا أعطاه إياه مالم يسأل إثما أوقطيعة رحم وفيه تقوم الساعة ومامن ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا ريح ولا جبل ولا حجر إلا وهو مشفق من يوم الجمعة ؛ ومسلم وأبو داود عن أبى موسى الأشعرى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن ساعة الاجابة ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة » وأحمد والترمذى عن ابن عمر « مامن مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله تعالى فتنة القبر » أعاذنا الله منها ، والطبرانى عن أبى سعيد « إن الله كتب عليكم الجمعة فى مقامى هذا فى ساعتى هذه فى شهرى هذا فى عامى هذا إلى يوم القيامة من تركها بغير عذر مع إمام عادل أو إمام جائر فلا جمع له شمله ولا بورك له فى أمره ألا ولا صلاة له ألا ولا حج له ألا ولا بر له ألا ولا صدقة له » . وأبوداود والحاكم عن طارق بن شهاب « الجمعة حق واجب على كل مسلم فى جماعة إلاعلى أربعة عبد مملوك أو امرأة أوصبى أو مريض » وأحمد ومسلم عن أبى هريرة « من توضأ يوم الجمعة فأحسن الوضوء ؛ ثم أتى الجمعة واستمع وأنصت غفر له مابينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا » وأحمد والحاكم عن أبى الجعد « من ترك ثلاث جمع متهاونا بها طبع الله على قلبه » والطبرانى عن أسامة بن زيد « من ترك ثلاث جمعات من غير عذر كتب من المنافقين » .

وحكى الدينورى عن الأوزاعى قال : كان عندنا صياد وكان يخرج فى الجمعة لايمنعه مكان الجمعة من الخروج فخسف به وببغلته فى الأرض فخرج الناس وقد ذهبت بغلته فى الأرض فلم يبق منها إلا أذنها وذنبها .

وحكى ابن أبى شيبة عن مجاهد : أن قوما خرجوا فى سفر حين حضرت الجمعة فاضطرم عليهم خباؤهم نارا من غير نار يرونها . قال اليافعى : بلغنا أن الموتى لا يعذبون ليلة الجمعة تشريفا لهذا الوقت .

وحكى الأوزاعى عن ميسرة بن جلبس : أنه مر بمقابر باب توماء وقائد يقوده ، وكان مكفوفا

الله عليه وسلم دخل على مريض فقال إنى لأعلم مايلقى ما فيه عرق إلاوهو يألم بالموت على حدته . ويروى عن مكحول عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لوأن شعرة من شعرات الميت وقعت على أهل السموات والأرض لماتوا باذن الله تعالى وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم يا أمير المؤمنين هو كغصن كثير الشوك أدخل فى جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى وكان على رضى الله عنه يحض على القتال فى سبيل الله ويقول إن لم تقتلوا تموتوا والذى نفس محمد بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش . وقال شداد بن أوس الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ولو أن الميت

فقال : السلام عليكم أهل القبور أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع ورحمنا الله وإياكم وغفر لنا ولكم وردّ الروح فى رجل منهم فأجابه ، فقال طوبى لكم يا أهل الدنيا حين تحجون فى الشهر أربع مرات . قال وإلى أين يرحمك الله ؟ قال إلى الجمعة أفما تعلمون أنها حجة مبرورة متقبلة .

[تنبيهان : أحدهما] أن أداء صلاة الجمعة مع الجماعة على غير ذوى الأعذار فرض عين إجماعا فمن استحلّ تركها وهو مخالط للمسلمين كفر ، ومن ثم لو قال إنسان أصلى ظهرا لا جمعة قتل على الأصحّ .

وثانيهما : أنه يحرم على من تلزمه الجمعة كمقيم لم يتوطن إنشاء سفر بعد فجرها ولو للطاعة . وأخرج أحمد وابن حبان عن ابن عباس « اغتسلوا يوم الجمعة واغسلوا رءوسكم وإن لم تكونوا جنبا ومسوا من الطيب » وابن أبى شيبة عن أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه « من اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه وخطاياه فإذا أخذ فى المشى كتب له بكلّ خطوة عشرون حسنة » والديلمى عن أبى هريرة « الغسل فى هذه الأيام واجب يوم الجمعة ويوم الفطر ويوم النحر ويوم عرفة » وأبو داود والترمذى عن أوس بن أنس « من غسل واغتسل ثم بكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام واستمع فأنصت ولم يلغ كان له بكلّ خطوة يخطوها من بيته إلى المسجد عمل سنة أجر صيامها وقيامها » وأحمد وأبو داود عن أبى سعيد « من اغتسل يوم الجمعة واستاك ومسّ من طيب إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ، ثم خرج حتى يأتى المسجد ولم يتخط رقاب الناس ، ثم ركع ماشاء الله أن يركع ، ثم أنصت إذا خرج الامام فلم يتكلم حتى يفرغ من صلاته كان كفارة لما بينها وبين الجمعة التى قبلها » والبزار : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل الخروج إلى الصلاة . والطبرانى عن أبى الدرداء « إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة » والشيخان عن أبى هريرة « إذا كان يوم الجمعة كان على كلّ باب من أبواب المساجد ملائكة يكتبون الناس على قدر منازلهم الأوّل فالأوّل ، فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر . ومثل المهجر كمثل الذى يهدى بدنة ، ثم كالذى يهدى بقرة ، ثم كالذى يهدى الكبش ، ثم كالذى يهدى الدجاجة ، ثم كالذى يهدى البيضة » وأحمد والطبرانى عن الأرقم « إن الذى يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ويفرق بين اثنين بعد خروج الامام كالجارّ قصبه » أى أمعاءه « فى النار » والترمذى وابن ماجه « من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا إلى جهنم » وأحمد وأبو داود عن سمرة « احضروا الجمعة وادنوا من الامام فان الرجل لايزال يتباعد حتى يؤخر فى الجنة وإن دخلها » وأحمد عن ابن عباس « مثل الذى يتكلم يوم الجمعة والامام يخطب مثل الحمار يحمل أسفارا والذى يقول له أنصت لاجمعة له » .

وأبو داود والترمذى عن معاذ بن أنس : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحبوة يوم الجمعة والامام يخطب . وابن أبى شيبة عن كعب قال « الصدقة تضاعف يوم الجمعة » وابن زنجويه عن المسيب بن رافع قال « من عمل خيرا فى يوم الجمعة ضعف له بعشرة أضعاف فى سائر الأيام ؛ ومن عمل شرّا فمثل ذلك » والبيهقى عن أبى سعيد « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له ما بينه وبين البيت العتيق » وهو عن أبى هريرة « من قرأ ليلة الجمعة حمّ الدخان ويسّ أصبح مغفورا له » وابن زنجويه عن وهب بن منبه قال « من قرأ ليلة الجمعة سورة البقرة وآل عمران كان له نور ما بين غريبا وعجيبا » وغريبا العرش ، وعجيبا أسفل الأرضين .

نثر فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم ويروى أن إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه لما مات قال الله عز وجل له كيف وجدت الموت قال كسفود جعل فى صوف رطب ثم جذب فقال أما إنا قد هونا عليك . وعن موسى صلوات الله عليه أنه لما صار روحه إلى الله عز وجل قال له ياموسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسى كشاة حية بيد القصاب تسلخ . وذكر أبو بكر بن أبى شيبة فى مسنده عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج فانهم كانت فيهم أعاجيب ثم أنشأ يحدث قال خرجت طائفة فأتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت قال ففعلوا فبينما هم كذلك إذ أطلع رجل رأسه من قبر تلاشى بين عينيه

وابن

وابن مردويه عن عائشة رضى الله عنها : ألا أخبركم بسورة ملأت عظمتها مابين السماء والأرض ولكاتبها من الأجر مثل ذلك ، ومن قرأها يوم الجمعة غفر له مابينه و بين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه بعثه الله أىّ الليل شاء ، وهى سورة أصحاب الكهف. والدارمى عن مكحول: من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلت عليه الملائكة إلى الليل وهو عن كعب : اقرءوا سورة هود يوم الجمعة. والطبرانى عن أبى أمامة : من قرأ حمّ الدخان فى ليلة جمعة أو يوم جمعة بنى الله له بيتا فى الجنة . وابن أبى شيبة عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما : من قرأ بعد الجمعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبع مرات حفظ مابينه و بين الجمعة الأخرى . وفى رواية ضعيفة : غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وأعطى من الأجر بعدد كل من آمن بالله واليوم الآخر . وابن السنى عن أنس : من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله تعالى له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر. وهو عن ابن عباس : من قال بعد مايقضى الجمعة سبحان الله العظيم و بحمده مائة مرة غفر الله تعالى له مائة ألف ذنب ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب . والخطيب عن جابر : لودعى بهذا الدعاء على شئ بين المشرق والمغرب فى ساعة من يوم الجمعة يعنى ساعة الاجابة إلا استجيب لصاحبه : لا إله إلا أنت ياحنان يامنان يابديع السموات والأرض ياذا الجلال والاكرام . والبيهقى عن أبى هريرة : أكثروا من الصلاة علىّ فى كل يوم جمعة فانّ صلاة أمتى تعرض علىّ فى كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم علىّ صلاة كان أقربهم إلىّ منزلة . والدارقطنى وحسنه العراقى : من صلى علىّ يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة قيل يارسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال تقول : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبى الأمى وتعقد واحدة. وأبونعيم : من صلى علىّ يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو قسم ذلك النور بين الخلق كلهم لوسعهم . والبيهقى : أكثروا من الصلاة علىّ يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا أوشفيعا يوم القيامة . وفى رواية : من صلى صلاة العصر من يوم الجمعة فقال قبل أن يقوم من مكانه : اللهم صلّ على محمد النبى الأمى وعلى آله وسلم تسليما ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين عاما وكتبت له عبادة ثمانين سنة . والبيهقى : أكثروا من الصلاة علىّ ليلة الجمعة ويوم الجمعة فمن صلى علىّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا . وأبوداود والنسائى : إنّ من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا علىّ من الصلاة فيه فانّ صلاتكم معروضة علىّ .

وحكى أنّ خلاد بن كثير كان فى النزع فوجد تحت رأسه رقعة مكتوب فيها هذه براءة من النار لخلاد بن كثير فسألوا أهله ما كان عمله ؟ فقال أهله كان يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم كل يوم جمعة ألف مرة : اللهم صلّ على محمد النبى الأمى . نسأل الله القدير بجاه النبى البشير أن يكتب لنا البراءة من النار والخلود فى دار القرار .

فصل • فى شروط صحة الجمعة

شروط صحتها ستة : وقوعها جماعة بنية إمامة واقتداء و بأربعين مكلفا ذكرا حرًّا متوطنا

أثر السجود فقال ياهؤلاء ما أردتم إلىّ فوالله لقد متّ منذ مائة سنة فما سكنت عنى حرارة الموت حتى الآن فادعوا الله أن يعيدنى كما كنت وكان عمرو ابن العاص رضى الله عنه يقول لوددت لو أنى رأيت رجلا لبيبا حازما قد نزل به الموت فيخبرنى عن الموت فلما أنزل به الموت قيل له يا أبا عبدالله كنت تقول أيام حياتك لوددت أنى رأيت رجلا لبيبا حازما قد نزل به الموت يخبرنى عن الموت وأنت ذلك الرجل اللبيب الحازم وقد نزل بك الموت فأخبرنا عنه فقال أجد كأنّ السموات انطبقن على الأرض وأنا بينهما وكأنّ نفسى تخرج على ثقب إبرة . ويروى أنّ ابراهيم الخليل قال لملك الموت هل تستطيع أن تريني الصورة التى تقبض فيها روح الفاجر ؟ قال أنطيق ذلك ؟ قال بلى فأعرض ثم التفت فاذا هو رجل أسود الثياب قائم الشعر منتن الريح يخرج من فيه ومناخره

و بأبنية مجتمعة و وقوع الصلاة كلها فى وقت ظهر وعدم تعـدّد إلا لعسر اجتماع وتقديم خطبتين بالعربية وإن لم يفهموا . وأركانهما : حمد الله وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بلفظهما ووصية بالتقوى ولوأطيعوا الله فى كل وقراءة آية مفهمة فى إحداهما ودعاء للمؤمنين بأخروى فى ثانية وشرط جلوس بينهما بطمأنينة وموالاة عرفا بين أركانهما و بينهما و بين الصلاة وطهر وستر وقيام لقادر ويجب إسماع الأربعين الذى تنعقد بهم الجمعة أركانهما وأن يتأخر إحرام من لا تنعقد بهم الجمعة عن إحرام من تنعقد بهم .

[فرع] من له مسكنان ببلدين فالعبرة بما كثرت فيه إقامته فيما فيه أهله وماله فان استويا فى الكل فبالمحل الذى هو فيه حالة إقامة الجمعة .

باب مايحرم على الرجل من استعمال حرير صرف

وحلىّ نقد ومن تشبه بالنساء

أخرج أبوداود والنسائى عن علىّ رضى الله عنه «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حريرا فجعله عن (١) يمينه وذهبا فجعله عن يساره ثم قال : إن هذين حرام على ذكور أمتى» . والحاكم : من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ، ومن شرب الخمر فى الدنيا لم يشرب به فى الآخرة ، ومن شرب فى آنية الذهب والفضة لم يشرب بها فى الآخرة ، ثم قال لباس أهل الجنة أى الحرير ، وشراب أهل الجنة أى الخمر ، وآنية أهل الجنة أى آنية النقد . والشيخان : لا تلبسوا الحرير ، فانه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة . وروى النسائى . قال ابن الزبير : من لبسه فى الدنيا لم يدخل الجنة . قال الله تعالى – ولباسهم فيها حرير – وأحمد والشيخان وأبوداود والنسائى وابن ماجه عن عمر رضى الله عنه : إنما يلبس الحرير فى الدنيا من لاخلاق له فى الآخرة . والبزار عن حذيفة موقوفا : من لبس ثوب حرير ألبسه الله ثوبا من النار يوما ليس من أيامكم ، ولكن من أيام الله الطوال . وأحمد : لايستمتع بالحرير من يرجو أيام الله : أى لقاءه وحسابه . وهو : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريرا ولاذهبا . والنسائى : أنّ رجلا قدم من نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه خاتم من ذهب فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « إنك جئتنى وفى يدك جمرة من نار » ومسلم : أنه صلى الله عليه وسلم رأى خاتما من ذهب فى يد رجل فنزعه وطرحه وقال « يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده» فقيل للرجل بعد ماذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ خاتمك انتفع به . فقال : والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم . والبخارى «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء » والأول جمع مخنث بفتح النون وكسرها ، وهو من فيه الانخناث أى التكسر والتثنى كما تفعله النساء وإن لم يفعل الفاحشة الكبرى . والثانى المتشبهات من النساء بالرجال . وأبو داود والنسائى « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل» والطبرانى : أن امرأة مرّت على رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدة قوسا . فقال « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال » وأبو داود

(١) هذه الرواية فيها « عن » والمعروف المروى «فى» فى الموضعين اه مصححه .

لهب النـار والدخان فغشى على ابراهيم ثم أفاق وقـد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال ياملك الموت لو لم يلق الفاجر إلا صورة وجهك لـكان ذلك حسبه . وروى عن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : إذا بقى عـلى المؤمن من ذنوبه شئ لم يبلغه عمله شدّد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدّته درجته فى الجنة وإن الـكافر إذا كان عمـله معروفا فى الدنيا هوّن عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فى الدنيا ثم يصـير إلى النار . وروى البخارى أنّ عمر رضى الله عنه قال لوأنّ لى طـلاع الأرض ذهبا لافتديت به من قبل أن أراه . وقيل لم يلق ابن آدم أشـدّ من الموت وما بعده أشدّ منه . وفى الوسـيط للواحـدى باسناده عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الأمراض والأوجاع كلها بريد الموت ورسل الموت فاذا حان الأجل أتى ملك

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابال هذا ؟ قالوا يتشبه بالنساء . فأمر به فنفى إلى البقيع .

وحكى عن القطب عبد القادر الجيلانى رحمه الله أنه عطش فى بعض سياحاته فرأى إناء من فضة معلقا فى السماء فأدلى عليه فى سحابة وسمع صوتا داخلها اشرب يا عبد القادر قد أبحنا لك المحرّمات وأسقطنا عنك الواجبات . فقال رضى الله عنه ونفعنا به اجتنبنا ياملعون لست أكرم على الله من نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانه لم يفعل له شئ من ذلك .

[تنبيهات : أحدها] أنه يحرم على الرجال استعمال الحرير وما أكثره وزنا منه لا ظهورا ولو باتخاذه بطانة وبافتراشه بلاحائل أو اتخاذه سترا ، وكذا تزيين البيوت والمساجد به أو بصورة وبغيرها مكروه وكالحرير المزعفر والمعصفر .

[فرع] لو لم يجد الرجل إلا ثوب حرير لزمته الصلاة فيه . قال الأسنوى يلزم قطع مازاد من الحرير على قدر العورة إن لم ينقص أكثر من أجرة الثوب ، ويقدم الثوب المتنجس على الحرير فى ستر العورة فى غير الصلاة ، ويحرم إنزال ثوبه أو إزاره عن كعبيه بقصد الخيلاء وإلا كره . وثانيها أنه يحرم عليه استعمال حلىّ ذهب أو فضة إلا خاتما من فضة فيجوز بل يسنّ ، ويحرم تمويهه بالذهب وان لم يحصل منه شئ بالعرض على النار ، وكذا جعل شئ من ذهب داخل فصه الذى غطى بنحو بلور صاف ، ويحرم على المكلف ولو امرأة استعمال وتزيين باناء وإن صغر جدا ومكحلة ومرود وخلال وما يخرج به وسخ الأذن من ذهب أو فضة وكذا اقتناؤها . وثالثها أن تشبه الرجال بالنساء فيما يختص بهن عرفا غالبا من لباس أو كلام أوحركة وعكسه حرام ، فمن التشبه المحرّم خضب الرجل يده ورجله بالحناء بغير عذر ، واستعمال الرجل الثياب والكوافى التى فيها خيوط القصب ولو يسيرا لأنه من زينة النساء المختصة بهن ، فمن فعله من الرجال صار متشبها بهن ملعونا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ومحروما من حلية الجنة . ألبسنا الله تعالى بمنه وكرمه حلية الجنة .

باب عيادة المريض

أخرج مسلم: إن الله تعالى يقول يوم القيامة : يابن آدم مرضت فلم تعدنى . قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ . قال أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده أى لوجدت عنده ثوابى الذى لا نهاية لعظمه . والطبرانى « إن العائد يظله الله بخمسة وسبعين ألف ملك » والبخارى فى الأدب « ثلاث كلهنّ حقّ على كل مسلم : عيادة المريض وشهود الجنازة وتشميت العاطس إذا حمد الله تعالى» وأحمد «إذا عاد الرجل أخاه المسلم فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى وإن كان عشيا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح » .

[تنبيه] إن العيادة مطلوبة إجماعا ، وأنها سنة عين عند الجمهور وفرض كفاية عند بعض قدماء المالكية ، وصرح البخارى بوجوبها ، ولا يسنّ عيادة الفاسق المتجاهر بفسقه بل يكره أو يحرم لتصريحهم بحرمة إيناسه ولو بالجلوس معه، ويكره عيادة ذى بدعة دينية لامن عالم يترتب على عيادته له إغراء العامة على اتباعه وحسن طريقته فيحرم عليه ذلك ، وضابط المرض الذى

الموت بنفسه فقال أيها العبد كم خبر بعد خبر وكم رسول بعد رسول وكم بريد بعد بريد أنا الخبر ليس بعدى خبر وأنا الرسول ليس بعدى رسول أجب ربك طائعا أو مكرها فاذا قبض روحه وتصارخوا عليه قال على من تصرخون وعلى من تبكون ؟ فوالله ما ظلمت له أجلا ولا أكلت له رزقا بل دعاه ربه فليبك الباكى على نفسه فان لى فيكم عودات وعودات حتى لا أبقى منكم أحدا » وعن أنس بن مالك قال « لقى جبريل ملك الموت بنهر فارس فقال ياملك الموت كيف تستطيع قبض الأنفس عند الوباء ههنا عشرة آلاف وههنا كذا وكذا ؟ فقال له ملك الموت تزوى لى الأرض حتى كأنهم بين فخذىّ فألتقطهم بيدى » اعلم أنا لو انتظرنا ضربة شرطى لتكدر عيشنا وفى نفس يمكن مجئ الموت بشدائده وهو أمر من ضرب

يسنّ العيادة منه ما يبيح ترك الجمعة ولو رمدا بأن يكون مشقة الخروج والمشى معه كمشقة للمشى فى الوحل فلا أثر لصداع ووجع ضرس خفيفين ، وقال متأخرو أئمتنا : إن العيادة يوم الجمعة أفضل منها فى غيره ، ويسنّ للعائد أن يطيب نفسه بذكر بعض ثواب المرض والصبر عليه أن يحصل مشتهاه إن لم يضره ، وأن لا يعترض عليه فى الأنين ، وقد غلطوا من أطلق كراهته ، نعم إن أمكنه أن يرشده بلطف إلى أن الذكر أولى فعل ، وأن يسأل المريض الدعاء له لصحة الخبر بالأمر به ، وأنه كدعاء الملائكة . وصح أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل على مريض قال لا بأس طهور إن شاء الله أى مرضك يطهر من الذنوب . وصح أيضا أنّ من قال أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يعافيك ويشفيك سبع مرات عند مريض لم يحضره أجله عافاه الله من مرضه . وينبغى فتح الكاف فى المؤنث مريدا الشخص اتباعا للفظ الوارد .

خاتمة فى ثواب المريض

أخرج الشيخان « ما يصيب المؤمن من نصب أى تعب ولا وصب أى مرض ولا همّ ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه » وأبو داود « إن المؤمن إذا أصابه السقم ثم عافاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل ، وإن المنافق إذا مرض ثم عوفى كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلم يدر لم عقلوه ولم يدر لم أرسلوه » والبخارى « من يرد الله به خيرا يصب منه » أى يوجه الله إليه مصيبة أو بلاء . والطبرانى « يؤتى بالشهيد يوم القيامة فيوقف للحساب ، ثم يؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ، ثم يؤتى بأهل البلاء لا ينصب لهم ميزان ولا ينصب لهم ديوان فيصبّ عليهم الأجر صبا حتى إن أهل العافية ليتمنون فى الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله » وهو « إذا مرض العبد ثلاثة أيام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وابن أبى الدنيا « من كتم حمى يوم أصابته أخرجه الله من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وكتب الله له براءة من النار وستر عليه كما ستر بلاء الله فى الدنيا » وأحمد والطبرانى « إن الصداع والمليلة لا يزالان بالمؤمن وإن ذنوبه مثل أحد فما يدعانه وعليه من ذنوبه مثقال حبة من خردل » والقضاعى « الحمى حظ كل مؤمن من النار وحمى ليلة تكفر خطايا سنة محرمة » أى كاملة . وابن ماجه « الحمى كير من كير جهنم فنحوها عنكم بالماء البارد » وأحمد والترمذى والنسائى « من قتله بطنه لم يعذب فى قبره » وصح « من أصيب بمصيبة بماله أو فى نفسه فكتمها ولم يشكها إلى الناس كان حقا على الله أن يغفر له » .

[تنبيه] اعلم أن الأئمة اختلفوا فى أن ثواب المريض هل على الصبر على مرضه ، أو على نفس مرضه . والأصح فى ذلك أنه إن صبر أثيب على المرض والصبر ، وإلا لم يثب . هذا ما دلت عليه الأحاديث . قال عزّ الدين بن عبد السلام : إنّ المصائب لا ثواب فيها لأنها ليست من كسب العبد بل الثواب فى الصبر عليها لا غير ، نعم فيها التكفير وإن لم يصبر إذ لا يشترط فى التكفير أن يكون كسبا .

باب النياحة وتوابعها واستماعها

أخرج الشيخان عن أبى موسى الأشعرى أنه قال : أنا برىء ممن برئ منه رسول الله

بالسيوف ونشر بالمناشير ويودّ لو قدر على صياح وأنين ويجذب روحه من كل عضو وعرق فتبرد قدماه ثم فخذاه وهكذا حتى يبلغ الحلقوم فعنده ينقطع نظره إلى دنياه ويغلق عنه باب توبته فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ الله تعالى يقبل توبة عبده ما لم يغرغر »

يا فرقة الأحباب لا بدّ لى منك
ويا دار دنيا إننى راحل عنك
ويا قصر الأيام مالى وللمنى
ويا سكرات الموت مالى وللضحك
فما لى لا أبكى لنفسى بعبرة
إذا كنت لا أبكى لنفسى فمن يبكى
ألا أىّ حىّ ليس بالموت موقنا
وأى يقين أشبه اليوم بالشك

[فصل] فى عذاب القبر للكفار ولبعض عصاة المؤمنين . قال الله سبحانه وتعالى النار يعرضون عليها غدوّا وعشيا ويوم تقوم

صلى الله عليه وسلم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم برئ من الصالقة : أى الرافعة صوتها بالندب والنياحة والحالقة : أى لرأسها عند المصيبة والشاقة أى لثوبها . وهما عن عبد الله بن مسعود ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية . والحاكم وابن حبان : ثلاثة من الكفر بالله : شق الجيب أى طوق القميص والنياحة والطعن فى النسب وابن ماجه النياحة من أمر الجاهليـة وإن النائحة إذا ماتت ولم تتب قطع الله لها ثيابا من قطران ودرعا من لهب النار . والطبرانى إن هـذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين فى جهنم صف عن يمينهم وصف عن يسارهم فينبحن على أهل النار كما تنبح الكلاب . وأبو داود عن أبى سعيد الخدرى قال: لعن رسول الله صلى الله عليـه وسلم النائحة والمستمعة . وابنا ماجـه وحبان عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم لعن الخامشة وجهها والشاقة جيبها والداعية بالويل والثبور . وأبو داود عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما أخذ علينا رسو الله صلى الله عليه وسلم فى المعروف الذى أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نخمش وجها ولا ندعو ويلا ولا نشق جيبا ولا ننتف شعرا . والشيخان الميت يعذب فى القبر بما نيح عليـه . والترمذى مامن ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول واجبلاه واسنداه ونحو ذلك إلا وكل الله به ملـكين يلهزمانه أهكذا كنت . والبخارى عن النعمان بن بشير قال أغمى على عبـد الله بن رواحة فجعلت أخته تبكى واجبلاه واكذا واكذا تعدد عليه ، فقال لها حين أفاق ماقلت شيئا إلا قيل لى أنت كذلك فلما مات لم تبك عليه . وفى رواية رواها الطبرانى فقال يارسول الله أغمى على فصاحت النساء واعزاه واجبلاه فقام ملك معه مرزبة فجعلها بين رجلى فقال أنت كما تقول قلت لا ولو قلت نعم ضربنى بها . وروى من أصابتـه مصيبة فخرق عليها ثوبا أو لطم خدا أو شق جيبا أو نتف شعرا فكأنما أخذ رمحا يريد أن يحارب به ربه . قال صالح المرى : نمت ليـلة جمعة بمقبرة فرأيت الأموات خرجوا من قبورهم وتحلقوا ونزلت عليهم أطباق مغطاة وفيهم شاب يعـذب فتقدمت فسألته فقال : لى والدة جمعت النوادب فأنا معـذب بذلك فلا جزاها الله عنى خـيرا وبكى ثم أمرنى أن أذهب إليها وأعلمنى بمحلها وأن أناشدها بترك هذا العذاب العظيم الذى تسببت له فيـه فلما أصبحت ذهبت إليها ورأيت عنـدها تلك النوادب ووجهها قد اسود من كثرة اللطم والبكاء فذكرت لها ذلك المنام فتابت وأخرجت النوادب وأعطتنى دراهم لأتصدق بها عنـه فأتيت المقبرة ليلة الجمعة على عادتى وتصدقت عنه بتلك الدراهم فنمت فرأيتـه وهو يقول لى جزاك الله عنى خـيرا أذهب الله عنى العذاب ووصلت إلى الصدقة فأخبر أمى بذلك فاستيقظت فذهبت إليها فوجدتها ماتت فحضرت الصلاة عليها ودفنت بجنب ولدها .

[تنبيه] قد أجمعت الأئمة على تحريم النـدب وهو تعديد محاسن الميت كواجبلاه ، والنوح وهو رفع الصوت بالندب ومثله إفراط رفعه بالبكاء وإن لم يقترن بندب ولا نوح وضرب نحو الخد والصـدر وشق نحو الجيب ونشر الشعر وحلقه ونتفه وتسويد الوجـه وإلقاء الرماد على الرأس والدعاء بالويل والثبور أى الهلاك وكل شئ فيـه تغيير للزى كلبس ما لايعتاد لبسه أصلا أو على تلك الصفة وكترك شئ من لباسـه والخروج بدونه على خلاف عادته . أما البكاء السالم من كل ذلك فهو جائز قبل الموت وبعـده لـكن الأولى تركه بعده وما مر من أن الميت يعذب ببكاء أهله

الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وفى كتاب الترمذى كان عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكى من هذا فقال سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منـه وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه . وفى كتاب أبى داود والنسائى عن البراء بن عازب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك فيـقول ربى الله فيـقولان له مادينك فيقول دينى الاسلام فيقولون له ماهـذا الرجـل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان وما يدريك

اختلف الأئمة فيما ذا يحمل عليه ؟ والصحيح عندنا أنه محمول على ما إذا أوصى بذلك بخلاف ما إذا سكت فلم يأمر به ولم ينه . وقيل إنه إذا سكت ولم ينههم عن نحو النوح يعذب بذلك أيضا لأن سكوته رضا منه به فعذب به كما لو أمر فمن أراد الخروج من ورطة هذا القول ينبغى إذا نزل به مرض أن ينهاهم عن بدع الجنائز وغيرها من المحرمات الشنيعة والقبائح الفظيعة . وفقنا الله لمرضاته .

فصل فيما يقوله المريض للنجاة من العذاب

أخرج الترمذى والنسائى وابنماجه وحبان والحاكم عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال لا إله إلا الله والله أكبر صدقه ربه فقال لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له . قال الله لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى وإذا قال : لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال الله لاإله إلا أنا لى الملك ولى الحمد وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال الله لا إله إلا أنا ولا حول ولاقوة إلا بى من قالها فى مرضه ثم مات لم تطعمه النار» . وابن عساكر عن على كرّم الله وجهه عن النبى صلى الله عليه وسلم «كلمات من قالهنّ عند وفاته دخل الجنة : لاإله إلاالله الحليم الكريم ثلاثا والحمد لله رب العالمين ثلاثا تبارك الذى بيده الملك يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير» . والحاكم عن سعد بن أبى وقاص عنه صلى الله عليه وسلم «أيما مسلم قال فى مرضه «لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين أربعين مرة فمات فى مرضه ذلك أعطى له أجر شهيد . وان برئ برئ وقد غفرت له جميع ذنوبه» . والطبرانى : «من قرأ سورة قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه مائة مرة لم يفتن فى قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأجنحتها حتى يجيزونه من الصراط إلى الجنة» وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أخبرك بأمر حق من تكلم به فى أول مضجعه من أمرضه نجاه الله من النار قلت بلى قال : لا إله إلا الله يحيى ويميت ، وهو حى لايموت وسبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال الله أكبر كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان اللهم إن كنت أمرضتنى لقبض روحى فى مرضى هذا فاجعل روحى فى أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وأعذنى كما أعذت أولئك الذين سبقت لهم منك الحسنى إن مت فى مرضك ذلك فإلى رضوان الله والجنة وإن كنت قد اقترفت ذنوبا تاب الله عليك» . وعن معاذ «من كان آخر كلامه لاإله إلا الله دخل الجنة» . وعن ابن عباس افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله ولقنوهم عند الموت لا إله إلا الله ، فان من كان أوّل كلامه لا إله إلا الله وآخر كلامه لا إله إلا الله ثم عاش ألف سنة ماسئل عن ذنب واحد» .

وعن معقل بن يسار عن النبى صلى الله عليه وسلم «اقرءوا على موتاكم يس» وروى «مامن ميت يقرأ عنده يس إلا هوّن الله عليه . ويستحب إذا احتضر الميت أن يقرأ عنده أيضا سورة الرعد فان ذلك يخفف عن الميت سكرة الموت وإنه أهون لقبضه وأيسر لشأنه وذكر جماعة أن السواك يسهل خروج الروح لاستياكه صلى الله عليه وسلم عند موته» وروى أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم «من أتاه ملك الموت وهو على وضوء أعطى الشهادة» .

فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة قال فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فيها مدّ بصره . وأما الكافر فذكر موته قال ويعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان مادينك ؟ فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان ماهذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدرى فينادى مناد من السماء أن كذب فافرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار قال فيأتيه من حرها وسمومها قال ويضيق عليه قبره حتى تختلف عليه أضلاعه ثم

فصل فى الصبر على المصائب

أخرج الشيخان «أن بنتا له صلى الله عليه وسلم أرسلت إليه تدعوه وتخبره أن ابنها فى الموت ، فقال صلى الله عليه وسلم للرسول ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شئ عنده بأجل مسمى فمرها فلتصبر ولتحتسب » والبخارى « ما لعبدى المؤمن إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة » وفى حديث « من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بى فإنها أعظم المصائب » وكأن القاضى حسينا من أكابر أئمتنا أخذ من هذا قوله الذى أقروه عليه : يجب على كل مؤمن أن يكون حزنه على فراق أبويه كما يجب عليه أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه وأهله وماله . وفى آخر « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » أى إنما يحمد الصبر عند مفاجأة المصيبة ، وأما فيما بعد فيقع السلو طبعا ، ومن ثم قال بعضهم : ينبغى للعاقل أن يفعل بنفسه أول أيام المصيبة ما يفعله الأحمق بعد خمسة أيام . وفى آخر « إن الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر » وورد فى حديث «من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حصنا من النار . فقال أبو الدرداء رضى الله عنه قدمت اثنين . قال واثنين . قال آخر : إنى قدمت واحدا . قال وواحدا ، ولكن ذلك فى أول صدمة » وفى حديث مسلم « إن الأطفال دعاميص الجنة أى حجاب أبوابها يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بثوبه أو قال بيده فلا ينتهى حتى يدخله الجنة » وفى خبر مسلم « أنه مات ابن لأبى طلحة من أم سليم ، فقالت لا يحدثه إلا أنا ، فلما جاء قربت إليه عشاءه فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها ، فلما رأته أنه قد شبع وأصاب منها . قالت يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم لهم أن يمنعوهم ؟ قال لا قالت أم سليم فاحتسب ابنك فغضب وأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال بارك الله لكما فى ليلتكما » .

وروى أن ابن عمر ضحك عند دفن ابنه فقيل له أتضحك ؟ فقال أردت أن أرغم الشيطان وقال أبو على الرازى صحبت الفضيل ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكا ولا متبسما ولا مستبشرا إلا يوم مات ابنه على فقلت له فى ذلك . فقال : إن الله أحب أمرا فأحببته .

وحكى اليافعى عن أبى الحسن السراج قال : خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام فبينما أنا أطوف و إذا بامرأة قد أضاء حسن وجهها ، فقلت والله ما رأيت اليوم قط نضارة وحسنا مثل هذه المرأة وما ذاك إلا لقلة الهم والحزن فسمعت ذلك القول منى ، فقالت كيفما قلت يا هذا الرجل ؟ والله إنى لوثيقة بالأحزان ومكلومة الفؤاد بالهموم والأشجان ما يشركنى فيها أحد ، فقلت لها وكيف ذلك ؟ قالت ذبح زوجى شاة ضحى بها ولى ولدان صغيران يلعبان وعلى ثديى طفل يرضع ، فقمت لأصنع طعاما إذ قال ابنى الكبير للصغير : ألا أريك كيف صنع أبى بالشاة ؟ قال بلى ، فأضجعه وذبحه وخرج هاربا نحو الجبل فأكله ذئب فانطلق أبوه فى طلبه فأدركه العطش فمات فوضعت الطفل وخرجت إلى الباب أنظر ما فعل أبوه فدب الطفل إلى البرمة وهى على النار فألقى يده فيها وصبها على نفسه وهى تغلى فانتثر لحمه على عظمه ، فبلغ ذلك ابنة لى كانت عند زوجها فرمت بنفسها إلى الأرض فوافقت أجلها ، فأفردنى الدهر من بينهم . فقلت لها فكيف صبرك على هذه المصائب العظيمة ؟ فقالت ما من أحد ميز الصبر والجزع إلا وجد بينهما منهاجا متفاوتا ، فأما

يفيض له أعمى أصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبلا لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابا ثم يعاد فيه الروح . وفى كتاب الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة فرأى ناسا كأنهم يكثرون قال أما إنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى فأكثروا ذكر هاذم اللذات الموت فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا أما إن كنت لأحب من يمشى على ظهرى إلى فإذ وليتك وصرت إلى فسترى صنعى بك قال فيفسح له مد بصره ويفتح له باب من الجنة. وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لا مرحبا ولا أهلا أما

الصبر بحسن العلانية فمحمود العاقبة وأما الجزع فصاحبه غير معوض .

وحكى عن بعض المشايخ أنه رأى سفيان الثورى فى المنام ، فقال له كيف رأيت الموت ؟ فقال أما الموت فلا تسأل عن عظمته وشدّته . فقال أى الأعمال وجدته أنفع ؟ فقال : كل عمل صالح أنفع ، ولكننى نجوت من الحساب باسترجاعى وصبرى عند مصيبة بولد لى مات . فقال سبحانه وتعالى أنسيت وقدقبضت ثمرة فؤادك فاسترجعت وحمدتنى اذهب فقد غفرت لك سيآتك وضاعفت حسناتك ورفعت درجاتك . غفر الله سيآتنا وضاعف حسناتنا ورفع درجاتنا .

[خاتمة] قال أصحابنا وغيرهم يتأكد لمن ابتلى بمصيبة بميت أو فى نفسه أو أهله أو ماله ، وإن خفت أن يكثر ـ إنا لله و إنا إليه راجعون ـ ، اللهم اؤجرنى فى مصيبتى واخلف علىّ خيرا منها لما وعد الله تعالى من قال ذلك بأن عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأنهم هم المهتدون أى للترجيع أو للجنة والثواب . ولخبر مسلم «إن من قال ذلك آجره الله وأخلف له خيرا» وأحمد «مامن مسلم ولامسلمة أصيب بمصيبة فتذكرها و إن طال عهدها فيسترجع إلا جدد الله عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب» وقال ابن جبير : لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة مالم يعطه غيرهم ـ إنا لله و إنا إليه راجعون ـ ولو أوتوه لقاله يعقوب عليه السلام ولم يقل ـ يا أسفا على يوسف ـ جعلنا الله من الصابرين فى الضراء والشاكرين فى السراء .

فصل فى التعزية

أخرج الترمذى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من عزى مصابا فله مثل أجره» وهو عن أبى برزة «من عزى ثكلى كسى برداء» وابن ماجه والبيهقى عن عمرو بن حزم «مامن مؤمن يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة» .

[تنبيه] إن التعزية وهى التصبير وذكر ما يسلى صاحب الميت و يخفف حزنه و يهوّن مصيبته مستحبة قبل مضى ثلاثة أيام من بعد الدفن وتكره بعد مضيها ، ويسن أن يعمّ بالتعزية جميع أهل الميت وأقاربه الكبار والصغار والرجال والنساء ، ويكره لهم الجلوس لها وصنع طعام يجمعون الناس عليه لما روى أحمد عن جرير بن عبد الله البجلى قال: كنا نعدّ الاجتماع إلى أهل الميت وصنعهم الطعام بعد دفنه من النياحة . ويستحب لجيران أهل الميت ولو أجانب ومعارفهم وإن لم يكونوا جيرانا وأقاربه الأباعد و إن كانوا بغير بلد الميت أن يصنعوا لأهله طعاما يكفيهم يوما وليلة . وأن يلحوا عليهم فى الأكل ، ويحرم صنعه للنائحة لأنه إعانة على معصية .

فصل فى زيارة القبور

أخرج العقيلى عن أبى هريرة قال أبو رزين يارسول الله إن طريقى على الموتى فهل لى كلام أتكلم به إذا مررت عليهم ؟ قال « قل السلام عليكم ياأهل القبور من المسلمين والمؤمنين أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع و إنا إن شاء الله بكم لاحقون . قال أبو رزين هل يسمعون ؟ قال يسمعون ولا يستطيعون أن يجيبوا : أى جوابا يسمعه الحى ، قال يا أبا رزين ألا ترضى أن ترد عليك بعددهم الملائكة » وابن أبى الدنيا والبيهقى عن محمد بن واسع قال « بلغنى أن الموتى يعلمون بزوّارهم يوم الجمعة و يوما قبله و يوما بعده » والبيهقى عن محمد بن النعمان مرسلا « من زار قبر

إن كنت لأبغض من يمشى على ظهرى إلىّ فإذ وليتك اليوم وصرت إلىّ فسترى صنعى بك قال فيلتئم عليه حتى يلتقى عليه وتختلف أضلاعه . قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصابعه فأدخل بعضها فى جوف بعض قال و يقيض له سبعون تنينا لو أن واحدا منها نفخ فى الأرض ماأنبتت شيئا ما بقيت الدنيا فينهشنه و يخدشنه حتى يفضى به إلى الحساب . قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القبر روضة من رياض الجنة أوحفرة من حفر النار » و يروى أن رجلا دخل على عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه فرآه قد تغير لونه من كثرة العبادة فجعل يتعجب من تغير لونه واستحالة صفته فقال له عمر : يا ابن أخى وما يعجبك منى فكيف لو رأيتنى بعد دخول قبرى بثلاث وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين

أبويه أو أحدهما فى كل جمعة غفر له وكتب باراً . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «آنس مايكون الميت فى قبره إذا زاره من كان يحبه فى الدنيا» وأخرج مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة . فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . وزاد ابن السنى عن عائشة رضى الله عنها : اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم . وابن أبى شيبة عن الحسن قال : من دخل المقابر ، فقال : اللهم ربّ الأجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحا من عندك وسلاما منى استغفر له كل مؤمن مات مذ خلق الله آدم . وأخرجه ابن أبى الدنيا بلفظ : كتب الله له بعدد من مات من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة حسنات . والبيهقى عن بشر بن منصور قال : كان رجل يختلف إلى الجبانة فيشهد الصلاة على الجنائز فاذا أمسى وقف على باب المقابر فقال : آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز الله عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هؤلاء الكلمات . قال ذلك الرجل : فأمسيت ذات ليلة فانصرفت إلى أهلى ولم آت المقابر فبينما أنا نائم إذا أنا بخلق كثير جاءونى ، قلت : من أنتم وماحاجتكم ؟ قالوا نحن أهل المقابر وقد عوّدتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك . قلت وماهى ؟ قالوا الدعوات التى كنت تدعو بها ، قلت : فأنا أعود لذلك قال فما تركتها بعد . وقال محمد بن أحمد المروزى : سمعت أحمد بن حنبل يقول : إذا دخلتم المقابر فاقرءوا بفاتحة الكتاب والاخلاص والمعوّذتين واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فانه يصل إليهم . فالاختيار أن يقول القارئ بعد فراغه : اللهم أوصل ثواب ماقرأته إلى فلان .

وحكى بعض أهل العلم أنّ رجلا رأى فى النوم أهل القبور فى بعض المقابر قد خرجوا من قبورهم إلى ظاهر المقبرة وإذا بهم يلتقطون شيئا مايدرى ماهو ، قال فتعجب من ذلك ، ورأيت رجلا منهم جالسا لايلتقط معهم شيئا فدنوت وسألت ما الذى يلتقط هؤلاء ؟ فقال يلتقطون مايهدى إليهم المسلمون من قراءة القرآن والصدقة والدعاء فقال فقلت له فلم لاتلتقط أنت معهم ؟ فقال أنا غنىّ عن ذلك ، فقلت بأىّ شئ أنت غنىّ ؟ قال بختمة يقرؤها ويهديها إلىّ كل يوم ولدى يبيع الزلابية فى السوق الفلانى فلما استيقظت ذهبت إلى السوق حيث ذكر فاذا شاب يبيع الزلابية ويحرّك شفتيه فقلت بأىّ شئ تحرّك شفتيك ؟ قال أقرأ القرآن وأهديه إلى والدى فى قبره قال فلبثت مدّة من الزمان ثم رأيت الموتى قد خرجوا من القبور كما تقدّم وإذا بالرجل الذى كان لايلتقط صار يلتقط فاستيقظت وتعجبت من ذلك ثم ذهبت إلى السوق لأتعرّف خبر ولده فوجدته قد مات .

وحكى أنّ بعض النساء توفيت فرأتها فى المنام امرأة تعرفها فاذا عندها تحت السرير آنية من نور مغطاة فسألتها ماهذه الأوعية فقالت فيها هدية أهداها إلىّ أبو أولادى البارحة فلما استيقظت المرأة ذكرت ذلك لزوج الميتة فقال قرأت البارحة شيئا من القرآن وأهديته إليها .

خاتمة

أخرج أبو داود والنسائى عن ابن عباس قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج . ومسلم : لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خيرله من أن يجلس على قبر . وابن منده عن القاسم بن مخيمرة قال : لأن أطأ على

وتقلصت الشفتان عن الأسنان وخرج الصديد والدود من المناخر والفم وانتفخ البطن فعلا على الصدر وخرج الدبر من الصلب لرأيت إذ ذاك شيئا أعجب مما رأيته الآن . وكان بكر العابد يقول لأمه يا أمه ليتك كنت بى عقيما إن لابنك فى القبر حبسا طويلا وإنّ له من بعد ذلك رحيلا . وقال حاتم الأصم من مرّ بفناء القبور ولم يتفكر فى نفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم . قال القشيرى سمعت أبا على الدقاق يقول دخلت على الامام أبى بكر بن فورك عائدا فلما رآنى دمعت عيناه فقلت له إنّ الله يعافيك ويشفيك فقال لى تراني أخاف من الموت إنما أخاف مما وراء الموت . وسمعت بعض الفقراء يقول إنّ سبب زهد داود بن نصر الطائى أنه سمع نائحة تنوح :

بأى خديك تبدى البلا
وأى عينيك إذا سالا
واعجبا لو وصف طبيب
لك داءك ودواءك

أسنان رمح حتى تبيد من قدمى أحب إلى من أن أطأ على قبر وإن رجلا وطىء على قبر وإن قنبه ليقظان إذ سمع صوتا من القبر : إليك عنى ولا تؤذنى .

[تنبيهان : أحدهما] قال أصحابنا : تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء والشهداء والعلماء تبركا بذى القبر وإعظاما له ، وإيقاد السراج على القبور وتبركا وتعظيما به وإن قل . وثانيهما قال جماعة من أصحابنا وتبعهم النووى فى شرح مسلم بحرمة الجلوس والوطء على القبر ، وجزم آخرون كالنووى وغيره بالكراهة بلاحاجة ، وفقنا الله لطاعته وأنالنا من سوابغ رضاه وهباته وحمانا من موجبات سخطه وأليم عقوباته آمين .

كتاب الزكاة

قال الله تعالى ـ وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة ـ سماهم المشركين ؛ وقال تعالى ـ ولاتحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ـ وقال تعالى ـ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ـ وأخرج الشيخان عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن صاحب ذهب ولا فضة لايؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره » أى يوسع جسمه لها كلها وإن كثرت « كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، قيل يارسول الله فالإبل . قال ولا صاحب إبل لايؤدى منها حقها ومن حقها حلبها يوم ورودها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لايفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . قيل يارسول الله فالبقر والغنم ؟ . قال ولا صاحب بقر ولاغنم لايؤدى منهما حقهما إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لايفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء ، ولاجلحاء ولاعضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » والبخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه : من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه أى شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك . والشيخان عن الأحنف بن قيس قال : جلست إلى ملأ من قريش فجاء رجل حسن الشعر والثياب والهيئة حتى قام عليهم فسلم ثم قال : بشر الكانزين برضف يحمى عليها فى نار جهنم ثم يوضع على حلمة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فيتزلزل ثم ولى فجلس إلى سارية وتبعته وجلست إليه وأنا لا أدرى من هو فقلت له لا أرى القوم إلا قد كرهوا الذى قلت . قال إنهم لايعقلون شيئا . والبيهقى عن عائشة رضى الله عنها : ماخالطت الصدقة أوقالت الزكاة مالا إلا أفسدته . أى ماتركت فى مال ولم تخرج منه إلا أهلكته . والطبرانى عن أنس : مانع الزكاة يوم القيامة فى النار . وصح عن ابن مسعود : أمرنا بإقام الصلاة

وإيتاء

لاستمعت إليه ولأطعته وهذا دواء دائك العظيم الدفين الذى يصلى صاحبه نار جهنم فلا تسمع إليه حق الاستماع وربما إن طال المجلس نعست أو تكلمت مع أنه ورد ذم المتكلم . ولو كنت فى لهو أو أمر دنيا لم تنعس بل ارتحت له وما ذاك إلا الخبث سريرتك وضعف إيمانك أين آباؤك وأبناؤك وأين إخوانك وأحبابك سكنوا بطون الأرض وصاروا أكلا للهوام ولا يقدرون على دفع مايلقون من العذاب :

هو الدهر فاصبر ما على الدهر معتب
وليس لنا من خطة الموت مهرب
ولا بد من كأس الحمام ضرورة
ومن ذا الذى من كأسه ليس يشرب
وما يعمر الدنيا الدنية حازم
إذا كان فيها عامر العمر يخرب
وإن عليا ذمها فى كلامه
وطلقها والجاهل الغر يخطب

و إيتاء الزكاة ومن لم يزك فلا صلاة له ، وفى رواية عن عبد الله : من أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فليس بمسلم ينفعه عمله. وروى عن ابن عباس : من كان له مال يبلغه حج بيت الله ولم يحج أو تجب الزكاة فيه ولم يزك سأل الرجعة عند الموت ، فقال له رجل اتق الله يابن عباس فانما يسأل الرجعة الكفار ، فقال ابن عباس سأتلو عليك بذلك قرآنا . قال الله تعالى ــ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق ــ أى أؤدى الزكاة ــ وأكن مع الصالحين ــ أى أحج .

وحكى شيخنا ابن حجر رحمه الله تعالى : أن جماعة من التابعين خرجوا لزيارة أبى سنان ، فلما دخلوا عليه وجلسوا عنده ، قال قوموا بنا نزور جارا لنا مات أخوه ونعزيه ، قال محمد بن يوسف الفريابى فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه فجعلنا نعزيه ونسليه وهو لايقبل تسلية ولا عزاء ، فقلنا له : أما تعلم أن الموت سبيل لا بد منه ؟ قال بلى ولكن على ما أصبح وأمسى فيه أخى من العذاب فقلنا له قد أطلعك الله على الغيب ؟ قال لا ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس عنه وجلست عند قبره وإذا صوت من قبره يقول آه أفردونى وحيدا أقاسى العذاب قد كنت أصوم قد كنت أصلى . قال فأبكانى كلامه فنبشت التراب عنه لأنظر ماحاله وإذا القبر يلمع فيه نار وفى عنقه طوق من نار فحملتنى شفقة الأخوة ومددت يدى لأرفع الطوق من رقبته فاحترقت أصابعى ويدى ثم أخرج إلينا يده فاذا هى سوداء محترقة قال فرددت عليه التراب وانصرفت فكيف لا أبكى على حاله وأحزن عليه فقلنا فما كان أخوك يعمل فى الدنيا قال كان لايؤدى الزكاة من ماله قال فقلنا هذا تصديق قوله تعالى ــ ولاتحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ــ .

خاتمة فى ذم البخل

أخرج ابن عدى « لايجتمع الايمان والبخل فى قلب رجل مؤمن أبدا » وأبو يعلى: مامحق الاسلام محق الشح شىء . والخطيب يقولون : أو يقول قائلكم الشحيح أغدر من الظالم وأى ظلم أظلم عند الله من الشح يحلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله أن لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل . والديلمى :الويل كل الويل لمن ترك عياله بخير وقدم على ربه بشر . والطبرانى والبيهقى صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ويهلك آخرها بالبخل والأمل .

فصل فى زكاة الذهب والفضة

اعلم أنه تجب الزكاة فى الذهب إذا بلغ عشرين مثقالا ، وفى الفضة إذا بلغت مائتى درهم ففيهما يجب ربع عشرهما إذا تم حول بعد أن ملكهما وأنه لايجوز له تأخيرها بعد تمامه ، لما روى أحمد وابنا خزيمة وحبان وأبو يعلى عن ابن مسعود إن لاوى الزكاة أى مؤخرها من جملة الملعونين عن لسان محمد صلى الله عليه وسلم . ومن ثم جزم بعضهم بعده كبيرة فان أخرها وهو قادر على أدائها ضمنها ، ولو امتنع من أدائها جاحدا وجوبها كفر وقتل بكفره كما يقتل المرتد ، وإن منعها بخلا بها أخذت منه قهرا وعزر فان امتنع بمنعة قاتله الامام وأنه يشترط فى

ولما أتى بالكوز والناس حضر
فقال لهم بالرجال تعجبوا
ألا إن هذا الكوز فيه مواعظ
لتعظ من ظلمة القبر يرهب
فكم فيه من تعروعين كحيلة
وخد أسيل كان يهوى ويطلب
وكم من عظيم القد صارت عظامه
إناء ومنه الماء ياقوم يشرب
وينقل من أرض لأخرى هدية
فواعجبا بعد البلا يتغرب .

اللهم أصلحنا وأصلح فساد قلوبنا وأصلح فساد أعمالنا وأصلح فساد ولاة أمورنا وأصلحنا بما أصلحت به عبادك الصالحين .

[فصل]

فى أحوال بعض الموتى

قال ابن عباس رضى الله عنهما مر النبى صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال : إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان لايستبرئ من البول

صرف الزكاة نية زكاة المال أو صدقة المال المفروضة عند دفعها أو عزلها أو إعطائها الوكيل، فلو تصدّق بجميع ماله ولم ينو الزكاة لم تسقط زكاته و إعطاؤها للمستحقين فلو أعطاها لكافر أو عبد غير مكاتب أو مكفىّ بنفقة زوج أو قريب أو غنى ملك كفاية العمر الغالب أو وجد كسبا لائقا حلالا يقع موقعا من حاجته أو لهاشمى أو مطلبى أو مواليهما لم يقع عن الزكاة .

وحكى الحصنى : أنه كان بعض الناس يخرج زكاته ثلاث مرات و يقول يحتمل أن الذى أخذها غير مستحق ومن يقدر على هذه العقوبات . فبادر يا ابن آدم إلى تخليص ذمتك بأداء زكاة مالك قبل أن يأتى بغتة عذاب ربك .

فصل فى صدقة التطوّع

أخرج الطبرانى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تصدقوا فان الصدقة فكاككم من النار » والشيخان عن عدى بن حاتم « اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » والقضاعى عن أبى هريرة « الصدقة تمنع ميتة السوء » والطبرانى عن عقبة بن عامر « إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حرّ القبور و إنما يستظل المؤمن يوم القيامة فى ظلّ صدقته » . والبيهقى عن أبى هريرة « من أطعم أخاه المسلم شهوته حرّمه الله على النار » والنسائى والحاكم عن ابن عمر « من أطعم أخاه الخبز حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق كل خندق سبعمائة عام » وفى رواية « مابين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام » والنسائى عن ابن عباس « مامن مسلم كسا مسلما ثوبا إلا كان فى حفظ الله تعالى مادام عليه منه خرقة » والعقيلى عن ابن عمر « كم من حوراء عيناء ما كان مهرها إلا قبضة من حنطة أو مثلها من تمر » وأبو داود والترمذى عن أبى سعيد الخدرى « أيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة ، وأيما مؤمن سقى مؤمنا على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمن كسا مؤمنا على عرى كساه الله يوم القيامة من حلل الجنة » وأبوداود وابن حبان عن أبى سعيد « لأن يتصدّق الرجل فى حياته وصحته بدرهم خير من أن يتصدّق بمائة عند موته » والشيخان عن حارثة « تصدّقوا فسيأتى عليكم زمان يمشى الرجل بصدقته فيقول الذى يأتيه بها لوجئت بالأمس لقبلتها فأما الآن فلا حاجة لى فيها فلا يجد من يقبلها » والبيهقى عن أبى هريرة « مافتح رجل باب عطية بصدقة أو صلة إلا زاده الله بها كثرة وما فتح عبد باب مسئلة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلة » والطبرانى عن أبى أمامة « لولا أن المساكين يكذبون ما أفلح من ردّهم » والبيهقى عن ابن عمر « من سئل بوجه الله فأعطى كتب له سبعون حسنة » وأحمد والترمذى عن سلمان بن عامر « الصدقة على المساكين صدقة وهى على ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة » وابن حبان « صدقة السرّ تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد فى العمر وفعل المعروف يقى مصارع السوء » وابن عدى عن أبى هريرة « أعطوا السائل وإن جاء على فرس » وهو عن جابر « إذا أتاكم السائل فضعوا فى يده ولو ظلفا محرقا » وابن عساكر عن ابن عمر « ما على أحدكم إذا أراد أن يتصدّق لله صدقة تطوع أن يجعلها عن والديه إذا كانا مسلمين فيكون أجرها لهما وله مثل أجورهما بغير أن ينقص من أجورهما شيئا » والبزار « سبع تجرى للعبد وهو فى قبره ، من علم علما ، أوأجرى نهرا ، أو حفر بئرا ،

وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ثم غرز فى كل قبر واحدة فقال لعله أن يخفف عنهما مالم ييبسا » . وروى بعض الموتى فى النام فقيل له كيف كان حالك فقال صليت يوما بلا وضوء فوكل علىّ ذئب يروعنى فى قبرى خالى معه فى أسوإ حال . وروى آخر فى النوم فقيل له مافعل الله بك فقال : دعنى فانى لم أتمكن من غسل يوما من الجنابة فألبسنى الله ثوبا من النار أتقلب فيه ليلا ونهارا . ومر عيسى ابن مريم عليه السلام بمقبرة فنادى رجلا منهم فأحياه الله فقال من أنت فقال كنت حمالا أنقل الناس فنقلت يوما لانسان حطبا وكسرت منه خلالا وتخللت به فأنا مطالب به مذ مت . وروى سفيان الثورى فى المنام وله جناحان يطير بهما فى الجنة من شجرة إلى شجرة فقيل له بم نلت هذا فقال بالورع . ووقف حسان بن أبى

أو

أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورّث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته » ومسلم عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتا فى سحابة يقول اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرة فاذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء فتتبع الماء فاذا رجل قائم فى حديقته يحوّل الماء بمسحاته ، فقال له ياعبد الله ما اسمك ؟ قال فلان الاسم الذى سمع فى السحابة ، فقال له ياعبد الله لم تسألنى عن اسمى ؟ قال إنى سمعت صوتا فى السحاب الذى هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان الاسم فما تصنع فيها ؟ قال أما إذ قلت هذا فانى أنظر إلى مايخرج منها فأتصدّق بثلثه وآكل أنا وعيالى ثلثا وأردّ فيها ثلثا » وابن صصرى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أتى سائل امرأة وفى فمها لقمة فأخرجت اللقمة فناولتها السائل فلم تلبث أن رزقت غلاما ، فلما ترعرع جاء ذئب فاحتمله فخرجت تعدو فى أثر الذئب وهى تقول ابنى ابنى ، فأمر الله تعالى ملكا لحق الذئب فجذب الصبي من فيه وقال قل لأمه الله يقرئك السلام وقل لها هذه لقمة بلقمة » وابن النجار عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كان فيمن كان قبلكم رجل يأتى وكر طائر كلما أفرخ يأخذ فرخيه فشكا ذلك الطائر إلى الله تعالى مايفعل به فأوحى الله تعالى إليه إن عاد فسأهلكه فلما أفرخ خرج ذلك الرجل كما كان يخرج فلما كان فى طريق القرية لقيه سائل فأعطاه رغيفا كان معه يتغداه . ثم مضى حتى أتى الوكر فوضع سلمه . ثم صعد فأخذ الفرخين وأبواهما ينظران إليه فقالا ربنا إنك لاتخلف الميعاد وقد وعدتنا أنك تهلك هذا إذا عاد وقد عاد فأخذ فرخينا ولم تهلكه فأوحى الله إليهما ألم تعلما أنى لاأهلك أحدا تصدّق فى يومه بميتة سوء » .

وحكى اليافعى عن جعفر بن سليمان قال : مررت أنا ومالك بن دينار بالبصرة ، فبينما نحن ندور فيها مررنا بقصر يعمل وإذا شاب جالس ما رأيت أحسن وجها منه وإذا هو يأمر ببناء القصر وهو يقول افعلوا واصنعوا ؛ فقال لى مالك أما ترى إلى هذا الشاب وحسن وجهه وحرصه على هذا البناء ، ما أحوجنى إلى أن أسأل ربى يخلصه فلعله يجعله من شباب أهل الجنة ، ياجعفر ادخل بنا إليه ؛ قال جعفر فدخلنا وسلمنا فردّ السلام ولم يعرف مالكا فلما عرفه قام إليه فقال ما حاجتك ؟ قال كم نويت أن تنفق على هذا القصر ؟ قال مائة ألف درهم ؛ قال ألا تعطينى هذا المال فأضعه فى حقه وأضمن لك على الله عزّ وجل قصرا خيرا من هذا القصر بولدانه وخدمه وقبابه وخيمه من ياقوتة حمراء مرصعا بالجواهر ترابه الزعفران وملاطه المسك أفسح من قصرك هذا لايخرب لم يمسه يدان ولم يبنه بان قال له الجليل كن فكان ؛ فقال خلنى الليلة وبكر علىّ غدا فقال نعم قال جعفر فبات مالك وهو يفكر فى الشاب ، فلما كان وقت السحر دعا فأكثر من الدعاء ، فلما أصبحنا غدونا فاذا بالشاب جالس فلما عاين مالكا هش إليه ثم قال ماتقول فيما قلت بالأمس ؟ قال تفعل قال نعم فأحضر البدر ودعا بدواة وقرطاس . ثم كتب : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما ضمن مالك بن دينار لفلان بن فلان إنى ضمنت لك على الله قصرا بدل قصرك بصفته كما وصفت والزيادة على الله واشتريت لك بهذا المال قصرا فى الجنة أفسح من قصرك فى ظلّ ظليل بقرب العزيز الجليل . ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الشاب وحملنا المال فما أمسى مالك حتى مابقى عنده فوق مقدار قوت ليلة ، وما أتى على الشاب أربعون يوما حتى وجد مالك كتابا موضوعا فى المحراب عند ما انفتل من صلاة الغداة فأخذه ونشره فاذا فى ظهره مكتوب بلا مداد : هذه براءة من الله العزيز الحكيم

سنان على أصحاب الحسن فقال أى شئ أشدّ عليكم فقالوا الورع فقال ولا شئ أخف علىّ منه فقالوا فكيف فقال لم أرو من نهركم أربعين سنة . وكان حسان بن أبى سنان لا ينام مضطجعا ولا يأكل سمينا ولا يشرب باردا ستين سنة فروئى فى المنام بعد ما مات فقيل له مافعل الله بك فقال خيرا إلا أنى محبوس عن الجنة بابرة استعرتها فلم أردّها وكان لعبد الواحد بن زيد غلام خدمه سنين ويعبد ربه أربعين سنة وكان فى ابتداء الأمر كيالا فلما مات روئى فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال خيرا غير أنى محبوس عن الجنة وقد خرج علىّ من غبار القفيز أربعون قفيزا . وروى أن رجلا جاء إلى القبور فصلى ركعتين ثم اضطجع على شقه فنام فرأى صاحب القبر فى النام فقال هذا إنكم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل ولأن نكون

لمالك بن دينار ووفينا الشاب القصر الذى ضمنت له وزيادة سبعين ضعفا . قال فبقى مالك متعجبا وأخذ الكتاب فقمنا فذهبنا إلى منزل الشاب فاذا الباب مسدود والبكاء فى الدار ، فقلنا ما فعل الشاب ؟ قالوا مات بالأمس ، فأحضرنا الغاسل فقلنا له أنت غسلتـه ؟ قال نعم . قال مالك حدثنا كيف صنعت ؟ قال : قال لى قبل الموت إذا أنامت وكفنتنى فاجعل هذا الكتاب بين كفنى وبدنى فجعلت الكتاب بين كفنه وبدنه ودفنته معه ، فأخرج مالك الكتاب ، فقال الغاسل هذا الكتاب بعينه والذى قبضه لقد جعلته بين كفنه وبدنه بيدى . قال فكثر البكاء فقام شاب آخر فقال يامالك خذ منى مائتى ألف دينار واضمن لى مثل هذا . قال هيهات كان ما كان وفات ما فات والله يحكم مايريد . قال فكان مالك كلما ذكر الشاب بكى ودعا له .

وحكى أيضا عن جعفر بن خطاب قال : وقف على بابى سائل فقلت لزوجتى هل معك شىء ؟ قالت أربع بيضات فقلت ادفعيهن للسائل ففعلت ، فلما انصرف السائل أهدى إلى بعض إخوانى مخلاة فيها بيض فقلت لزوجتى كم فيها من بيضة فقالت ثلاثون بيضة فقلت لها ويحك أعطيت السائل أربع بيضات وجاءك ثلاثون أين حساب هذا فقالت هى أربعون إلا أن عشرا مكسورات ، وقيل فى هذه الحكاية كانت ثلاث من البيض الذى أعطت السائل صحيحات وواحدة مكسورة فجاء بكل واحدة منهن عشر على صفتها .

وحكى أيضا عن الشبلى قال : خرجت ذات يوم أريد البادية فرأيت شابا صغير السن نحيل الجسم أشعث أغبر عليه ثياب رثة وهو جالس فى الجبانة يمرغ خديه بين القبور وجعل يرمق السماء تارة بعد تارة ويحرك شفتيه وتسيل الدموع من عينيه وهو مستغرق فى الدعاء والذكر والاستغفار ولا يشغله شاغل عن التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد والتعظيم فلما رأيت الشاب على تلك الحالة مالت نفسى إليه وطابت على لقائه فتركت الطريق التى أروح عليها وقصدت نحوه ، فلما رآنى أقبلت إليه انتهض من مكانه وقام يمشى هاربا منى فنهضت نفسى فى اتباعه لعلى ألحقه فلم أقدر على إدراكه فقلت له رفقا ياولى الله فقال الله عليك بحقه إلا ماصبرت فأشار بأصبعه لا أفعل وقال الله فقلت إن كان حقا ماتقول فأرنى صدقك مع الله تعالى فنادى بصوت عال يا ألله فوقع فى الأرض مغشيا عليه فدنوت منه وحركته فاذا هو ميت من ساعته فوهمت من ذلك وتعجبت من حاله وصدقه مع الله تعالى وقلت ـ يختص برحمته من يشاء ـ وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . ثم تركته فى موضعه وسرت إلى حى من أحياء العرب لآخذ فى جهازه وإصلاح شأنه ، فلما رجعت إليـه حجب عنى فطلبته فى المكان فلم أجد له أثرا ولا سمعت له خبرا فبقيت متحيرا وقلت حجب عنى هذا الشاب ومن سبقنى إليه فسمعت قائلا يقول لى : ياشبلى قد كفيت أمر الفتى وما تولاه إلا الملائكة ، فعليك أنت بعبادة ربك وأكثر الصدقة من مالك فما بلغ الفتى ما بلغ إلا بصدقته يوما فى الدهر ، فقلت سألتك بالله إلا أخبرتنى بصدقته يوما فى الدهر ماهى ؟ فقال ياشبلى إن هذا الفتى كان فى أول عمره مذنبا عاصيا فاسقا زانيا نعرض الله عليه رؤيا أفزعته وأقلقته وهى أنه رأى فى المنام إحليله قد رجع ثعبانا ودار بفيه ثم إنه أطلق من فيه لهب النار فأحرقته حتى عاد كالفحمة السوداء فقام فزعا مرعوبا وخرج فارا بنفسه مشتغلا بعبادة ربه وله اليوم منذ رجع إلى طاعة ربه اثنتا عشرة سنة وهو على حالة التضرع والخشوع ، فلما كان أمس وقف له سائل سأله قوت يومه فخلع ثيابه وسلمها إليه ، ففرح السائل بذلك وبسط كفيه ودعا له بالمغفرة فأجاب الله دعاءه فيه ببركة الصدقة التى فرحه بها كما جاء

ركعتان فى صحيفتى أحب إلىّ من الدنيا وما فيها . وقال بعض الصالحين مات لى أخ فى الله فرأيته فى النوم فقلت له يافلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لى لأن أقدر أن أقولها يعنى الحمد لله رب العالمين أحب إلى من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنوننى فان فلانا جاء فصلى ركعتين لأن أقدر أن أصليهما أحب إلى من الدنيا وما فيها . وذكر أبو سبرة أن منكرا ونكيرا أتيا رجلا إلى قبره وقالا إنا ضاربوك مائة ضربة فقال الميت إنى كنت كذا وكذا وتشفع ببعض أعماله الصالحة حتى حطا عنه عشرا ولم يزل يتشفع حتى حطا الجميع إلا ضربة فضرباه ضربة فالتهب القبر عليه نارا فقال لم ضربتمانى فقالا مررت بمظلوم فاستغاث بك فلم تغثه . وقال عبد الله ابن عمر وجماعة من أهل بيتـه إنا كنا ندعو الله تعالى ليرينا عمر فى المنام

فى الحديث : اغتنموا دعوة السائل عند فرحة قلبه بالصدقة .

خاتمة فى مدح السخاء والجود

أخرج البخارى والبيهقى : السخاء شجرة من أشجار الجنة أغصانها متدليات فى الدنيا . فمن يأخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى الجنة . والبخل شجرة من أشجار النار أغصانها متدليات إلى الدنيا فمن يأخذ بغصن من أغصانها قاده ذلك الغصن إلى النار . وابن عدىّ : الجنة دار الأسخياء . والطبرانى : إن فى الجنة بيتا يقال له بيت الأسخياء . والترمذى والبيهقى : السخىّ قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار . والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار . والجاهل السخىّ أحبّ إلى الله من عابد بخيل وقال سلمان الفارسى : إذا مات السخىّ قالت الأرض والحفظة يارب تجاوز عن عبدك بسخائه فى الدنيا . وإذا مات البخيل قالت : اللهم احجب هذا العبد عن الجنة كما حجب عبادك عما فى يده من الدنيا . وقد صح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أجود من الريح المرسلة . وصح أيضا : أنه صلى الله عليه وسلم لما مرض كان عنده سبعة دنانير فأمر عائشة أن تعطيها لعلىّ ليتصدق بها فاشتغلت بإغمائه صلى الله عليه وسلم فكان كلما أفاق أمر بذلك حتى أعطتها لعلىّ فأمست ليلة موته صلى الله عليه وسلم وليس عندها شىء فاحتاجت لمصباح . فأرسلت إلى امرأة من نسائه تطلب منها سمنا . وقال عمر رضى الله عنه : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندى فقلت اليوم أسبق أبا بكر رضى الله عنه إن سبقته يوما فجئت بنصف مالى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك فقلت مثله . فأتى أبو بكر رضى الله عنه بكل ماله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك ؟ قال أبقيت لهم الله ورسوله فقلت لا أسابقك بشىء أبدا . وروى الطبرانى : أن عمر رضى الله عنه أرسل مع غلامه بأربعمائة دينار لأبى عبيدة بن الجراح وأمره بالتأنى ليرى مايصنع فيها فذهب بها إليه وأعطاها له ، وتأنى يسيرا ففرقها كلها . فرجع الغلام لعمر فأخبره . فوجده قد أعدّ مثلها لمعاذ بن جبل فأرسلها معه إليه وأمره بالتأنى كذلك ففعل ففرقها فاطلعت زوجته وقالت : نحن والله مساكين فأعطنا . فلم يبق فى الخرقة إلا ديناران فأعطاهما لها . فرجع الغلام لعمر وأخبره فسرّ بذلك وقال : إنهم إخوة بعضهم من بعض . وجاء بسند حسن : إن زوجة طلحة بن عبيد الله رأت منه ثقلا فقالت له مالك ؟ لعله رابك منا شىء فنعتبك . قال لا ولنعم حليلة المرء المسلم أنت ولكن اجتمع عندى مال ولا أدرى كيف أصنع ؟ قالت ومايغمك منه . ادع قومك فاقسمه بينهم فقال ياغلام علىّ بقومى . فكان جملة ماقسم أربعمائة ألف . وفى الرياض النضرة أعطى طلحة أعرابيا سأله ثلثمائة ألف وباع أرضا من عثمان بسبعمائة ألف فحملها إليه . فلما جاء بها قال إن رجلا يبيت عنده هذه فى بيته لايدرى مايطرقه من أمر الله . فبات ورسله تختلف فى سكك المدينة حتى أسحر وما عنده منها درهم . وبعث عبد الله بن الزبير إلى عائشة رضى الله عنها بمال فى غرارتين عدّته ثمانون ومائة ألف درهم وهى صائمة . فجعلت تقسم بين الناس فأمست وما عندها من ذلك درهم فقالت لجاريتها هلمى فطورى . فجاءت بخبز وزيت فقالت لها الجارية : فما استطعت فيما قسمت فى هذا اليوم أن تشترى لنا لحما بدرهم ؟ قالت لاتعنفينى لوكنت ذكرتينى لفعلت . ووصل عبد الرحمن بن عوف أزواج النبى صلى الله عليه وسلم بمال بلغ أربعين ألفا

فرأيته فى النام بعد اثنتى عشرة سنة كأنه قد اغتسل وهو متلفع بإزار فقلت يا أمير المؤمنين كيف وجدت ربك و بأى حسناتك جازاك فقال ياعبدالله كم لى منذ فارقتكم فقلت اثنتاعشرة سنة فقال منذ فارقتكم كنت فى الحساب وخفت أن أهلك إلا أن الله غفور رحيم جواد كريم فهذا حال عمر ولم يكن له فى دنياه شىء من أسباب الولاية سوى درة . وروى أنه زنى أبو شحمة ولد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فجلده مائة جلدة فمات فلما كان بعد أربعين يوما قال حذيفة بن اليمان رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النام وإذا الفتى معه وعليه حلتان خضراوان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرئ عمر منى السلام وقل له هكذا أمرك أن تقرأ القرآن وتقيم الحدود وقال الغلام ياحذيفة أقرئ أبى منى السلام وقل له طهرك الله كما طهرتنى

وأوصى بحديقة لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمائة ألف . ولمن بقى من أهل بدر لكل رجل أربعمائة دينار وكانوا مائة فأخذوها ؛ وهى أيضا بخمسين ألف دينار ؛ وألف فرس فى سبيل الله وباع أرضا له من عثمان بأربعين ألف دينار ؛ فقسم ذلك المال فى رحمه بنى زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين وتصدق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف درهم ؛ ثم بأربعين ألف درهم ؛ ثم بأربعين ألف دينار ؛ ثم خمسمائة فرس فى سبيل الله ؛ ثم وردت له قافلة من تجارة بالشام فحملها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فدعا له النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة ؛ فنزل جبريل فقال : إن الله يقرئك السلام ويقول لك : أقرئ عبدالرحمن السلام وبشره بالجنة رضى الله عنهم وعنا معهم ؛

وحكى لما قدم إمامنا الشافعى رضى الله عنه من صنعاء إلى مكة كان معه عشرة آلاف دينار ، فقيل له تشترى بها ضيعة ؛ فضرب خيمة خارج مكة وصب الدنانير فكل من دخل عليه أعطاه قبضة ، فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شىء . وقيل إن أمه قالت له لو دخلت ومعك درهم ماسلمت عليك . ياابن آدم أنفق ينفق عليك ووسع يوسع عليك ولا تقتر فيقتر عليك واشتر بالفانى الباقى قبل أن تبلغ النفس التراق .

فصل فى الضيافة

أخرج الديلمى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخل الضيف على القوم دخل برزقه وإذا خرج خرج بمغفرة ذنوبهم . وأبو الشيخ عن أبى قرصافة : إذا أراد الله تعالى لقوم خيرا أهدى إليهم هدية . الضيف ينزل برزقه ويرتحل برزقه وقد غفر الله لأهل المنزل . وابن أبى الدنيا عن حبان بن أبى جندة : إن أسرع صدقة إلى السماء أن يصنع الرجل طعاما طيبا ثم يدعو إليه ناسا من إخوانه . والحكيم الترمذى عن عائشة رضى الله عنها : إن الملائكة لاتزال تصلى على أحدكم مادامت مائدته موضوعة . والحاكم عن أبى هريرة : من أطعم أخاه المسلم شهوته حرمه الله على النار . وهو عن جابر : من ذبح لضيفه ذبيحة كانت فداء له من النار . والشيخان عن أبى هريرة : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال إنى مجهود ، فأرسل إلى بعض نسائه فقالت : والذى بعثك بالحق ماعندى إلا ماء . ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذى بعثك بالحق ماعندى إلا ماء . فقال : من يضيف هذا الليلة ؟ فقال رجل من الأنصار أنا يارسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته أكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى رواية : قال لامرأته هل عندك شىء ؟ قالت لا إلا قوت صبيانى . قال فعلليهم بشىء فإذا أرادوا العشاء فنوميهم وإذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج وأريه أنا نأكل فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين . فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال لقد عجب الله بصنيعكما بضيفكما الليلة . فأنزل الله - ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة -

وحكى اليافعى عن الشيخ أبى الربيع المالقى أنه قال: سمعت بامرأة من الصالحات فى بعض القرى اشتهر أمرها . وكان من دأبنا أن لانزور امرأة فدعت الحاجة إلى زيارتها للاطلاع على الكرامة التى اشتهرت عنها وكانت تدعى بالفضة . فنزلنا القرية التى هى فيها فذكر لنا أن عندها شاة تحلب لبنا وعسلا فاشترينا قدحا جديدا لم يوضع فيه شىء ومضينا إليها وسلمنا عليها . ثم قلنا لها نريد

والسلام . وروى عن أبى بكر بن أبى الدنيا عن بعض أصحابه أنه قال لنباش بعد توبته ماسبب توبتك ورجوعك إلى الله قال نبشت إنسانا فوجدته قد سمر بمسامير فى جميع جسده ومسمار كبير فى رأسه وآخر فى رجليه وقيل لآخر ماسبب توبتك قال رأيت جمجمة إنسان قد صب فيها الرصاص . ويروى أن بعض النباشين نبش ذات ليلة قبرا فلما كشف عن الميت إذا بنار تحرق الميت فأهوت إليه منها شرارة فهرب وتاب إلى الله تعالى وقيل روى الأوزاعى فى المنام فقال مارأيت ههنا درجة أرفع من درجة العلماء ثم المحزونين . وروى أبو عبد الله النداد فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال أوقفنى وغفر لى كل ذنب أقررت به فى الدنيا إلا واحدا استحييت أن أقر به فوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى فقيل له وماذاك فقال نظرت إلى شخص

أن نرى هذه البركة التى ذكرت لنا عن هذه الشاة التى عندكم ، فأخذنا الشاة وحلبناها فى القدح فشربنا لبنا وعسلا . فلما رأينا ذلك سألناها عن قصة الشاة ؟ فقالت نعم كانت لنا شويهة ونحن قوم فقراء ولم يكن لنا شىء . فحضر العيد فقال لى زوجى وكان رجلا صالحا نذبح هذه الشاة فى هذا اليوم قلت له لاتفعل فانه قد رخص لنا فى الترك والله يعلم حاجتنا إليها فاتفق أن استضاف بنا فى ذلك اليوم ضيف ولم يكن عندنا قرى فقلت له يارجل هذا ضيف وقد أمرنا باكرامه فخذ تلك الشاة فاذبحها قال فخفنا أن يبكى عليها صغارنا فقلت له أخرجها من البيت إلى وراء الجدار فاذبحها . فلما أراق دمها قفزت شاة على الجدار فنزلت إلى البيت فخشيت أن تكون قد انفلتت منه فخرجت لأنظرها . فاذا هو يسلخ الشاة فقلت له يارجل عجبا وذكرت له القصة فقال لعل الله أبدلنا خيرا منها فكانت تلك تحلب اللبن وهذه تحلب اللبن والعسل ببركة إكرامنا الضيف .

فصل فى الزهد

قال الله تعالى - من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب - . وأخرج البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما . قال «أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى فقال : كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك . وابن ماجه عن سهل بن سعد الساعدى ، قال جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس ؟ قال «ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » والديلمى « اتركوا الدنيا لأهلها فان من أخذ منها فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر » والترمذى «الزهادة فى الدنيا ليس بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن الزهادة فى الدنيا أن لاتكون بما فى يدك أوثق بما فى يد الله وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أنت أصبت أرغب منك فيها لو أنها أبقيت لك » والقضاعى : الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة فيها تكثر الهم، والحزن والبطالة تقسى القلب . والطبرانى : تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم فانه من كانت الدنيا أكبر همه أفشى الله ضيعته وجعل الله فقره بين عينيه ومن كانت الآخرة أكبر همه جمع الله تعالى أمره وجعل غناه فى قلبه وما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا جعل الله قلوب المؤمنين تفدو إليه بالود والرحمة وكان الله بكل خير إليه أسرع . والشيخان قالت عائشة رضى الله عنها ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض. والترمذى قال عبد الله بن مسعود: نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر فى جنبه فقلنا يارسول الله لو اتخذنا لك وطاء ؟ فقال مالى وللدنيا ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها . وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت لم يمتلىء جوف النبى صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى إلى أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإن كان ليظل جائعا يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها فأعطى ولقد كنت أبكى له رحمة مما أرى وأمسح بيدى على بطنه مما به من الجوع وأقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول ياعائشة مالى وللدنيا إخوانى من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم

جميل فاستحييت أن أذكره وروى عن هاشم بن حسان أنه قال مات لى ابن حدث فرأيته فى النوم فاذا شيب فى رأسه فقلت يابنى ماهذا الشيب قال لما قدم علينا فلان زفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق أحد منا إلا شاب. وقيل لما مات كرز بن وبرة رؤى فى المنام كأن أهل القبور خرجوا من قبورهم وعليهم ثياب جدد بيض وقيل ماهذا ؟ فقالوا إن أهل القبور كسوا لباسا جددا لقدوم كرز عليهم. وروى أن بعض الصالحين قال كان لى ابن استشهد فلم أره فى المنام إلى ليلة توفى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إذ تراءى لى تلك الليلة فقلت يابنى ألم تك ميتا فقال لا ولكنى استشهدت وأنا حى عند الله تعالى أرزق فقلت ما جاء بك فقال نودى فى أهل السموات أن لا يبقى نبى ولا صديق ولا شهيد إلا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز

فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدنى أستحي إن ترفهت فى معيشتى أن يقصر بى غدا دونهم ومامن شيء أحبّ إليّ من اللحوق باخوانى وأخلائى . قالت فما أقام بعد إلا شهرا حتى توفى صلى الله عليه وسلم .

وروى أن سليمان عليه السلام كان مع ماأعطى من الملك لايرفع بصره إلى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم الناس لذائذ الأطعمة ويأكل خبز الشعير وقد قيل له مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض قال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع .وقال عروة بن الزبير : لقد تصدقت عائشة رضى الله عنها بخمسين ألفا وإن درعها لمرقع .

وحكى اليافعى أن بعض ملوك الأمم السالفة بنى مدينة وتأنق وتغالى فى حسنها وزينتها ثم صنع طعاما ودعا الناس وأجلس أناسا على أبوابها يسألون كل من خرج هل رأيتم عيبا ؟ فيقولون لا حتى جاء ناس فى آخر الناس عليهم أكسية فسألوهم : هل رأيتم عيبا ؟ فقالوا عيبين اثنين فحبسوهم ودخلوا على الملك فأخبروه بما قالوا . فقال ما كنت أرضى بعيب واحد فائتونى بهم فأدخلوهم عليه فسألهم عن العيبين ماهما ؟ فقالوا تخرب ويموت صاحبها . قال : أفتعلمون دارا لاتخرب ولايموت صاحبها ؟ قالوا له نعم فذكروا له الجنة ونعيمها وشوّقوه إليها وذكروا النار وعذابها وخوّفوه منها ودعوه إلى عبادة الله عزوجلّ فأجابهم إلى ذلك وخرج من ملكه هاربا إلى الله تعالى .

[تنبيه] إن الزهد الحقيق برودة الدنيا على قلب العبد لأجل الله وعظيم ثوابه ومقدماته ترك طلب المفقود من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك إرادتها واختيارها فاذا أتى بها العبد أورثت تلك الزهد الحقيق . ثم الباعث على الترك والتفريق ذكر آفات الدنيا وعيوبها . قال بعضهم : تركت الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها . وقال الغزالى القول البالغ فيه ماقاله شيخنا أبو بكر الطوسى : إن الدنيا عدوّة الله عزّ وجلّ وأنت محبه فمن أحبّ أحدا أبغض عدوّه. جعلنا الله من المبغضين للدنيا والمحبين للآخرة . وروى الليث عن جرير قال : صحب رجل عيسى عليه السلام ، وقال يانبيّ الله أكون معك وأصحبك فانطلقا إلى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقى رغيف فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب ، ثم رجع فلم يجد الرغيف ، فقال للرجل من أخذ الرغيف ؟ قال لا أدرى فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان لها . قال فدعا أحدهما فأتاه فذبحه وشوى منه وأكل هو والرجل . ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب ، فقال للرجل أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف ؟ قال ماأدرى قال ثم انتهيا إلى نهر فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا . قال أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف ؟ قال لاأدرى ، قال فانتهيا إلى مفازة فجلسا فأخذ عيسى فجمع ترابا أورملا ، وقال له كن ذهبا باذن الله فكان ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث . فقال لى ثلث ولك ثلث ولمن أخذ الرغيف ، فقال أنا أخذته ، قال فكله لك وفارقه عيسى فانتهى إليه رجلان وهو فى المفازة ومعه المال فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه . فقال هو بيننا أثلاثا قال فابعثوا أحدكم إلى القرية ليشترى طعاما فقال الذى بعث لأى شيء نقاسم هذا المال لأجعلنّ لهما فى الطعام سما فأقتلهما به وآخذ هذا المال جميعه فجعل فيه السم وقال صاحباه فى غيبته لأىّ شيء نقاسمه المال إذاجاء قتلناه واقتسمنا المال نصفين فجاء فقتلاه . ثم أكلا الطعام فماتا وبقى المال فى المفازة وأولئك الثلاثة قتلى حوله فمرّ عيسى عليه السلام بهم وهم على تلك الحالة فقال لأصحابه : هذه الدنيا فاحذروها .

جئت لأشهد الصلاة ثم جئتكم لأسلم عليكم وروى عن عبد الواحد ابن عبد المجيد الثقفى قال رأيت جنازة يحملها ثلاثة رجال وامرأة قال فأخذت مكان المرأة وذهبنا إلى المقبرة فصلينا عليها ودفناها فقلت للمرأة من كان هذا منك قالت ابنى قلت أولم يكن لك جيران قالت نعم ولكنهم صغروا أمره فقلت وإيش كان هذا فقالت هو مخنث قال فرحمتها وذهبت بها إلى منزلى وأعطيتها دراهم وحنطة وثيابا ونمت تلك الليلة فرأيت كأنه أتانى آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يشكرنى فقلت من أنت فقال أنا المخنث الذى دفنتمونى اليوم رحمنى ربى باحتقار الناس إياى تزود لنفسك ياأخى بالتقوى ومن عرف مابين يديه لم يؤثر الهوى ومن تفكر فى رحيل من كان له به صار النهوض مستيقنا عنيه كم مغرور بشبابه وصحة حاله اختطفه

خاتمة فى فضل الفقر والفقراء

أخرج ابن ماجه عن ابن عمر «يامعشر الفقراء، ألا أبشركم أن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام» وأبو نعيم عن أبى سعيد «ليبشر فقراء المؤمنين بالفوز يوم القيامة قبل الأغنياء بمقدار خمسمائة عام هؤلاء فى الجنة يتنعمون وهؤلاء يحاسبون» ومسلم عن ابن عباس «اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء» وابن عساكر «إن أطولكم فى الدنيا حزنا أطولكم فرحا فى الآخرة وإن أكثركم شبعا فى الدنيا أكثركم جوعا فى الآخرة» وهو وأبو نعيم عن أبى هريرة «إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحجّ ولا العمرة يكفرها الهموم فى طلب المعيشة» وابن عساكر «إنّ الله تعالى لما خلق الدنيا أعرض عنها، ثم قال وعزتى وجلالى لأنزلنك إلا فى شرار خلقى» والترمذى «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء» والبيهقى «نزل جبريل فى أحسن ما كان يأتينى صورة. فقال: إن الله تعالى يقرئك السلام يامحمد ويقول لك إنى قد أوحيت إلى الدنيا أن تمرّرى وتكدرى وتضيقى وتشددى إلى أوليائى كى يحبوا لقائى فإنى خلقتها سجنا لأوليائى وجنة لأعدائى» ومسلم عن أبى هريرة قال «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال: ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ قالا الجوع يارسول الله قال: وأنا والذى نفسى بيده لأخرجنى الذى أخرجكما قوموا فقاموا معه، فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس فى بيته، فلما رأته المرأة قالت مرحبا وأهلا. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين فلان؟ قالت ذهب يستعذب لنا الماء إذ جاء الأنصارىّ فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا منى فانطلق بعذق فيه بسر وتمر ورطب. فقال كلوا وأخذ المدية. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن العذق وشربوا، فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وعمر: والذى نفسى بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم» والبخارى عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه: أتى بطعام وكان صائما. فقال قتل أو توفى مصعب بن عمير وهو خير منى فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة إن غطى بها رأسه بدت رجلاه وإن غطى رجلاه بدا رأسه ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط لنا أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا قد خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت لنا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام، وهو عن أبى هريرة قال لقد رأيتنى وإنى لأخرّ فيما بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حجرة عائشة رضى الله عنها مغشيا علىّ فيجىء الجائى فيضع رجله على عنقى ويرى أنى مجنون ومابى جنون ومابى إلا الجوع وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يبيت هو وأهله الليالى المتتابعة طاويا لايجدون عشاء. وروى «أن جبريل عليه السلام نزل فقال للنبى صلى الله عليه وسلم إن الله يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل هذا الجبل ذهبا ويكون معك حيثما كنت؟ فأطرق ساعة ثم قال: ياجبريل الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له يجمعها من لاعقل له. فقال له جبريل ثبتك الله يامحمد بالقول الثابت» وروى عن الحسن البصرى أنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالعبد الفقير يوم القيامة فيعتذر

الموت من خلاله كم من مائل إلى جمع ماله تركه تركة ومر بأثقاله هل رحم الموت مريضا لضعف أوصاله هل ترك كاسبا لأجل أطفاله:

لقد أخبرتك الحادثات نزولها
ونادتك ألا إن سمعك ذو وقر
تنوح وتبكى للأحبة أن مضوا
ونفسك لاتبكى وأنت على الأثر

اللهم ارحمنا ولاتعذبنا وانصرنا ولا تخذلنا وعافنا ولا تمرضنا وأكرمنا ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا إنك على كلّ شئ قدير.

[فصل] فى أشراط الساعة قال الله تعالى «اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم» وروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر

الله عزّ وجلّ إليه كما يعتذر الرجل إلى الرجل فى الدنيا فيقول : وعزّتى وجلالى ما زويت عنك الدنيا لهوانك علىّ ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج ياعبدى إلى هذه الصفوف وانظر إلى من أطعمك أو كساك وأراد بذلك وجهى فخذ بيده فهو لك ، والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف و ينظر من فعل به ذلك فى الدنيا فيأخذ بيده و يدخله الجنة» .

وحكى القشيرى عن بعضهم أنه قال : رأيت كأنّ القيامة قد قامت و يقال أدخلوا مالك بن دينار ومحمد بن واسع الجنة فنظرت أيهما يتقدّم فتقدّم محمد بن واسع فسألت عن سبب تقدّمه فقيل لى إنه كان له قميص واحد ولمالك قميصان .

وحكى اليافعى عن الشيخ أبى محمد الجريرى قال : دخل علينا الرباط بعد صلاة العصر شاب مصفرّ اللون أشعث الشعر حاسر الرأس حافى القدمين فجدّد الوضوء وصلى ثم جلس ووضع رأسه فى جيبه إلى المغرب ، فلما صلى معنا المغرب جلس كذلك و إذا رسول الخليفة يستدعينا فى دعوة فقمت إلى الشاب وقلت له هل لك أن توافقنا إلى دار الخليفة فرفع رأسه وقال : ليس لى قلب إلى دار الخليفة ولكن أشتهى عصيدة حارة فاطرحت قوله حيث لم يوافق الجماعة والتمس شهوة وقلت فى نفسى هذا قريب العهد بالطريقة لم يتأدّب ومضيت إلى دار الخليفة وأكلنا وشبعنا وتفرقنا آخر الليل ، فلما دخلت الرباط رأيت الشاب على تلك الحالة فجلست على سجادتى ساعة فلهجت عيناى بالنوم و إذا جماعة وقائل يقول : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنبياء كلهم عليهم السلام فدنوت إليه وسلمت عليه فولى وجهه عنى معرضا ، فكرّرت عليه وهو يعرض عنى ولا يجيب فخفت من ذلك . فقلت يارسول الله ما الذى أذنبت حتى تعرض عنى بوجهك ؟ فقال فقير من أمتى اشتهى عليك شهوة فتهاونت به فاستيقظت مرعوبا ، وقمت نحو الفقير فلم أجده وسمعت صوت الباب فخرجت فى طلبه . فاذا هو به قد خرج فناديته يافتى اصبر حتى نحضر شهوتك التى طلبتها فالتفت إلىّ وقال : إذا اشتهى فقير عليك شهوة فلا توصلها إليه حتى يتشفع إليك بمائة ألف نبىّ وأربعة وعشرين ألف نبى فلا حاجة إليها ومضى . حشرنا الله فى زمرة المساكين وأدخلنا معهم الجنان آمين .

فصل فى المنّ بالصدقة

قال الله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ـ بين الله تعالى أنّ من تصدّق بشىء من أنواع الصدقات اشترط لنيله ذلك الثواب العظيم الذى أعدّه الله للمتصدّقين أن تسلم صدقته من المنّ بها على المعطى والأذى . فالمن هو أن يعتد نعمته على الآخذ أو يذكرها لمن لا يحبّ الآخذ اطلاعه . وقيل هو أن يرى لنفسه مزية على المتصدّق عليه باحسانه ولذلك لاينبغى أن يطلب منه دعاء ولا يطمع فيه لأنه ربما كان فى مقابلة إحسانه فيسقط أجره .

أخبرنا شيخنا قطب الوجود وشمس دائرة الشهود محمد البكرى عن جدّته عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها كانت إذا تصدقت على أحد أرسلت على أثره رسولا يتبعه إلى مسكنه ليتعرف هل يدعو لها فتدعو له بمثل دعائه لئلا يكون دعاؤه فى مقابلة الصدقة فينقص أجرها ، فلذا قال

ويقلّ الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم » وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا اتخذ الفىء دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما وتعلم لغير دين الله وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات فى المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الأمة أولها فارتقبوا ريحا حمراء وزلزلة وخسفا وقذفا وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع» وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلاء يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم فيبعث الله رجلا من عترتى وأهل بيتى فيملأ به الأرض

أصحابنا : يستحب للمتصدّق أن يدعو للمتصدّق عليه بمثل مادعا له . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : كان أبي يقول إذا أعطيت رجلا شيئا ورأيت أن سلامك يثقل عليه : أى لكونه يتكلف لك قياما ونحوه لأجل إحسانك إليه فكف سلامك عنه . والأذى هو أن ينهره أو يعيره أو يشتمه فهذا كالمنّ مسقط للثواب كما أخبر الله تعالى . وأخرج مسلم : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل إزاره ، والمنانّ الذى لا يعطى شيئا إلا منة والمنفق سلعته بالحلف الكاذب . والحاكم : ثلاثة لايقبل الله منهم يوم القيامة صرفا ولاعدلا عاقّ ومنان ومكذب بالقدر . والنسائى : لايدخل الجنة خبّ ولا بخيل ولا منان .

[مهمات] أخرج الطبرانى : يا أمة محمد والذى بعثنى بالحق لايقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون صلته ويصرفها إلى غيرهم ؛ والذى نفسى بيده لاينظر الله إليه يوم القيامة . وهو أيضا : مامن ذى رحم يأتى ذا رحمه فيسأله فضلا أعطاه الله إياه فيبخل عليه إلا أخرج الله له من جهنم حية يقال لها شجاع يتلمظ فيطوق به . والتلمظ : تطعم مايبقى فى الفم من آثار الطعام . والشيخان : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل ؛ ورجل بايع رجلا سلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك ؛ ورجل بايع إماما لايبايعه إلا لدنيا ؛ فان أعطاه منها وفى وإن لم يعطه منها لم يف . وفى رواية يقول الله اليوم أمنعك فضلى كما منعت فضل مالم تعمل يدك . وابن ماجه قالت عائشة رضى الله عنها: يارسول الله ما الشيء الذى لايحل منعه ؟ قال الماء والملح والنار وأخرج أبو داود والحاكم : من يتكفل لى أن لايسأل الناس شيئا أتكفل له الجنة . وهما وأحمد : من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى إما بموت آجل أو غنى عاجل . وأحمد عن أبى ذرّ لا تسأل الناس شيئا ولا سوطك وإن سقط منك حتى تنزل إليه فتأخذه . والبيهقى ليستغن أحدكم عن الناس بقضيب سواك . والترمذى إن المسألة لا تحل لغنىّ ولا لذى مرة أى قوة سوىّ أى تام الخلق سالم من موانع الاكتساب إلا لذى فقر مدقع أى شديد أو غرم مفظع ، ومن سأل الناس ليثرى به ماله كان خموشا فى وجهه يوم القيامة ورضفا أى حجارة محماة يأكله من جهنم ، فمن شاء فليكثر ومن شاء فليقلل . وأبو داود من سأل وعنده ما يغنيه فانما يستكثر من النار ، قالوا وما الغنى الذى لاينبغى معه المسألة ؟ قال قدر مايغدّيه ويعشيه . يعنى أن من وجد غداء يومه وعشاءه يحرم عليه أن يسأل صدقة التطوع وأما صدقة الفرض فلا يحرم سؤالها إلا على من عنده كفاية بقية العمر الغالب على الراجح عندنا فيهما . قال بعضهم إنما يحرم سؤال الصدقة على من وجد غداء وعشاء على دائم الأوقات أى لمدة الطويلة ، والزكاة على من وجد كفاية سنة . وقال أبو حنيفة يجوز دفع الزكاة إلى من يملك دون النصاب وإن كان صحيحا مكتسبا ، لكن لايحل السؤال لمن كان له قوت يومه . وأخرج البخارى عن عمر رضى الله عنه إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك . والشيخان عن عائشة رضى الله عنها ياعائشة من أعطاك بغير مسألة فاقبليه فانما هو رزق عرضه الله إليك . والترمذى من صنع إليه معروف ، فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد أبلغ فى الثناء . وابن ماجه إن الله يبغض السائل الملحف أى الملح والطبرانى ملعون من سأل بوجه الله وملعون من سئل بوجه الله ثم منع سائله مالم يسأل هجرا :

قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض لاتدع السماء من قطرها شيئا إلا صبته مدرارا ولا تدع الأرض من نباتها شيئا إلا أخرجته حتى يتمنى الإحياء الأموات يعيش فى ذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين . وفى صحيح مسلم عن حذيفة ابن أسيد الغفارى قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون قالوا نذكر الساعة قال إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم .

[فصل] فى صحيح مسلم قال : ثلاث إذا

أى خنا أو أمرا قبيحا لايليق ، ويحتمل أنه يراد مالم يسأل سؤالا قبيحا بكلام قبيح . وأحمد « ألا أخبركم بشرّ البرية ؟ قالوا بلى يارسول الله . قال الذى يسأل بالله ولا يعطى » والطبرانى «ألا أحدثكم عن الخضر ؟ قالوابلى يارسول الله . قال بينماهو ذات يوم يمشى فى سوق بنى إسرائيل أبصره رجل مكاتب . فقال تصدّق علىّ بارك الله فيك . فقال الخضر آمنت ماشاء الله من أمر يكون ماعندى شئ أعطيكه ، فقال المسكين : أسألك بوجه الله لما تصدّقت علىّ فانى نظرت السماحة فى وجهك ورجوت البركة عندك . فقال الخضر آمنت بالله ماعندى شئ أعطيكه إلا أن تأخذنى فتبيعنى . فقال المسكين وهل يستقيم هذا ؟ قال نعم أقول : لقد سألتنى بأمر عظيم أما إنى لاأخيبك بوجه ربى بعنى قال فقدمه إلى السوق فباعه بأربعمائة درهم فمكث عند المشترى زمانا لايستعمله فى شئ ، فقال إنما اشتريتنى لالتماس خير عندى فأوصنى بعمل . فقال أكره أن أشق عليك إنك شيخ كبير ضعيف . قال ليس يشق علىّ قال قم فانقل هذه الحجارة وكان لاينقلها دون ستة نفر فى يوم فخرج الرجل لبعض حاجاته ثم انصرف وقد نقل الحجارة فى ساعة ، فقال أحسنت وأجملت وأطقت مالم أرك تطيقه . ثم عرض للرجل سفر فقال إنى أحسبك أمينا فاخلفنى فى أهلى خلافة حسنة قال أوصنى بعمل قال إنى أكره أن أشق عليك قال ليس يشق علىّ قال فاضرب من اللبن لبيتى حتى أقدم عليك . قال فمرّ الرجل لسفره قال فرجع الرجل وقد شيد بناءه . قال أسألك بوجه الله ماسببك وما أمرك ؟ قال سألتنى بوجه الله ووجه الله أوقعنى فى هذه العبودية . فقال الخضر : سأحدثك من أنا ، أنا الخضر الذى سمعت به سألنى مسكين صدقة فلم يكن عندى شئ أعطيه ، فسألنى بوجه الله فأمكنته من رقبتى فباعنى وأخبرك أنه : من سئل بوجه الله فرد سائله وهو يقدر وقف يوم القيامة جلده ولا لحم له يتقعقع ، فقال الرجل آمنت بالله شققت عليك يانبىّ الله لو أعلم ، قال لابأس أحسنت وأبقيت ، فقال الرجل بأبى وأمى يانبىّ الله احكم فى أهلى ومالى بماشئت أواختر فأخلى سبيلك . قال أحبّ أن تخلى سبيلى فأعبد ربى فخلى سبيله ، فقال الخضر : الحمد لله الذى أوثقنى فى العبودية ثم نجانى منها .

اللهم اجعلنا من المحسنين إلى الاخوان والفائزين بالجنان آمين .

باب الصوم

قال الله تبارك وتعالى ـ ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات ـ وأخرج ابن ماجه والبيهقى عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شهر رمضان شهر كتب الله عليكم صيامه وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وأحمد عن أبى هريرة « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفرله ماتقدم من ذنبه وماتأخر » وهو عنه « من أدرك رمضان وعليه من رمضان شئ فانه لايقبل منه حتى يصومه » وأبو يعلى عن ابن عباس « عرا الاسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الاسلام من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم شهادة أن لاإله إلا الله والصلاة المكتوبة وصوم رمضان » وفى رواية « من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولاعدل وقد حلّ دمه وماله » وأبوداود والنسائى والترمذى والبيهقى وابنا ماجه وخزيمة عن أبى هريرة « من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة رخصها الله له ولا مرض

خرجن لاينفع نفسا إيمانهالم تكن آمنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض . واختلف فى أول الآيات فقيل أولها طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وجاء من رواية ابن أبى شيبة عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها . ودابة الأرض طولها ستون ذراعا ذات قوائم وو بر وقيل مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات تصدع بجبل الصفا فتخرج منه ليلة جمع والناس نزول إلى منى وقيل تخرج من أرض الطائف ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام لايدركها طالب ولايعجزها هارب تضرب المؤمن بالعصا فينكت فى وجهه مؤمن وتطبع الكافر بالخاتم فينكت فى وجهه كافر . وفى صحيح مسلم عن النواس ابن سمعان قال : ذكر

لم يقضه صوم الدهر كله و إن صامه . قال على وابن مسعود رضى الله عنهما : من أفطر يوما من رمضان لايقضيه صوم الدهر . قال النخعى : إنّ من أفطر يوما من رمضان يجب عليه ثلاثة آلاف يوم والذى عليه أكثر العلماء أنه يجزئ عن اليوم يوم ولوأقصر منه .

خاتمة فى سرد أحاديث تتعلق بالصوم

أخرج الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ ربكم يقول كل حسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف والصوم لى وأنا أجزى به والصوم جنة من النار ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وإن جهل على أحدكم جاهل وهو صائم فليقل إنى صائم ، وللصائم فرحتان فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه » وابن حبان والحاكم عن أبى هريرة « إذا كان أوّل ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجنّ وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادى مناد كل ليلة : ياباغى الخير أقبل و ياباغى الشرّ أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة » وابنا خزيمة وحبان : أنه صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين آمين آمين ؟ قيل يارسول الله إنك صعدت المنبر فقلت آمين آمين آمين ؟ فقال إنّ جبريل عليه السلام أتانى فقال : من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ، ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرّهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين ، ومن ذكرت عنده فلم يصلّ عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين . ومحمد بن منصور السمعانى عن أنس : إنما سمى رمضان لأنه يرمض الذنوب . والطبرانى والبيهقى عن عمر رضى الله عنه : ذاكر الله فى رمضان مغفور له وسائل الله فيه لايخيب . والبيهقى عن عبد الله بن أبى أوفى : نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح وعمله مضاعف ودعاؤه مستجاب وذنبه مغفور . والحاكم عن ابن عمر : لكل عبد صائم دعوة مستجابة عند إفطاره أعطيها فى الدنيا أو ادّخر له فى الآخرة . وفى المسند عن واثلة بن الأسقع عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «أنزلت صحف ابراهيم فى أوّل ليلة من شهر رمضان ، وأنزلت التوراة لستّ مضين من رمضان ، وأنزل الانجيل لثلاث عشرة مضين من رمضان ؟ وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان » وروى عن سعيد بن المسيب عن سلمان مرفوعا قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر يوم من شعبان فقال : يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم شهر مبارك فيه ليلة خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوّعا من تقرّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدّى فريضة فيما سواه ومن أدّى فيه فريضة كان كمن أدّى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد فيه الرزق من فطر فيه صائما كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبة من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شئ قالوا يارسول الله ليس كلنا نجد مانفطر الصائم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يعطى الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن وهو شهر أوّله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار . ومن خفف عن مملوكه غفر الله له وأعتقه من النار واستكثروا فيه من أربع خصال : خصلتين ترضون بهما ربكم ؟ وخصلتين لاغنى لكم عنهما : أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه . وأما اللتان لاغنى لكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار ؟ ومن سقى صائما سقاه الله من

رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال فقال إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طافية كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف فإنها جوازكم من فتنته إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله ومالبثه فى الأرض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما إسراعه فى الأرض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتى القوم فيدعوهم فيؤمنون به فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم

حوضى شربة لايظمأ بعدها أبدا . وفى رواية : من فطر صائما فى شهر رمضان من كسب حلال صلت عليه الملائكة ليالى رمضان كلها وصافحه جبريل عليه السلام ليلة القدر ، ومن صافحه جبريل عليه السلام يرقّ قلبه وتكثر دموعه . وروى سلمة بن شبيب عن ابن عباس مرفوعا : لله فى كل ليلة من ليالى شهر رمضان عند الإفطار ألف ألف عتيق من النار فاذا كان ليلة الجمعة أعتق الله فى كل ساعة منها ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجب النار فاذا كان آخر ليلة من الشهر أعتق فى ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره أعتقنا الله من النار . وقال النخعى : صوم يوم من رمضان أفضل من ألف يوم وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة وركعة فيه خير من ألف ركعة والنفقة فيه مضاعفة كالنفقة فى سبيل الله . وروى عن ابن مسعود أنه قال : إذا كان يوم القيامة وأراد الله بعبد خيرا أعطاه الله كتابه جهرا ، وقال له اقرأ سرّا حتى لايفضحه بين خلقه فيقرأ كتابه سرّا فلم يسمعه أحد فتقول الملائكة إلهنا هذه عناية لم تسبق لأحد من العصاة وقد أوعدت من عصاك أن تعذبه وتحرقه بالنار فيقول سبحانه وتعالى : ياملائكتى إنى أحرقته فى الدنيا بنار الجوع والعطش فى الحرّ الشديد فى شهر رمضان فلا أحرقه اليوم بالنيران وقد عفوت عنه وغفرت له ماسلف من الذنوب والعصيان ، وأنا الكريم المنان .

وحكى عن بعض أهل العلم أنه قال : كان عندنا رجل اسمه محمد وكان لايصلىّ إلا قطعا ، فاذا دخل شهر رمضان زين نفسه بالثياب الفاخرة والطيب ويصوم ويصلى ويقضى مافاته . فقلت له فى ذلك . فقال : هذا شهر التوبة والرحمة والبركة عسى الله أن يتجاوز عنى بفضله فمات فرأيته فى المنام . فقلت له مافعل الله بك ؟ قال غفر لى لأجل حرمة شهر رمضان ، غفر الله لنا ولجميع المسلمين .

فصل فى أحكام الصوم

فرضه : نية ليلا لكل يوم من رمضان ، وأقلها نويت صوم رمضان ، والأكمل نويت صوم غد عن أداء فرض رمضان هذه السنة لله تعالى والتلفظ بها وترك مفطر نهارا .

وسننه : السحور وبالتمر أحبّ ويحصل ولو بجرعة ماء ووقته من نصف الليل وتأخيره أولى ما لم يقع فى شك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « السحور كله بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء فانّ الله وملائكته يصلون على المتسحرين » رواه أحمد . وقال صلى الله عليه وسلم « خير خصال الصائم السواك » رواه البيهقى . وقال « إذا صمتم فاستاكوا بالغداة ولا تستاكوا بالعشىّ فانه ليس من صائم تيبس شفتاه بالعشىّ إلا كان نورا بين عينيه يوم القيامة » رواه الطبرانى : وتعجيل فطر إذا تحقق الغروب وتقديمه على الصلاة وكونه بثلاث رطبات فتمرات فحسوات ماء ودعاء بعده وهو : اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت وبك آمنت وعليك توكلت ورحمتك رجوت وإليك أنبت ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه عزّ وجلّ قال الله « أحبّ عبادى إلىّ أعجلهم فطرا » رواه الترمذى . وقال صلى الله عليه وسلم « لاتزال أمتى على سنتى مالم ينتظروا بفطرهم طلوع النجم » رواه الطبرانى . ويسنّ فى رمضان إكثار تلاوة القرآن وصدقة وتوسعة على العيال وإحسان إلى الأقارب والجيران وتهجد واعتكاف لاسيما عشر آخره ودعاء : اللهم إنك عفوّ تحب العفو فاعف عنى فى العشر الأواخر .

أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعا وأمدّه خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردّون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شئ من أموالهم ويمرّ بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه مثل جمان كاللؤلؤ فلا يحلّ لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لدّ فيقتله ثم يأتى عيسى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم

ويندب للصائم أن يكف نفسه عن الشهوات المباحة من التلذذ بمسموع أومبصر أوملموس أومشموم كشمّ ريحان ونظر إليه ولمسه وأن يغتسل لنحو جنابة قبل الفجر وأن يحترز عن ذوق طعام أوغيره ومضغ نحو الخبز لطفل ، ولسانه عن الفحشاء .

ومفسداته : وصول عين جوفه واستقاءة واستمناء ووطء في فرج مع تعمد واختيار وعلم بتحريمه و بكونه مفطرا و يجب مع القضاء الامساك في رمضان على متعمد أفطر وتارك نية ليلا ، ومن تسحر ظانا بقاءه أوأفطر ظانا الغروب فبان خلافه ومن بان له يوم ثلاثي شعبان أنه من رمضان ومن سبقه ماء المبالغة في مضمضة أواستنشاق لاعلى مسافر ومريض زال عذرهما بعد الفطر ولاعلى امرأة طهرت من حيض أو نفاس نهارا ، ثم يسن لهم الامساك بقية النهار فان خالفوا ندب إخفاء أكلهم عمن يجهل عذرهم ، ومما يبطل ثواب الصوم إجماعا الكذب والغيبة والمشاتمة لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري . وقال صلى الله عليه وسلم « ربّ صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ » رواه النسائي وورد في حديث « ليس الصيام من الطعام والشراب إنما الصيام من اللغو والرفث » قال الحافظ أبو موسى المديني هو على شرط مسلم قال بعض السلف أهون الصيام ترك الطعام والشراب وقال إذا صمت فليصم سمعك و بصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذى الجار .

واعلم أن التقرب إلى الله تعالى بترك المباحات لا يكمل إلا بعد التقرب بترك المحرمات ، فمن ارتكب المحرمات ثم تقرب بترك المباحات كان بمثابة من يترك الفرائض و يتقرب بالنوافل و إن كان صومه مجزئا عند الجمهور بحيث لا يؤمر باعادته ؛ لكن قال الأوزاعي يفطر بالكذب والغيبة لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خمس خصال يفطرن الصائم و ينقضن الوضوء : الكذب والغيبة والنميمة والنظرة بشهوة واليمين الكاذبة » رواه الأزدي والديلمي عن أنس . وفي مسند الامام أحمد « أن امرأتين صامتا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهدهما الجوع والعطش في آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذنانه في الافطار فأرسل إليهما قدحا لهما قيآ فيه ما أكلتا فقاءت إحداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا (١) وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه ، فتعجب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرّم الله عليهما فعدت إحداهما على الأخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم »

وروى عن أبي مسعود الأنصاري أنه قال مامن عبد صام رمضان في إنصات وسكوت وذكر الله وأحل حلاله وحرّم حرامه ولم يرتكب فيه فاحشة إلا انسلخ من رمضان يوم ينسلخ وقد غفرت له ذنوبه كلها و يبنى له بكل تسبيحة وتهليلة بيت في الجنة من زمردة خضراء في جوفها ياقوتة حمراء في جوف تلك الياقوتة خيمة من درة مجوفة فيها زوجة من الحور العين .

اخواني اهتموا بأمر صومكم واحذروا مما يبطله و يرده عليكم فقد قيل إذا تعلق مظالم بحسنات صوم ظالمه يقول الله سبحانه وتعالى : الصوم لي وأنا أجزي به . فلا تفسدوا مثل هذا العمل بترك المبالاة بحدود الله عزّ وجل واتركوا في رمضان المخالفة والجفاء فانه شهر الصفاء والمعاملة بالوفاء ، فطوبى لأقوام صاموا عن الشهوات وقاموا في الخلوات يتلون من آيات ذكره

(١) الغريض : الطري اهـ قاموس .

ويحدثهم في الجنة بدرجاتهم فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عبادا لي لايدان لأحد بقتالهم فأحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون قد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله إليهم نشابهم مخضوبة دما ويحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلايجدون في الأرض موضع شبر

صحفا ، ضاعف الله لهم بصيامهم أجرا ، ووعدهم فى الجنة قصورا وغرفا :

شهر الصيام لقد علوت مكرّما ... وغدوت من بين الشهور معظما
ياصائمى رمضان هذا شهركم ... فيه أباحكم المهيمن مغنما
يافوز من فيه أطاع إلهه ... متقربا متجنبا ما حرّما
فالويل كل الويل للعاصى الذى ... فى شهره أكل الحرام وأجرما

نسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا ممن حافظ على حدود صيام رمضان ففاز بالفردوس والجنان والقصور والحور العين الحسان .

فصل فى فضل العشر الأخير وليلة القدر والاعتكاف

وإحياء ليلتى العيد وصدقة الفطر

أخرج الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت « كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأخير شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله » وفى رواية لمسلم عنها قالت « كان النبى صلى الله عليه وسلم يجتهد فى العشر الأخير مالايجتهد فى غيره » وكان النبى صلى الله عليه وسلم يخص العشر الأواخر فى رمضان بأعمال لايعملها فى بقية الشهر . وأخرج الديلمى عن أنس « إن الله تعالى وهب لأمتى ليلة القدر ولم يعطها من كان قبلهم » والطبرانى عن عبادة بن الصامت « التمسوها فى العشر الأواخر فانها وتر فى إحدى وعشرين ، أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو آخر ليلة ، فمن قامها إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر » وهو عن واثلة : ليلة القدر ليلة بلجة لا حارة ولا باردة ولا سحاب فيها ولا مطر ولا ريح ولا يرمى فيها بنجم من علامة يومها أن تطلع الشمس لاشعاع لها . والنسائى عن عائشة رضى الله عنها قالت « قلت يارسول الله أرأيت إن علمت أىّ ليلة ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال قولى اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى » وأخرج الديلمى عن عائشة « من اعتكف ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه » وابن ماجه والبيهقى عن ابن عباس « المعتكف يعكف الذنوب ويجرى له من الأجر كأجر عامل الحسنات كلها » والشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده » والبيهقى عن الحسن بن على رضى الله عنهما « من اعتكف عشرا فى رمضان كان كحجتين وعمرتين » والطبرانى عن أبى أمامة « تمام الرباط أربعون يوما ومن رابط أربعين يوما لم يبع ولم يشتر ولم يحدث حدثا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وأخرج ابن ماجه عن أبى أمامة « من قام ليلتى العيد محتسبا لله لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » وابن عساكر عن معاذ « من أحيا الليالى الأربع وجبت له الجنة : ليلة التروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر » وأخرج الدارقطنى والبيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما « زكاة الفطر فرض على كل مسلم حرّ وعبد وذكر وأنثى من المسلمين صاع من تمر أوصاع من شعير » وهما عن ابن عباس رضى الله عنهما « زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين من أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات » وابن صصرى عن جرير « إن شهر رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر » .

الا ملاء زعمهم وروى زهمهم بضم الزاى وفتح الهاء وموضع زهمة وهى الريح المنتنة وتنتهم فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ويروى تطرحهم بالمهبل ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعباتهم سبع سنين ثم يرسل الله مطرا لا يكنّ منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض انبتى ثمرتك وردّى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك فى الرسل حتى أن اللقحة من الابل لتكفى الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وتبقى شرار الناس يتهارجون

إخواني مضى شهر رمضان وشهد على المسيء بالاساءة وعلى المحسن بالاحسان ، وحصل كلٌّ على ماقسم له من ربح وخسران فياحسرة المفرط لقد أضاع الزمان ، و ياخيبة المسوّف كأنه أخذ من الموت الأمان أو علم أن القضاء يمهله إلى صوم رمضان ثان ، هذا شهركم قد انتصب لكم مودّعا وسارمسرعا فأين البكاء لرحيله وأين الاستدراك لقليله وأين الاقتداء بفعل الخير ودليله ؟ فلله ما كان أطيب زمانه من صوم وسهر ، وما كان أصفى أوقاته من آفات الكدر ، وما كان ألذ الاشتغال فيه بالآيات والسور ، فياليت شعري من قام بواجباته وسننه ومن اجتهد فى عمارة زمنه ، ومن الذى أخلص فى سره وعلنه ، ومن الذى خلص من آفات الصوم وفتنه . رزقنا الله تعالى امتثال الفضائل واجتناب الرذائل ، ومنّ علينا بحسن القبول والثواب الجزيل آمين .

فصل فى صوم التطوّع

أخرج البيهقى عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل « قال الله تعالى الصيام جنة يستجنّ بها العبد من النار وهو لى وأنا أجزى به » والخطيب عن سهل بن سعد « من صام يوما تطوّعا لم يطلع عليه أحد لم يرض الله له بثواب دون الجنة » والشيخان عن أبى سعيد « من صام يوما فى سبيل الله بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا » والترمذى عن عمارة « الصائم إذا أكلت عنده المفاطير صلت عليه الملائكة » وأخرج أحمد ومسلم عن أبى أيوب « من صام رمضان وأتبعه ستا من شوّال كان كصوم الدهر » والطبرانى عن عمر رضى الله عنه « من صام رمضان وأتبعه ستا من شوّال خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وأخرج مسلم عن أبى قتادة « إن صيام يوم عرفة يكفر ذنوب سنتين سنة ماضية وسنة آتية » وأبو سعيد عن ابن عمر رضى الله عنهما « من صام يوم عرفة غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر » والبيهقى عن الفضيل « من حفظ لسانه وسمعه و بصره يوم عرفة غفر له من عرفة إلى عرفة » وأخرج ابن أبى شيبة عن أبى هريرة « صوموا يوم عاشوراء هو يوم كانت الأنبياء يصومونه فصوموه » ومسلم عن أبى قتادة « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم عاشوراء فقال يكفر السنة الماضية » وهو عن ابن عباس « لئن بقيت إلى قابل لأصومنّ التاسع » وأخرج أحمد والترمذى عن أبى ذرّ « من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الدهر كله » وهما وابن حبان عنه « إذا صمت من الشهر ثلاثا فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة » والطبرانى عن ابن عباس « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدع صوم أيام البيض فى سفر ولا حضر » وأخرج أحمد وابن ماجه عن أبى هريرة « كان النبى صلى الله عليه وسلم يصوم الاثنين والخميس فقيل يارسول الله إنك تصوم الاثنين والخميس ، فقال إن يوم الاثنين والخميس يغفر الله فيهما لكلّ مسلم إلا المتهاجرين يقول دعهما حتى يصطلحا » والترمذى عنه « كان صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم الاثنين والخميس وقال : تعرض الأعمال فيهما فأحب أن تعرض أعمالى وأنا صائم » وأخرج الترمذى وابن ماجه عنه « مامن أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذى الحجة يعدل صيام كلّ يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر » وأبو داود « أنه صلى الله عليه وسلم كان يصوم تسع ذى الحجة » ومسلم عنه « أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة فى جوف الليل ، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم » والبيهقى عن أنس « إن فى الجنة نهرا يقال له رجب أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل

تهارج الحمير فعليهم تقوم الساعة وأنشد بعضهم :

مثل لقلبك أيها المغرور يوم القيامة والسماء تمور
قد كورت شمس النهار وأضعفت حرا على رأس العباد تفور
وإذا الجبال تقلعت بأصولها فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا العشار تعطلت عن أهلها خلت الديار فما بها معمور
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا الوحوش لدى القيامة أحضرت وتقول للأملاك أين نسير
فيقال سيروا تشهدون فضائحا وعجائبا قد أحضرت وأمور
وإذا الجنين بأمه متعلق خوف الحساب وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف لهوله كيف المقيم على الذنوب دهور .

من صام يوما من رجب سقاه الله من ذلك النهر » وهو والترمذى عنه « أفضل الصوم بعد رمضان شعبان لتعظيم رمضان وأفضل الصدقة صدقة فى رمضان » والنسائى والبيهقى عن عائشة رضى الله عنها قالت « دخل علىّ النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال : هل عندكم شئ؟ فقلنا لا فقال إنى إذا صائم » وروى عن أنس بن مالك أنه قال « يخرج الصائمون من قبورهم يوم القيامة يعرفون بعرف صيامهم من أفواههم يخرج أطيب من ريح المسك تنقل إليهم الموائد والأباريق مختومة أفواهها بالمسك فيقال لهم كلوا فقد جعتم حين شبع الناس واشربوا فقد عطشتم حين روى الناس واستريحوا فقد تعبتم حين استراح الناس قال فيأكلون ويشربون ويستريحون والناس مشغولون فى الحساب فى عناء وظمأ » عن أبى سليمان الدارانى أنه صام يوما فى الحرّ ثم نام فرأى قائلا يقول : أتبيع ثواب صومك فى هذا اليوم بمائة دينار ؟ قال لا ، قال وبمائة ألف قال لا قال وبمائتى ألف قال لا وعزة ربى وجلاله ، قال فبأىّ شئ تبيعه ؟ فقال لا أبيع الثواب بالدنيا ومافيها ، ولكن أبيعه بالنظر إلى المولى ، فقيل له صم فسوف تراه إن شاء الله تعالى .

وحكى اليافعى عن الشبلى أنه قال : كنت فى قافلة بالشام فخرج الأعراب فأخذوها وجعلوا يعرضونها على أميرهم فخرج جراب فيه سكر ولوز وأكلوا منه ولم يأكل الأمير فقلت له لم لاتأكل فقال أنا صائم فقلت تقطع الطريق وتأخذ الأموال وتقتل النفس وأنت صائم فقال ياشيخ أترك للصلح موضعا ، فلما كان بعد حين رأيته يطوف حول البيت وهو محرم كالشنّ البالى ، فقلت أنت ذلك الرجل ؟ فقال نعم ذلك الصيام أوقع الصلح بيننا رحمه الله ورحمنا معه ، وهو أيضا عن سعيد بن أبى عروبة قال : حج الحجاج بن يوسف فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا بالغداء وقال لحاجبه انظر لى من يتغدى معى وأسأله عن بعض الأمر فنظر هو الجبل فاذا هو بأعرابىّ بين شمختين نائم فضربه برجله وقال ائت الأمير فأتاه ، فقال له الحجاج اغسل يدك وتغدّ معى ، فقال إنه قد دعانى من هو خير منك فأجبته قال ومن هو ؟ قال الله تبارك وتعالى دعانى إلى الصوم فصمت قال فى هذا الحرّ الشديد ؟ قال نعم صمت ليوم هو أشدّ حرّا من هذا اليوم ، قال فأفطر وصم غدا ، قال إن ضمنت لى البقاء إلى غد أفطرت ، قال ليس ذلك إلىّ . قال فكيف تسألنى عاجلا بآجل لاتقدر عليه ، قال إنه طعام طيب ، قال لم تطيبه أنت ولا الطباخ إنما طيبته العافية . رضى الله عنه وعنا .

خاتمة فى فضل عاشوراء

أخرج النسائى عن علىّ رضى الله عنه : إن كنت صائما بعد شهر رمضان فصم المحرم فانه شهر الله فيه يوم تاب الله على قوم ويتوب على آخرين . والشيخان عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماهذا اليوم الذى تصومونه ؟ فقالوا هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه بصيامه » ومسلم عن أبى قتادة « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم عاشوراء ، فقال يكفر السنة الماضية » والبيهقى « صوموا التاسع والعاشر ولا تشبهوا باليهود » وروى بعض العلماء المتقدمين

[فصل] قال الله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لايظلمون ووفيت كل نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين وترى

فى المنام فسئل عن حاله ، فقال غفر لى بصيام يوم عاشوراء ذنوب ستين سنة .

وحكى اليافعى والناشرى فى إيضاحه : من أعجب ما ورد فى عاشوراء أنه كان يصومه الوحوش والهوام .

وحكى عن فتح بن شخرف أنه قال : كنت أفت للنمل الخبز كل يوم فلما كان يوم عاشوراء لم تأكله . وأخرج أبوموسى المدينى عن عبد الله بن عمر « من صام عاشوراء فكأنما صام السنة » ومن تصدق فيه كان كصدقة السنة . والطبرانى والبيهقى عن أبى سعيد « من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه فى سنته كلها » قال سفيان بن عيينة : جربنا العمل بهذا الحديث خمسين سنة أو ستين سنة فوجدناه كذلك .

وحكى اليافعى أنه كان فى الرى قاض غنى فجاءه فقير يوم عاشوراء فقال له أعز الله القاضى أنا رجل فقير ذو عيال ، وقد جئتك مستشفعا بحرمة هذا اليوم لتعطينى عشرة أمنان خبز وخمسة أمنان لحم ودرهمين فوعده القاضى بذلك إلى وقت الظهر فرجع فوعده إلى العصر ، فلما جاء وقت العصر لم يعطه شيئا ، فذهب الفقير منكسر القلب فمر بنصرانى جالس بباب داره فقال له بحق هذا اليوم أعطنى شيئا ، فقال النصرانى وما هذا اليوم ؟ فذكر له الفقير من صفاته شيئا ، فقال له النصرانى اذكر حاجتك فقد أقسمت بعظيم الحرمة فذكر له الخبز واللحم والدرهمين فأعطاه عشرة أقفزة حنطة ومائة من لحم وعشرين درهما وقال هذا لك ولعيالك ما دمت حيا فى كل شهر كرامة لهذا اليوم فذهب الفقير إلى منزله ، فلما جن الليل ونام القاضى سمع هاتفا يقول : ارفع رأسك فرفع رأسه فأبصر قصرا مبنيا بلبنة من ذهب ولبنة من فضة وقصرا من ياقوتة حمراء يبين ظاهره من باطنه فقال إلهى ماهذان القصران ؟ فقيل له هذان كانا لك لو قضيت حاجة الفقير فلما رددته صارا لفلان النصرانى ، قال فانتبه القاضى مرعوبا ينادى بالويل والثبور فغدا إلى النصرانى فقال له : ماذا فعلت البارحة من الخير ؟ فقال وكيف ذلك ؟ فذكر له الرؤيا ثم قال له بعنى الجميل الذى عملته مع الفقير بمائة ألف درهم ، فقال أيها القاضى كل مقبول غال لاأبيع ذلك بملء الأرض كلها أتبخل على بالقصرين ؟ فقال أنت لست بمسلم ، فقطع الزنار وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأن دينه هو الحق .

وحكى أنه كان بمصر رجل تاجر فى التمر يقال له عطية بن خلف وكان من أهل الثروة ثم افتقر ولم يبق له سوى ثوب يستر عورته ، فلما كان يوم عاشوراء صلى الصبح فى جامع عمرو بن العاص ومن عادة هذا الجامع لا يدخله النساء إلا فى يوم عاشوراء لأجل الدعاء ، فوقف يدعو مع جملة الناس وهو بمعزل عن النساء ، فجاءته امرأة ومعها أطفال فقالت يا سيدى : سألتك بالله إلا ما فرجت عنى وآثرتنى بشىء أستعين به على قوت هذه الأطفال فقد مات أبوهم وما ترك لهم شيئا وأنا شريفة ولاأعرف أحدا أقصده ، وما خرجت فى هذا اليوم إلا عن ضرورة أحوجتنى إلى بذل وجهى وليس لى عادة بذلك . فقال الرجل فى نفسه أنا ماأملك شيئا وليس لى غير هذا الثوب وإن خلعته انكشفت عورتى وإن رددتها فأى عذر لى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال لها : اذهبى معى حتى أعطيك شيئا فذهبت معه إلى منزله ، فأوقفها على الباب ودخل وخلع ثوبه واتزر بخلق كان عنده ثم ناولها الثوب من شق الباب . فقالت له : ألبسك الله من حلل الجنة ولا أحوجك فى باقى عمرك إلى أحد ففرح بدعائها وأغلق الباب ودخل بيته يذكر الله تعالى إلى الليل ، ثم نام فرأى فى المنام حوراء لم ير الراءون أحسن منها و بيدها تفاحة قد عطرت ما بين

الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين – وفى كتاب النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنتم وصاحب القرن قد التقم القرن وأصغى بسمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ فينفخ . قالوا يا رسول الله وكيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا . قلت يا رسول الله النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض » وفى كتاب الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحشر الناس يوم

السماء والأرض فناولته التفاحة فكسرها فخرج منها حلة من حلل الجنة لاتساويها الدنيا وما فيها فألبسته الحلة وجلست فى حجره . فقال لها من أنت ؟ فقالت أنا عاشوراء زوجتك فى الجنة . قال فبم نلت ذلك ؟ فقالت بدعوة تلك المسكينة الأرملة والأيتام الذين أحسنت إليهم بالأمس ، فانتبه وعنده من السرور مالا يعلمه إلا الله تعالى وقد عبق من طيبه المكان ، فتوضأ وصلى ركعتين شكرا لله تعالى ، ثم رفع طرفه إلى السماء فقال : إلهى إن كان منامى حقا وهذه زوجتى فى الجنة فاقبضنى إليك فما استتمّ الكلام حتى عجل الله بروحه إلى دار السلام .

واعلم أن ما يفعله الناس يوم عاشوراء من الاغتسال ولبس الثياب الجدد والاكتحال والتطيب والاختضاب بالحناء وطبخ الأطعمة بالحبوب وصلاة ركعات بدعة مذمومة . فالسنة ترك ذلك كله ، لأنه لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولا أحد من الأئمة الأربعة وغيرهم وما روى فيها من الأحاديث فكذب موضوع وأن ما يفعل فى كثير من البلدان من إيقاد القناديل الكثيرة فى ليال معروفة من السنة بدعة قبيحة منكرة . وفقنا الله لاكتساب الفضائل واجتناب الرذائل .

باب الحج

قال الله تعالى – ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلا – بوجدان الزاد والراحلة فاضلا عن دين ومؤن من يمونه ذهابا وإيابا . وأخرج الشيخان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيها الناس قد فرض الله عليكم الحجّ فحجوا من حجّ لله فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه والعمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » وأبو نعيم عن عبد الله بن مسعود « من جاء حاجا يريد به وجه الله فقد غفر الله له ماتقدّم من ذنبه وماتأخر وشفع فيمن دعا له » وأحمد وابن منيع وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله « من قضى نسكه وسلم المسلمون من لسانه و يده غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر » والطبرانى عن عبد الله بن جراد « حجوا فان الحجّ يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن » والترمذى والبيهقى عن علىّ رضى الله عنه « من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا» وقال عمر رضى الله عنه : لقد هممت أن أبعث رجالا إلى هذه الأمصار فينظروا كلّ من له جدة ولم يحجّ فيضربوا عليهم الجزية ماهم بمسلمين . وقال سعيد بن جبير مات لى جار موسر لم يحج فلم أصلّ عليه .

وحكى اليافعى أنه ركب جماعة من التجار فى البحر متوجهين إلى الحجّ فانكسر المركب وضاق وقت الحجّ وفيهم إنسان معه بضاعة بخمسين ألفا فتركها وتوجه إلى الحج فقالوا له لو أقمت فى هذا المكان لعله يخرج لك بعض بضاعتك . فقال والله لو حصلت لى الدنيا كلها ما اخترتها على الحجّ ودعاء من يشهده من أولياء الله بعد أن رأيت منهم ما رأيت ، قالوا ومارأيت منهم؟ قال كنا مرّة متوجهين إلى الحجّ فأصابنا عطش فى بعض الأيام و بلغت الشربة كذا وكذا ودرت فى الركب من أوّله إلى آخره فلم يحصل لى ماء بيبيع ولاغيره و بلغ العطش منا الجهد فتقدّمت قليلا و إذا أنا بفقير معه عكازة وركوة ، وقد ركز العكازة فى ساقية بركة والماء ينبع من تحت العكازة ويجرى فى الساقية إلى البركة ، فجئت إلى البركة ، فشربت وملأت قربتى ، ثم أعلمت الركب فاستقوا كلهم منها وتركوها وهى تطفح . قال : فهل يسمح بفوت مشهد يشهده هؤلاء القوم

القيامة على ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم قيل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال إنّ الذى أمشاهم فى الدنيا على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك » وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت منهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا » وفيه قال صلى الله عليه وسلم « يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض » وفيه قال يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة

رضى الله عنهم . وهو أيضا عن علىّ بن الموفق قال : جلست يوما فى الحرم وقد حججت ستين حجة . فقلت فى نفسى إلى متى أتردّد فى هذه المسالك والقفار . ثم غلبتنى عينى فنمت . فإذا أنا بقائل يقول : يابن الموفق هل تدعو إلى بيتك إلا من تحبّ فطوبى لمن أحبه المولى وحمله إلى المقام الأعلى . وهو عن أبى عبد الله الجوهرى قال : كنت سنة فى عرفات ؛ فلما كان آخر الليل نمت فرأيت ملكين نزلا من السماء . فقال أحدهما لصاحبه كم وقف هذه السنة . قال صاحبه ستمائة ألف ولم يقبل منهم إلا ستة أنفس . قال فهممت أن ألطم وجهى وأنوح على نفسى . فقال له مافعل الله فى الجميع قال نظر الكريم إليهم بعين الكرم فوهب لكل واحد مائة ألف وغفر بستة أنفس لستمائة ألف وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهو عن ذى النون أنه قال رأيت شابا عند الكعبة يكثر الركوع والسجود فدنوت منه فقلت إنك تكثر الصلاة . فقال أنتظر الاذن فى الانصراف . قال فرأيت رقعة سقطت عليه مكتوبا فيها : من الله العزيز الغفور إلى العبد الصادق الشكور انصرف مغفورا لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر قبل الله حجنا وغفر ماتقدم من كبائر ذنوبنا وما تأخر وتحمل عنا تبعاتنا آمين .

[تنبيه] إن الحج والعمرة تجبان فى العمر مرّة على كل مسلم مكلف حرّ مستطيع بوجدان الزاد والراحلة ولو ببيع عقاره فاضلا عن مئونة لائقة لمن يمونه ذهابا وإيابا وعن دين عليه ولو مؤجلا أو أمهل به إلى إيابه على التراخى بشرط عزمه على الفعل ، فمن مات أو عضب ولم يحج بعد الاستطاعة تبين فسقه فى آخر سنى الامكان ، وكذا فيما بعدها فى المعضوب إلى أن يحج عنه ، فما شهد به أوقضى فيها تبين بطلانه ، وكذلك تزويج موليته . قال الغزالى : من استطاع فأخر حتى أفلس لزمه كسب مؤنته أو سؤالها من زكاة أو صدقة ليحج وإلا مات عاصيا ، وقيل يجب على القادر أن لايتركه فى كل خمس سنين لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل إن عبدا صححت له جسمه ووسعت عليه فى المعيشة فمضى عليه خمسة أعوام لم يفد إلىّ لمحروم رواه البيهقى وابن حبان .

خاتمة فى بيان فضل الحج

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنّ الله تعالى يباهى بأهل عرفات الملائكة يقول : ياملائكتى انظروا إلى عبادى شعثا غبرا أقبلوا يضربون إلىّ من كل فج عميق فأشهدكم أنى قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيئهم لمحسنهم وأعطيت محسنيهم جميع ماسألونى غير التبعات التى بينهم . فإذا أفاض القوم إلى جمع ووقفوا وعادوا فى الرغبة والطلب إلى الله تعالى يقول الله تعالى ياملائكتى عبادى وقفوا فعادوا فى الرغبة والطلب فأشهدكم أنى قد أجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيئهم لمحسنهم وأعطيت محسنيهم جميع ماسألونى وكفلت عنهم بالتبعات التى بينهم . تحمل الله تبعاتنا وغفر كبائر ذنوبنا .

وروى : من أمّ البيت لاتضع ناقته خفا ولاترفعه إلا كتب له به حسنة ومحى عنه خطيئة وركعتا الطواف كعتق رقبة من بنى إسمعيل والسعى كعتق سبعين رقبة والوقوف يغفر به الذنوب وإن كانت بعدد الرمل وكقطر المطر وكزبد البحر وبكل حصاة من الجمار تكفير كبيرة من الموبقات والنحر مدخور عند الله وبكل شعرة حلقت حسنة ومحو خطيئة وبالطواف بعد ذلك يضع ملك يديه بين كتفيه فيقول اعمل فيما يستقبل وقد غفر لك مامضى . غفر الله لنا ماقدمنا

التقى قال سهل أوغيره وليس فيها معلم لأحد. وصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يبعث الميت فى ثيابه التى مات فيها» قيل المراد بالثياب العمل وحمله أبو سعيد الخدرى على ظاهره . وفى صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون كمقدار ميل» قال سليم ابن عامر فوالله ماأدرى مايعنى بالميل أمسافة الأرض أو الميل الذى يكتحل به العين قال « فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمهم العرق إلجاما وأشار بيده صلى الله عليه وسلم إلى فيه » وفى مسند أبى بكر البزار عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن العرق يلزم المرء فى الموقف حتى

وما أخرنا . وروى : إذا لقيت الحاج فسلم عليه وصافحه ومره أن يستغفرلك قبل أن يدخل بيته فانه مغفورله . وروى : إن آدم عليه السلام أتى البيت ألف أتية من الهند على رجليه لم يركب قط فيهن ومامن نبيّ إلاحج حتى هود وصالح .

وحكى القاضى عياض أن قوما أتوا إلى سعدون الخولانى بالمنستير فأعلموه أن كتامة قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه شيئا وبقى أبيض اللون ، فقال لعله حج ثلاث حجج . قالوا كيف ذلك ؟ قال حدثت أن من حج حجة أدّى فرضه ، ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرّم الله شعره و بشره على النار .

وحكى عن محمد بن المنكدر أنه حج ثلاثا وثلاثين حجة . فلما كان فى آخر حجة حجها ، قال وهو واقف بعرفات : اللهم إنى قد وقفت فى موقفى هذا ثلاثا وثلاثين وقفة فواحدة عن فرضى ، والثانية عن أبى والثالثة عن أمى ، وأشهدك يارب أنى قد وهبت الثلاثين لمن وقف موقفى هذا ولم يتقبل منه . فلما دفع بعرفات ونزل بالمزدلفة نودى فى المنام : ياابن المنكدر أتتكرم على من خلق الكرم ، أتجود على من خلق الجود ، إن الله تعالى يقول لك : وعزتى وجلالى لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل أن أخلق عرفات بألفى عام .

نسأل الله الكريم الجواد أن يغفر لنا كبائر ذنوبنا و يتحمل تبعاتنا و يقبل توبتنا .

فصل فى أحكام الحج

أركانه ؟ إحرام بنية ، نويت الحج وأحرمت به ، ووقوف بعرفة ، وطواف سبعا ، وسعى سبعا مبتدئا بالصفا إلى المروة وعائدا منها إلى الصفا ، و إزالة شعرات من رأس ، وأفضلها الوقوف ، وعند بعض المحققين الطواف ، وغير الوقوف أركان للعمرة .

وواجباته : إحرام من ميقات ، ومبيت بمزدلفة لحظة من نصف أخير من ليلة النحر ، ومبيت بمنى ليالى التشريق ورمى أيامها سبعا سبعا إلى الجمرات وطواف وداع لغير مكى ونحو حائض و يجب بترك واحد منها فدية .

وشروط الطواف : طهارة وستر عورة وابتداء بالحجر الأسود ومحاذاته بكل بدنه وجعل البيت عن يساره .

ومحرّمات الاحرام : وطء وقبلة ومباشرة بشهوة واستمناء ونكاح وتطيب ودهن شعر و إزالته وتقليم ظفر واصطياد وأكل ماصيد له ولبس رجل محيطا وستر رأسه وستر امرأة شيئامن وجهها فان فعل شيئا ناسيا أوجاهلا بتحريمه فان كان إتلافا كحلق شعر وقتل صيد وجبت الفدية أوتمتعا كلبس وتطيب فلا . ونقل النووى فى المجموع قول بعضهم : يندب أن يتشبه كل أحد بالمحرم فى عشر ذى الحجة بعدم إزالة شعر وظفر وقول آخرين : يندب التعريف فى يوم عرفة بالاجتماع بعد الظهر فى أىّ بلد كان للذكر والدعاء تشبها بأهل عرفة . ونقل الامام أحمد فعله عن الحسن وجماعة .

فصل فى فضل مكة

قال الله تعالى ـ إن أوّل بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ـ . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : والله إنك

تقول يارب إرسالك بى إلى النار أهون علىّ مما أجد وهو يعلم مافيهامن شدة العذاب وقال بعض السلف لوطلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لأحرقت الأرض وأذابت الصخر ونشفت الأنهار . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لاظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال إنى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » قال الحسن البصرى رحمه الله فما ظنكم بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا شربة حتى

لحجر أرض الله وأحبّ أرض الله إلىّ ولولا أنى أخرجت منك ماخرجت . وروى : ماعلى وجه الأرض بلدة يرفع الله تعالى فيها الحسنة الواحدة بمائة ألف حسنة إلا مكة ، ومن صلى فيها صلاة رفعت له مائة ألف صلاة ، ومن صام فيها يوما كتب الله له صوم مائة ألف يوم ، ومن تصدّق بدرهم كتب الله له مائة ألف درهم صدقة ، ومن ختم القرآن مرة واحدة كتب الله له مائة ألف ختمة ، ومن سبح الله تعالى فيها مرّة كتب الله له مائة ألف بغيرها ، وليوم واحد فى حرم الله وأمنه أرجى لك وأفضل من صيام الدهر وقيامه فى غيرها من البلدان . وروى : من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدّم من ذنبه وأعطى من الحسنات بعدد كل من صلى خلفه أضعافا وأمنه الله تعالى يوم القيامة من الفزع الأكبر وأمر الله عزّ وجلّ جبريل وميكائيل وجميع الملائكة أن يستغفروا له إلى يوم القيامة .

وروى : من طاف حول بيت الله سبعا فى يوم صائف شديد الحرّ حاسرا عن رأسه واستلم الحجر الأسود فى كل طوفة من غير أن يؤذى أحدا وقلّ كلامه إلا من ذكر الله كتب له بكل قدم يرفعها سبعون ألف حسنة ومحى عنه سبعون ألف سيئة ورفع له سبعون ألف درجة وفضل الماشى على الراكب كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب . وروى : من طاف بالبيت خمسين مرة يعنى خمسين أسبوعا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . وروى : إنّ الحجر الأسود يشهد لمن استلمه وقبله من أهل الدنيا ، وأنه شافع مشفع ، وأنه كان أشدّ بياضا من الثلج حتى سوّدته خطايا أهل الشرك ولولا ذلك مامسه ذوعاهة إلا شفى . وروى : لايدخل أحد الكعبة إلا برحمة الله ولا يخرج منها إلا بمغفرة الله عز وجل . وروى : النظر إلى الكعبة عبادة ومن نظر إلى البيت إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدّم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين . وروى : من مرض بمكة يوما واحدا حرّم الله جسده على النار . وروى : مامن أحد يدعو عند الركن الأسود إلا استجيب له وكذلك عند الركن اليمانى . وروى : ماعلى وجه الأرض بلدة يستجاب فيها الدعاء فى خمسة عشر موضعا إلا مكة : أولها جوف الكعبة ، والدعاء فيها مستجاب ، والدعاء عند الحجر الأسود مستجاب ، والدعاء عند الركن اليمانى مستجاب ، والدعاء تحت الميزاب مستجاب ، والدعاء فى الحجر مستجاب ، والدعاء فى الملتزم مستجاب ، والدعاء خلف المقام مستجاب ، والدعاء عند بئر زمزم مستجاب ، والدعاء على الصفا مستجاب ، والدعاء على المروة مستجاب ، والدعاء فى الموقف مستجاب ، والدعاء عند المشعر الحرام مستجاب ، والدعاء عند الجمرات الثلاث مستجاب .

وروى : يحشر الله تعالى من مقبرة مكة سبعين ألف شهيد يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر يشفع كل واحد منهم فى سبعين رجلا فقيل من هم يارسول الله ؟ فقال الغرباء ومن مات فى حرم الله تعالى أو حرم رسوله صلى الله عليه وسلم أومات بين مكة والمدينة حاجا أو معتمرا بعثه الله يوم القيامه من الآمنين ، ألا وإنّ التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق . كتب الله الكريم المنان البراءة لنا من النفاق والنيران وقبض أرواحنا فى أحد الحرمين وحشرنا فى زمرة شهداء حرمه الآمنين وأدخلنا الجنة بغير حساب آمين آمين .

وحكى اليافعى عن سهل بن عبد الله قال : مخالطة الولىّ للناس ذلّ وتفرّده عزّ قلما رأيت وليا لله إلا منفردا . وإنّ عبد الله بن صالح كان رجلا له سابقة وموهبة جزيلة وكان يفرّ من الناس من بلد إلى بلد حتى أتى مكة فطال مقامه ، فقلت له لقد طال مقامك بها ، فقال لى لم لا أقيم بها ولم أر بلدا ينزل فيه من الرحمة والبركة أكثر من هذا البلد والملائكة تغدو فيه وتروح

انقطعت أعناقهم عطشا واحترقت أجوافهم جوعا ثم انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية أى متناهية فى الحرارة أوقدت عليها جهنم منذ خلقها .

[فصل] فى الشفاعة المختصة بمحمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى - من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه - وفى صحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنّ النبى صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك ؟ يجمع الله الأوّلين والآخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغمّ والكرب مالايطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألاترون مابلغكم ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض أبوكم آدم

إنى أرى فيه عجائب كثيرة وأرى الملائكة يطوفون بالبيت على صور شتى لايقطعون ذلك ولو قلت كل مارأيت لصغرت عنه عقول قوم ليسوا له بمؤمنين . فقلت له أسألك بالله إلا ما أخبرتنى بشىء من ذلك فقال : مامن ولىّ لله تعالى صحت ولايته إلاوهو يحضر هذا البلد فى كل ليلة جمعة لايتأخر عنه فمقامى ههنا لأجل من أراه منهم ، ولقد رأيت رجلا يقال له مالك بن القاسم الجيلى وقد جاء ويده غمرة ، فقلت له إنك قريب عهد بالأكل فقال لى أستغفر الله فانى منذ أسبوع لم آكل ولكن أطعمت والدتى وأسرعت لألحق صلاة الفجر وبينه وبين الموضع الذى جاء منه تسعمائة فرسخ . أقول : وقد شاهدت تصديق ذلك من شيخى قطب الزمان وشمس دائرة العرفان أبى المكارم زين العابدين محمد البكرى متعنا الله بطول بقائه ونفعنا به وبدعائه وحشرنا تحت لوائه ، وهو أنّ شيخى كان جالسا فى ليلة من ليالى رمضان عام ستّ وستين وتسعمائة متوجها إلى بيت الله وناظرا إليه وكنت أنا وجماعة من فقرائه وراءه فقام الشيخ رضى الله عنه على هيئة التواضع والتأدب وقمنا معه وما رأينا عروض عارض للقيام ولا مجىء أحد إليه ، ثم جلس بعد ساعة فجلسنا فسأله بعض خواص أصحابنا الذى كان معنا فى ذلك الوقت عن قيام الشيخ رضى الله عنه فقال : إنّ أولياء الله يحضرون بهذا البيت ويجتمعون بأولياء الله تعالى وهذا من ذلك أدام الله لنا النفع به فى الدارين .

واعلم أنّ السيئات تضاعف فى مكة كما تضاعف الحسنات فيها على ماروى مجاهد عن ابن عباس والمراد بالمضاعفة زيادة القبح والعذاب . وروى الثورى عن ابن مسعود : مامن رجل يهمّ بسيئة إلا تكتب عليه . ولوأنّ رجلا بعدن أبين همّ أن يقتل رجلا بهذا البيت لأذاقه الله عز وجلّ من عذاب أليم . وقال جماعة من المفسرين تبعا لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس : إنّ من الظلم الذى يذيق الله صاحبه العذاب الأليم شتم الخادم فى الحرم .

وحكى شيخنا ابن حجر نفعنا الله به : أنه وقع لبعض من يعرفه الذى كان على هيئة جميلة وفضل تام وتصوّن بالغ زلة بتقبيل امرأة عند الحجر فمسخ مسخا كليا وصار بأرثّ هيئة وأقبح منظر وأفظع حالة بدنا ودينا وعقلا وكلاما .

وحكى أنّ بعض الطائفين نظر إلى أمرد أوامرأة فسالت عينه على خده وإنّ بعضهم وضع يديه على امرأة فالتصقتا وعجز الناس عن فكهما حتى دلهم بعض العلماء أنهما يرجعان إلى محل معصيتهما ويبتهلان إلى الله ويصدقان فى التوبة ، ففعلا ذلك ففرّج الله عنهما .

وقصة إساف ونائلة مشهورة وهى أنهما زنيا فى البيت فمسخهما الله حجرين . فنعوذ بالله من الزلات ونسأله أن يعصمنا من الفتن إلى الممات ، إنه أكرم كريم وأرحم رحيم .

فصل : فى زيارة قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

وفضل المدينة النبوية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حج فزار قبرى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى » وقال صلى الله عليه وسلم «من زار قبرى وجبت له شفاعتى» وقال « من حج إلى مكة ثم قصدنى فى مسجدى كتبت له حجتان مبرورتان» وقال «من حج ولم يزرنى فقد جفانى» وقال «من زارنى بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة » وقال « لايصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد

فيأتون آدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول آدم إنّ ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله ولن يغضب مثله بعده وإنه قد نهانى عن الشجرة فعصيته نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون أنت أول الرسل إلى الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا أما ترى إلى مانحن فيه ألا ترى إلى مابلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ فيقول إنّ ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه كانت لى دعوة دعوت بها على قومى نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك أما ترى

من أمتي إلا كنت له شفيعا يوم القيامة أو شهيدا » وقال « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها » نسأل الله الكريم أن يرزقنا شفاعة نبيه ، والموت في حرمه آمين .

وحكى أبو الحسن الصوفي قال : وقف حاتم الأصم على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارب إنا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين ، فنودي ياهذا ماأذنا لك في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقد طهرناك ، ارجع ومن معك من الزوار مغفورا لكم فإن الله عز وجل قد رضي عنك وعمن زار قبر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فارض اللهم عنا معهم .

باب فضل القرآن

أخرج البيهقي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرحمن على سائر خلقه » والحاكم عن ابن مسعود « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » وأحمد عن معاذ بن أنس « من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بها » وأحمد عن تميم « من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة » والحاكم عن أبي هريرة « من قرأ في ليلة مائة آية لم يكتب من الغافلين » والديلمي عن عمرو بن شعيب « إذا ختم العبد القرآن صلى عليه عند ختمه ستون ألف ملك » وأبو داود والنسائي عن أنس « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها ، ومثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه ، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من شرره شيء أصابك من دخانه » وأحمد عن أبي هريرة « من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلا آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة » والطبراني عن أنس « من علم ابنا له القرآن نظرا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومن علمه إياه ظاهرا فكلما قرأ الابن آية رفع الله بها للأب درجة حتى ينتهي إلى آخر ما معه من القرآن » والديلمي عن أبي أمامة « حامل القرآن حامل راية الاسلام ، ومن أكرمه فقد أكرمه الله ، ومن أهانه فعليه لعنة الله » وأخرج الترمذي والنسائي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها » ، وأبو داود عن سعد بن عبادة « ما من امرىء تعلم القرآن ثم نسيه إلا لقي الله يوم القيامة أجذم » .

وحكى اليافعي أن الامام أحمد بن حنبل قال : رأيت رب العزة في منامي فقلت يارب بم يتقرب إليك المتقربون ؟ قال بكلامي ، فقلت بفهم أو بغير فهم قال بفهم و بغير فهم .

[تنبيهات : أحدها] إن تلاوة القرآن أفضل من سائر أنواع الذكر العام الذي لم يخص بوقت أو محل ، وهي نظرا ، وفي الصلاة و بالليل ونصفه الأخير و بين العشاءين و بعد الصبح وفي أفضل الأوقات أفضل .

ما نحن فيه فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني كذبت ثلاث كذبات نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته و بكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله و إني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول عيسى إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا فيأتون محمدا صلى الله عليه

[فرع] يسنّ ترتيلها حتى للأعجمى الذى لايفهمه ، وهو الانتقال من حرف إلى حرف آخر بتأنّ بلاوقفة ، وحرف ترتيل أفضل من حرفى غيره . قال ابن عباس : لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إلى من أن أقرأ القرآن كله بغير ترتيل . قال بعضهم : يسنّ الوقوف على رأس كل آية وعليه أبو عمرو القارى . وينبغى أن يكون شأن القارئ الخشوع والتدبر والخضوع إذ هو المقصود والمطلوب وبه تستنير القلوب . قال أنس بن مالك : رب تال للقرآن والقرآن يلعنه . وورد فى التوراة : ياعبدى أما تستحي منى يأتيك كتاب بعض إخوانك وأنت فى الطريق تمشى فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك منه شئ وهذا كتابى أنزلته إليك أنظركم فصلت لك من القول وكم كرّرت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك ؟ ياعبدى يقصد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكلّ وجهك وتصغى إلى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كفّ وها أنا ذا مقبل عليك ومحدّث لك وأنت معرض عنى بقلبك أجعلتنى أهون عليك من بعض إخوانك ؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

[فائدة] قال فى المجموع : الاشتغال بحفظ مازاد على الفاتحة أفضل من صلاة التطوّع ، وأفتى بعض المتأخرين بأن الاشتغال بحفظه أفضل من الاشتغال بفرض الكفاية من سائر العلم دون فرض العين منها . وثانيها : أن نسيان آية أو حرف منه ولو بالاشتغال بما هو أهمّ منه كتعلم العلم العينى كبيرة . وثالثها أنه يجب على من حفظه بعد البلوغ بصفة من إتقان أو توسط أو غيرهما كأن يتوقف فيه أو يكثر غلطه أن يستمرّ على تلك الصفة التى حفظه عليها فيحرم عليه نقصها من حافظته . ورابعها أنه يحرم تمزيق ما كتب فيه قرآن عبثا وبلعه لا أكله ولا شرب محوه وترك رفعه عن الأرض ، ومدّ الرجل إليه ووضع نحو درهم فيه ، وفى كتب علم شرعى ، ويندب القيام له كالعالم .

وحكى يوسف المالكى أن الامام أبا بكر بن فورك ما نام فى بيت فيه مصحف قط وإذا أراد النوم انتقل عن المكان الذى فيه إعظاما لكتاب الله عزّ وجلّ .

فصل فى فضائل بعض السور والآيات

التى ورد فضلها فى الأحاديث غير الموضوعات

أخرج عبد الله بن حميد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فاتحة الكتاب تعدل بثلثى القرآن» وأحمد والترمذى عن أبى هريرة «والذى نفسى بيده ماأنزل الله فى القرآن ولا فى الزبور ولا فى الإنجيل ولا فى الفرقان مثلها : يعنى أمّ القرآن وإنها السبع المثانى والقرآن العظيم» وأحمد عن أبى أمامة «اقرءوا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما يأتيان كأنهما غمامتان أو غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صوافّ تحاجان عن أصحابهما ، اقرءوا سورة البقرة فانّ أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة» والبيهقى عن الصلصال «من قرأ سورة البقرة توّج بتاج فى الجنة» وابن مردويه والشيرازى عن ابن مسعود «أعظم آية فى كتاب الله آية الكرسى ، وأعدل آية فى القرآن ـ إنّ الله

وسلم ، وفى رواية فيأتونى فيقولون يامحمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى مانحن فيه فأنطلق وآتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ثم يفتح الله علىّ من محامده وحسن الثناء عليه مالم يفتحه على أحد قبلى ثم يقال يامحمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول أمتى يارب أمتى يارب فيقول يامحمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال والذى نفسى بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى» وفى الصحيحين «يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لايسترقون ولا

يأمر بالعدل والاحسان ـ إلى آخرها ، وأخوف آية فى القرآن ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ـ وأرجى آية فى القرآن قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ـ » والحاكم عن أبى ذر : إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذى تحت العرش فتعلموهن وعلموهن نساءكم وأبناءكم فانها صلاة وقراءة ودعاء . والدارمى عن عثمان ابن عفان رضى الله عنه «من قرأ آخر آل عمران فى ليلة كتب له قيام ليلة » وأحمد عن معاذ ابن أنس : آية العز ، وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية . والبيهقى عن ابن عباس «سورة الكهف تدعى فى التوراة الحائلة تحول بين قارئها و بين النار » ومسلم عن أبى الدرداء « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » وأحمد والترمذى والنسائى والحاكم عن جابر « كان النبى صلى الله عليه وسلم لاينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك » والدارمى عن خالد بن معدان قال « اقرءوا المنجية وهى الم تنزيل فانه بلغنى أن رجلا كان يقرؤها مايقرأ شيئا غيرها وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها عليه قالت رب اغفر له فانه كان يكثر قراءتى فشفعها الرب تعالى ، وقال اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة » وقال أيضا «إنها تجادل عن صاحبها فى القبر تقول : اللهم إن كنت من كتابك فشفعنى فيه و إن لم أكن من كتابك فامحنى عنه و إنها تكون كالطير تجعل جناحها عليه فتشفع له فتمنعه من عذاب القبر » وقال فى تبارك مثله . وعن أبى سعيد «من قرأ يس مرة فكأنما قرأ القرآن مرتين» وفى رواية البيهقى عن معقل بن يسار «من قرأ يس ابتغاء وجه الله غفر له ما تقدم من ذنبه فاقرءوها عند موتاكم» وأبو نعيم عن ابن مسعود رضى الله عنه « من قرأ يس فى ليلة أصبح مغفورا له » والبيهقى عن أبى هريرة «من قرأ يس كل ليلة غفر له » وفى رواية عنه « من قرأ يس فى يوم وليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له » والدارمى عن عطاء بن أبى رباح قال «من قرأ يس فى صدر النهار قضيت حوائجه » والبيهقى عن الخليل بن مرة قال « الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع يجئ كل حاميم منها يقف على باب من هذه الأبواب يقول اللهم لا تدخل هذا الباب من كان يؤمن بى و يقرؤنى » والترمذى عن أبى هريرة « من قرأ حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك » وابن الضريس عن الحسن قال « من قرأ سورة الدخان فى ليلة غفر له ما تقدم من ذنبه » والبيهقى والديلمى عن فاطمة رضى الله عنها « قارئ الحديد وإذا وقعت والرحمن يدعى فى ملكوت السموات والأرض ساكن الفردوس » والبيهقى عن ابن مسعود « من قرأ سورة الواقعة فى كل يوم لم تصبه فاقة أبدا » وابن عدى عن أنس « علموا نساءكم سورة الواقعة فانها سورة الغنى » والترمذى والنسائى عن العرباض بن سارية « كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ المسبحات فى كل ليلة قبل أن يرقد يقول : إن فيهن آية خير من ألف آية» قال الحافظ ابن كثير هى قوله ـ هو الأول والآخر إلى عليم ـ وقال أبى بن كعب: أفضل المسبحات سبح اسم ربك الأعلى والبيهقى عن أبى أمامة « من قرأ خواتيم الحشر من ليل أو نهار فقبض فى ذلك اليوم أو الليلة فقد أوجب الله له الجنة » وأحمد وأبو داود والترمذى والحاكم وابنا عدى وحبان عن أبى هريرة « إن سورة فى القرآن ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى تبارك الذى بيده الملك» وفى رواية أبى داود « تشفع » . والترمذى عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا

يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون» وفى رواية فى صحيح مسلم سبعون ألفا مع كل واحد منهم سبعون ألفا قال فى المفاتيح : التوكل نوعان خاص وهو أن يترك التداوى والاسترقاء والكى لغاية ثقته بأنه لايصيبه إلا ما كتب الله له من النفع والضر وهو المراد هنا . وعام يجب على الكل وهو أن يعلم أن لامؤثر إلا الله فالطعام لايشبع والأدوية لاتشفى إلا بأمره، ومن له هذا الاعتقاد جاز له التداوى والاسترقاء . وكسب المال بالتجارة والحرف .

[فصل : فى الحساب]

قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون وقال الله تعالى فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم

فيه إنسان يقرأ فيه سورة تبارك الذى بيده الملك حتى ختمها ؟ فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب الله . والحاكم عنه « وددت أن تبارك الذى بيده الملك فى قلب كل مؤمن » والترمذى عن أنس : من قرأ إذا زلزلت عدلت نصف القرآن ، ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت ربع القرآن ، ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له ثلث القرآن . والبيهقى عن ابن عمر « ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية فى كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية فى كل يوم ؟ قال أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر » . والشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه ومالك وأحمد والطبرانى والبزار وأبو عبيد عن عشرة من الصحابة « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » والعقيلى عن رجاء الغنوى « من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن أجمع » وأحمد عن معاذ بن أنس « من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له بيتا فى الجنة » والبيهقى وابن عدى عن أنس «من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة غفر الله له خطيئة خمسين عاما ما اجتنب خصالا أربعا : الدماء والأموال والفروج والأشربة » والطبرانى عن فيروز « من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فى الصلاة أو غيرها كتب الله له براءة من النار » اللهم اكتب لنا البراءة من النار . وورد فى سورة لم يكن : إن الله تعالى يقول لمن قرأها أبشر عبدى فوعزتى لأمكنن لك فى الجنة حتى ترضى . وفى العاديات :إنها تعدل نصف القرآن ، وفى سورة النصر :إنها تعدل ربع القرآن .وروى الجوينى فى تفسيره عن أبان ابن أبى عياش . قال حضرنا وفاة مورق العجلى ، فلما سجى وقلنا قد قضى رأينا نورا ساطعا قد سطع من عند رأسه حتى خرق السقف ، ثم رأينا نورا قد سطع عند رجليه مثل الأول ، ثم رأينا نورا سطع من وسطه فمكثنا ساعة ، ثم إنه كشف الثوب عن وجهه فقال هل رأيتم شيئا ؟ قلنا له نعم ، وأخبرناه مارأيناه فقال تلك سورة السجدة قد كنت أقرؤها فى كل ليلة وكان النور الذى رأيتم عند رأسى أربع عشرة آية من أولها ، والنور الذى رأيتم عند رجلى أربع عشرة آية من آخرها ، والنور الذى رأيتم فى وسطى آية السجدة بنفسها صعدت تشفع لى و بقيت سورة تبارك تحرسنى ، ثم قضى

وحكى اليافعى قال : سمعت من بعض الصالحين فى بعض بلاد اليمن ، أنه لما دفن بعض الموتى وانصرف الناس سمع فى القبر ضربا ودقا عنيفا ، ثم خرج من القبر كلب أسود ، فقال له الشيخ : ويحك إيش أنت قال أنا عمل الميت ، فقال هذا الضرب فيك أم فيه ؟ قال بل فىّ وجدت عنده سورة يس وأخواتها فحالت بينى و بينه وضربت وطردت . نسأل الله المنان أن يجنبنا عذاب القبر والنيران وأن يرزقنا الحور والجنان ببركة القرآن آمين .

باب أذكار الصباح والمساء

أخرج أحمد عن عبد الرحمن بن غنم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال قبل أن ينصرف ويثنى رجليه من صلاة المغرب والصبح : لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شىء قدير عشر مرات كتب له بكل واحدة عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات ، وكانت له حرزا من كل مكروه وحرزا من الشيطان الرجيم ولم يحل لذنب أن يدركه إلا الشرك ، وكان من أفضل الناس عملا إلا رجلا يفضله يقول أفضل مما قال.

بعلم وما كنا غائبين ـ وفى صحيح مسلم عن شقيق بن عبد الله قال النبى صلى الله عليه وسلم «يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» وفى صحيح البخارى «يجاء بنوح يوم القيامة فيقال هل بلغت فيقول له نعم يارب فيسأل أمته هل بلغكم فيقولون ماجاءنا من نذير فيقال من شهودك فيقول محمد وأمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجاء بكم فتشهدون ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال : عدولا ، لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا» وقال مقاتل فى قوله تعالى ـ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ـ أى اعتزلوا اليوم يعنى فى الآخرة من الصالحين . وقال السدى كونوا على حدة وفى الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول الله يا آدم

وزاد النسائي : من قالهن من صلاة العصر أعطى مثل ذلك ، وأحمد والبخاري « سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة » وأبو داود والترمذي « كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا أصبح : اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور ، وإذا أمسى قال: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير » وابن السني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها « ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت ياحي ياقيوم برحمتك أستغيث فأصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين » وأبو داود « إذا أصبح أحدكم فليقل أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين اللهم إني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما قبله وشر ما بعده ثم إذا أمسى فليقل مثل ذلك » وأبو داود « دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة ، فقال يا أبا أمامة مالي أراك جالسا في غير وقت الصلاة ؟ قال هموم لزمتني وديون يارسول الله . قال أفلا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك ؟ قلت بلى يارسول الله ، قال قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال فقلت فأذهب الله تعالى همي وقضى عني ديني » وابن السني جاء رجل إلى أبي الدرداء فقال يا أبا الدرداء قد احترق بيتك فقال ما احترق لم يكن الله عز وجل ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسي ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ، ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ، أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم . وأخرجه من طريق آخر : أنه تكرر مجيء رجل إليه يقول أدرك دارك فقد احترقت وهو يقول ما احترقت لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال حين يصبح هذه الكلمات لم يصبه في نفسه ولا أهله ولا ماله شيء يكرهه ، وقد قلتها اليوم ، ثم قال انهضوا بنا فقام وقاموا معه فانتهوا إلى داره وقد احترق ما حولها ولم يصبها شيء . وفي رواية أخرى له : من قالها ثم مات دخل الجنة ، وهو أن رجلا شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يصيبه الآفات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل إذا أصبحت : بسم الله على نفسي ومالي وأهلي فإنه لا يذهب لك شيء » فقالهن الرجل فذهب عنه الآفات . ومسلم وأبو داود : أما إنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق لم تضر . وفي رواية ابن ماجه « ما ضره لدغ عقرب حتى يصبح » وأحمد وأبو داود « من قال حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا كان حقا على الله أن يرضيه » وابن السني « إذا أصبحت فقل اللهم أنت ربي لا شريك لك أصبحنا وأصبح الملك لله لاشريك له ثلاث مرات وإذا أمسيت فقل مثل ذلك فإنهن يكفرن ما بينهن » والترمذي وأبو داود « ما من

ثم فابعث بعث النار فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك وما بعث النار ؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فحينئذ يشيب الوليد وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فاشتد ذلك عليهم فقالوا يارسول الله أين ذلك الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعمائة وتسعة وتسعون من يأجوج ومأجوج ومنكم واحد فقال الناس الله أكبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة والله إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة والله إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبر الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنتم يومئذ في الناس إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض » وفي صحيح مسلم قال

عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذى لايضرّ مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهوالسميع العليم ثلاث مرات لم يضره شىء » وفى رواية « بجأة بلاء » والترمذى « من قال حين يمسى ثلاث مرات أعوذ بكلمات الله التامات من شرّ ماخلق لم يضرّه حمة تلك الليلة » وأبوداود: من قال حين يصبح أو يمسى اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك أعتق الله ربعه من النار فمن قالها مرّتين أعتق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار فان قالها أربعا أعتقه الله تعالى » وابن السنى « من قال فى كل يوم حين يصبح وحين يمسى حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله تعالى ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة » وابن حبان والحاكم « من قال إذا أصبح مائة مرّة و إذا أمسى مائة مرّة سبحان الله وبحمده غفرت ذنوبه و إن كانت أكثر من زبد البحر » وفى رواية أبى داود « سبحان الله العظيم وبحمده » والترمذى « من قرأ حم المؤمن إلى اليه المصير وآية الكرسى حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى ومن قرأهما حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح » وأبوداود « من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى وكذلك تخرجون أدرك مافاته فى يومه ذلك ومن قالهنّ حين يمسى أدرك مافاته فى ليلته » وابن السنى عن محمد بن ابراهيم عن أبيه قال : وجهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية فأمرنا أن نقرأ إذا أمسينا و إذا أصبحنا — أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون — وهو والترمذى : من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكلّ الله تعالى به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى و إن مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة . وأبوداود والترمذى عن عبد الله بن خبيب قال « خرجنا فى ليلة مطر وظلمة شديدة فطلب النبي صلى الله عليه وسلم ليصلى بنا فأدركناه فقال : قل فلم أقل شيئا ، ثم قال قل فلم أقل شيئا ، ثم قال قل قلت يارسول الله ما أقول ؟ قال قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات يكفيك من كلّ شىء » .

باب مايقال عند النوم والاستيقاظ منه

أخرج البخارى عن أبى هريرة قال « وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام وذكر الحديث وقال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى فانه لن يزال معك من الله حافظ ولايقربك شيطان حتى تصبح ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقك وهو كذوب وذاك شيطان » والشيخان « الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأبهما فى ليلة كفتاه . وهما: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه كلّ ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات . وأبوداود والترمذى عن نوفل قال « قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ قل يا أيها الكافرون ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك » أعاذنا الله من الشرك والنفاق ، والترمذى « من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله تعالى له

صلى الله عليه وسلم « لتؤدنّ الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء » قال الكلبي يقول الله عزوجل للبهائم والوحوش والطيور والسباع كنّ ترابا فسوّى بهنّ الأرض فعند ذلك يتمنى الكافر أن لو كان ترابا لما قال الله تعالى — و يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا — وفى كتاب الترمذى وغيره عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لايزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدى الله تعالى حتى يسئل عن أربع عن عمره فيم أفناه وعن جسده فيم أبلاه وعن علمه فيم عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه » وفى صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال أتدرون ممّ أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرنى

ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ، وإن كانت عدد النجوم ، وإن كانت عدد رمل عالج ، وإن كانت عدد أيام الدنيا» وابنا حبان والسنى «من قال حين يأوى إلى فراشه : لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر» والشيخان عن علىّ رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ولفاطمة رضى الله عنهما إذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين ، قال على رضى الله عنه ماتركته منذ سمعته منه صلى الله عليه وسلم قيل له ولا ليلة صفين ؟ قال ولا ليلة صفين. والبخارى «كان صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه قال : باسمك اللهم أحيا وأموت، باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه إن أمسكت نفسى فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» والشيخان «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم إنى أسلمت نفسى إليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك لاملجأ ولا منجا إلا إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت : اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك فان متّ متّ على الفطرة واجعلهن آخر ماتقول» وابن السنى «من بات على طهارة ثم مات من ليلته مات شهيدا» وأخرج البخارى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استيقظ من النوم قال «الحمد لله الذى أحيانا بعد ماأماتنا وإليه النشور» وابن السنى مامن رجل ينتبه من نومه فيقول : الحمد لله الذى خلق النوم واليقظة الحمد لله الذى بعثنى سالما سويا أشهد أن لا إله إلا الله يحيي الموتى وهو على كل شىء قدير إلا قال الله تعالى صدق عبدى . وهو : مامن عبد يقول عند رد الله تعالى روحه : لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير إلا غفر الله تعالى ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر . وأحمد «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لاينام إلا والسواك عند رأسه فاذا استيقظ بدأ بالسواك» ومسلم «من نام عن حزبه أو عن شىء منه فقرأه مابين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل».

باب مايقال فى بعض الأحوال

أخرج ابن السنى «من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر الله له ماتقدم من ذنبه» وهو والحاكم «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من بيته قال بسم الله التكلان على الله لاحول ولاقوة إلا بالله» والشيخان كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال «اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث» وابنا ماجه والسنى كان إذا خرج من الخلاء قال الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى» والترمذى «كان إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ، وقال رب اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك ، وإذا خرج صلى على محمد وسلم ، وقال رب اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك» وأبو داود والترمذى «من أكل الطعام وقال : الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ماتقدم من ذنبه» والترمذى والحاكم «من دخل السوق فقال لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير ورفع بها صوته كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة» والترمذى

من الظلم قال يقول بلى فيقول إنى لاأجيز على نفسى إلا شاهدا منى فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الشاهدين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى قال فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكنّ وسحقا فعنكن كنت أناضل» .

وفى الصحيحين عن عدىّ بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مامنكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبين ربه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ماقدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ماقدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة» وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حوسب يوم القيامة عذب فقلت أليس قد قال الله تعالى : فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ليس ذلك

«من جلس فى مجلس وكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك غفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك» غفر الله لنا ما تقدم وما تأخر من كبائر ذنوبنا وسيآت أعمالنا .

[تنبيهات : أحدها] أنه يسن الأذكار الواردة أول النهار وآخره وعند النوم واليقظة فينبغى لمريد الخير الاعتناء بحفظها ومواظبتها وقد استوفاها الجلال السيوطى فى وظائف اليوم والليلة . وثانيها أن الاشتغال بالذكر الخاص بوقت أو محل بأن ورد الشرع به فيه ولو من طريق ضعيف أفضل من تلاوة القرآن لتنصيص الشارع عليه والذكر الخاص الوارد عن بعض الصحابة كالوارد عنه صلى الله عليه وسلم . وثالثها أنه ينبغى للذاكر والداعى أن يتدبر ما يذكر ويدعو به ويتعقل معناه قال الأسنوى وغيره من أتى بذكر أو دعاء مأثور غافلا عن معناه المعلوم له لولا الغفلة لا يثاب عليه . وقال شيخنا ابن حجر تغمده الله برحمته فى العامىّ الذى لم يفهم المعنى يحتمل أنه يثاب .

باب فى أذكار غير مقيدة بوقت

أخرج الترمذى وابن ماجه وصححه الحاكم عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا بلى قال ذكر الله» والترمذى والنسائى وابنا ماجه وحبان «أفضل الذكر لا إله إلا الله» . وأحمد ومسلم «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت» وابن ماجه «عليكم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنهن يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها» وابن عدى «أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها من كنوز الجنة» ومسلم «أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج من عند جويرية رضى الله عنها بكرة حين صلى الصبح وهى فى مسجدها ، ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة ، فقال ما زلت على الحالة التى فارقتك عليها ؟ قالت نعم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته» والترمذى عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أعلمك كلمات إذا أنت قلتهن وعليك مثل عدد الذرّ خطايا غفر الله لك قل لا إله إلا الله العلىّ العظيم لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله سبحان الله ربّ السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين» وهو وأحمد والحاكم عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أعلمك كلمات لو كان عليك مثل جبل ثبير ذنبا أذابه الله عنك ، قل اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك» والشيخان «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه» والخطيب وأبو نعيم وابن عبد البرّ «من قال فى يومه مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين كان له أمانا من الفقر وأنسا من وحشة القبر وفتحت له أبواب الجنة» والبيهقى «ما من مسلم يقف عشية عرفة فيستقبل القبلة بوجهه ثم يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له

الحساب إنما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب» فتفكر رحمك الله سؤال ربك لك بغير واسطة على كل قليل وكثير ونقير وقطمير وقول الملائكة يا فلان هلمّ إلى الموقف وقد روى عنه عليه السلام : إن لله ملكا ما بين شفرتى عينيه مسيرة مائة عام فما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك ليأخذوك إلى مقام العرض فترتعد فرائصك وتضطرب جوارحك وتمنى حملك إلى جهنم ولا تعرض قبائحك على ربك تعالى فتوهم نفسك فى أيدى الموكلين بك حتى انتهوا بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله عزّ وجلّ بعظيم كلامه يا ابن آدم ادن منى فدنوت بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وأعطيت كتابك الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فليت شعرى بأى قدم

الملك وله الحمد وهو على كلّ شئ قدير مائة مرّة ، ثم يقرأ قل هو الله أحد مائة مرّة ، ثم يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وعلينا معهم مائة مرة إلا قال الله تعالى : ياملائكتى ماجزاء عبدى هذا أشهدكم أنى قد غفرت له وشفعته فى نفسه ولوسألنى عبدى هذا لشفعته فى أهل الموقف . وروى عن ابن عباس قال «الليل والنهار أربع وعشرون ساعة وحروف لا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفا فمن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله كفر كل حرف ذنوب ساعة فلا يبقى عليه ذنب إذا قالها فى كل يوم مرة فكيف بمن يكثر من قول لا إله إلا الله ويجعلها شغله .

إخوانى إن كنتم عاصين فقولوا : لا إله إلا الله فانها تكفر الذنوب والعصيان ، وإن كنتم طائعين فجددوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله فانها تجدد الايمان وتورث الأمن والأمان والعفو والغفران . وأخرج البغوى «استغفروا ربكم إنى أستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة» ومسلم «لكلّ داء دواء ودواء الذنوب الاستغفار» وابن السنى «من استغفر الله فى كل يوم سبعين مرة غفر الله له سبعمائة ذنب ، وقد خاب عبد أو أمة عمل فى اليوم والليلة أكثر من سبعمائة ذنب» وأحمد والحاكم «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لايحتسب» وروى معروف الكرخى عن أنس بن مالك وابن عمر: أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال دلنى على عمل يدخلنى الجنة ؟ قال لاتغضب ، قال فانى لا أطيق ذلك . قال فاستغفر الله عز وجل كل يوم بعد صلاة العصر سبعين مرة يغفر الله لك ذنوب سبعين عاما . قال فان لم تأت علىّ ذنوب سبعين ؟ قال يغفر لأقاربك . غفر الله لنا ولأقاربنا .

وحكى اليافعى عن بعض الصالحين أنه عبد الله عزّ وجلّ أربعين سنة ، فلما كان بعض الليالى أخذته دالة على الله عز وجل ، فقال إلهى أرنى ماقد أعددت لى من الحور العين فما استتمّ الكلام حتى انشقّ المحراب ، فخرجت منه حورية لو خرجت إلى الدنيا لفتنتها ، فقال لها إنسية أنت ؟ فأنشأت تقول :

شكوت إلى المولى وقد علم الشكوى ... وأعطاك ما ترجو وقد كشف البلوى
وأرسلنى أنا إليك وإننى ... أناجيك طول الليل لو تسمع النجوى

فقال لها : ياجارية لمن أنت ؟ قالت أنا لك ، فقال كم لى مثلك جويرية . قالت مائة جويرية ولكلّ جويرية مائة خادمة ، ولكلّ خادمة مائة وصيفة ، ولكلّ وصيفة مائة قهرمانة ففرح ، وقال : ياجويرية هل أعطى أحد أكثر منى ؟ قالت : يامسكين عطاؤك عطاء البطالين الذين يقولون : أستغفر الله فيغفر لهم ، ثم يستغفرون الله عند غروب الشمس فيغفر لهم . غفر الله لنا ولوالدينا ولأحبابنا .

[تنبيه] اعلم أنّ أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأنه لا يساوى شئ من الأذكار هذا الذكر أصلا كما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم ولهذا اجتمعت المشايخ الشوامخ قدّس الله أرواحهم على اختيار هذه الكلمة الشريفة فعملوا بها فى السلوك والتسليك ، وقالوا ينبغى للمبتدى أن يقتصر عليها بعد الفرائض والسنن والرواتب من الصلوات فيشتغل سائر أوقاته بها إلى مالابدّ منه . قال النووى : والصحيح أن ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من ذكر القلب وحده والصحيح المختار أنه يستحب مدّ الذاكر قوله لا إله إلا الله لما فيه من التدبر ، فالمراد من الذكر حضور القلب فينبغى

تقف بين يدى الله
وبأىّ لسان تجيب
وبأى قلب تعقل ماتقول
وماذا تقول إذا قال :
أما استحييت منى
ظننت أنى لا أراك .
وعن الفضيل : إنى
لا أغبط أن أكون
ملكا مقربا ولا نبيا
مرسلا ولاعبدا صالحا
أليس هؤلاء يعاقبون
فى القيامة إنما أغبط
من لم يخلق وأنشد
بعضهم :
مثل وقوفك يوم
الحشر عريانا
مستعطفا قلق الأحشاء
حيرانا
النار تزفر من غيظ
ومن حنق
على العصاة وتلقى الرب
غضبانا
اقرأ كتابك ياعبدى
على مهل
وانظر إليه ترى هل
كان ما كانا
لما قرأت كتابا لايغادر
لى
حرفا وما كان فى سر
وإعلانا
قال الجليل خذوه
ياملائكتى
مروا بعبدى إلى
النيران عطشانا

أن يكون هو مقصود الذاكر فيحرص على تحصيله ، وإذا ذكر الله تعالى وقلبه غافل عنه فهو غير ذاكر له بل ناس له بقلبه ومعلق بلسانه فيبنغى توبته من ذلك ولزوم الاستغفار منه . وقال بعضهم من قال الله وقلبه غافل عن الله خصمه فى الدارين الله . وقال القطب المحقق سهل بن عبد الله التسترى : لا أعرف المعصية أقبح منه . أعاذنا الله من الغفلة فى الذكر والصلاة ورزقنا الاخلاص والحضور فيهما .

باب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ـ أخرج التيمى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « صلوا على فان الصلاة على كفارة لكم وزكاة فمن صلى على صلاة صلى الله عليه عشرا » وأحمد « أتانى آت من ربى عز وجل فقال من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ورد عليه مثلها » والطبرانى « من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا ، ومن صلى على عشرا صلى الله عليه مائة ، ومن صلى على مائة كتب الله له بين عينيه براءة من النفاق وبراءة من النار وأسكنه يوم القيامة مع الشهداء » وابن عساكر « أكثروا الصلاة على فان صلاتكم على مغفرة لذنوبكم ، واطلبوا لى الدرجة والوسيلة ، فان وسيلتى عند ربى شفاعة لكم » والترمذى عن أبى بن كعب قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام ، فقال : أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه ، قال أبى ، فقلت يارسول الله إنى أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتى ؟ قال ماشئت قلت الربع قال ماشئت ، وإن زدت فهو خير لك . قلت فالنصف . قال ماشئت ، وإن زدت فهو خير لك . فقلت فالثلثين . قال ماشئت وإن زدت فهو خير لك . فقلت أجعل لك صلاتى كلها ؟ قال إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك » والطبرانى « من ذكرت عنده فخطىء الصلاة على خطىء طريق الجنة » وابن أبى عاصم « ألا أخبركم بأبخل الناس ؟ قالوا بلى يارسول الله . قال من ذكرت عنده فلم يصل على فذلك أبخل الناس » والنميرى وابن بشكوال موقوفا على أبى بكر رضى الله عنه قال : الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمحق للخطايا من الماء للنار ، والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من عتق الرقاب ، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من مهج الأنفس أومن ضرب السيف فى سبيل الله . والطبرانى « من قال جزى الله عنا محمدا بما هوأهله أتعب سبعين ملكا ألف صباح » وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة تحت ظل الرحمن عز وجل يوم لاظل إلا ظله . قيل من هم يارسول الله قال من فرج عن مكروب من أمتى ، ومن أحيا سنتى ، ومن أكثر الصلاة على » وعنه صلى الله عليه وسلم قال « من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له مادام اسمى فى ذلك الكتاب » وروى التيمى عن زين العابدين أنه قال : علامة أهل السنة كثرة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر ابن الجوزى فى [سلوة الأحزان] أن آدم عليه السلام لما رام القرب من حواء طلبت منه المهر . فقال يارب ماذا أعطيها قال يا آدم صل على صفيي محمد صلى الله عليه وسلم عشرين مرة ففعل . وقال كعب الأحبار : أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام فى بعض ماأوحى إليه ياموسى أتحب أن لا ينالك من عطش يوم القيامة ؟ قال إلهى نعم . قال فأكثر الصلاة على محمد

يارب لا تخزنا يوم الحساب ولا تجعل لنارك فينا اليوم سلطانا

[فصل : فى الميزان] قال الله تعالى ـ القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية ـ وذكر أبو بكر البزار رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ملك موكل بالميزان فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتى الميزان فان ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لايشقى بعدها أبدا وان خفت ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق شقى فلان شقاوة لايسعد بعدها أبدا » فى سنن أبى داود عن عائشة رضى الله عنها أنها ذكرت النار فبكت فقال صلى الله عليه وسلم مايبكيك ؟

صلى الله عليه وسلم . وروى : أن مسرفا من بنى اسرائيل لما مات رموا به فأوحى الله لموسى عليه السلام أن غسله وصل عليه فانى قد غفرت له . قال يارب وبم ذلك ؟ قال إنه فتح التوراة يوما فوجد فيها اسم محمد صلى الله عليه وسلم فصلى عليه فغفر له بذلك . وفى شرف المصطفى لأبى سعيد : «أن عائشة رضى الله عنها كانت تخيط شيئا فى وقت السحر فضلت الابرة وطفئ السراج فدخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم فأضاء البيت بضوئه صلى الله عليه وسلم ووجدت الابرة ، فقالت ما أضوأ وجهك يارسول الله ؟ قال ويل لمن لايرانى . قالت ومن لايراك ؟ قال البخيل ، قالت ومن البخيل ؟ قال الذى لايصلى على إذا سمع باسمى . وذكر أبونعيم فى الحلية «أن رجلا مر بالنبى صلى الله عليه وسلم ومعه ظبى قد اصطاده فأنطق الله سبحانه الذى أنطق كل شئ الظبى ، فقال يارسول الله إن لى أولادا وأنا أرضعهم وإنهم الآن جياع فأمر هذا أن يخلينى حتى أذهب فأرضع أولادى وأعود . قال فان لم تعودى قالت إن لم أعد فلعننى الله كمن تذكر بين يديه فلا يصلى عليك . فقال النبى صلى الله عليه وسلم أطلقها وأنا ضامنها فذهبت الظبية ثم عادت ، فنزل جبريل عليه السلام ، وقال يامحمد الله يقرئك السلام ويقول : وعزتى وجلالى لأنا أرحم بأمتك من هذه الظبية بأولادها وأنا أردهم إليك كما رجعت الظبية إليك» الحمد لله الذى جعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم تسليما .

[تنبيه] إن إكثار الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مع السلام مطلوب مرغب فيه فينبغى الحرص عليه كل حين ولو بأقل الصلاة ، وهو : اللهم صل على محمد وآله وسلم ولايسمع أحد بعظام فضلها ويتركها إلا المتهاون بالدين وتحسينها مطلوب أيضا : لما روى ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم «إذا صليتم على فأحسنوا الصلاة فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض على» الحديث . والمراد بتحسينها أن يأتى الصلاة بأكملها وأفضلها ، فمن أفضل الكيفيات الواردة فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وأجمعها الكيفية التى استنبطها وجمعها شيخنا ابن حجر نفعنا الله به وهى : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبى الأمى وعلى آل محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد وبارك على محمد عبدك ورسولك النبى الأمى وعلى آل محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد وكما يليق بعظم شرفه وكماله ورضاك عنه وما تحب وترضى له دائما أبدا عدد معلوماتك ومداد كلماتك ورضاء نفسك وزنة عرشك أفضل صلاة وأكملها وأتمها كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون وسلم تسليما كذلك وعلينا معهم ، وقال شيخنا : إن هذه الكيفية قد جمعت الوارد فى معظم كيفيات التشهد التى هى أفضل الكيفيات وسائر ما استنبطه العلماء من الكيفيات وزادت بزيادة بليغة فلتكن هى الأفضل على الاطلاق ، وقال العلامة الحافظ الشرجى وغيره : إن جميع الأذكار لا تفيد ولا تقبل إلا مع حضور القلب إلا الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فانها تقبل مع عدم حضور القلب . وقال الشيخ الكبير قطب الدوائر أبو الحسن البكرى رضى الله عنه : ينبغى للمرء أن لا تنقص صلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخمسمائة فى كل يوم وليلة ولو بأقل الصلاة ، وقال أبوطالب المكى فى قوت القلوب : ينبغى أن لاينقص صلاته عليه عن الثلثمائة .

وحكى أن رجلا حج وكان يكثر الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى مواقف الحج وأعماله

قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال صلى الله عليه وسلم أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر فيها أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل وعند الكتاب حين يقال هاؤم اقرءوا كتابيه حتى يعلم أين يقع كتابه أفى يمينه أم فى شماله أم من وراء ظهره وعند الصراط إذا وضع بين ظهرانى جهنم» وفى الوسيط عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ليعتذرن الله إلى آدم ثلاث معاذير يقول الله يا آدم لولا أنى لعنت الكذابين وأبغضت الكذاب والخلف وأوعدت لرحمت اليوم ولدك أجمعين من شدة ما أعددت لهم من العذاب ولكن حق القول منى لئن كذبت رسلى وعصى أمرى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين . ويقول الله عزوجل : يا آدم اعلم

فقيل له لم لم تشتغل بالدعاء المأثور ؟ فاعتذر بأنه خرج للحج هو ووالده فمات والده بالبصرة فكشف عن وجهه فاذا هو صورة حمار فحزن حزنا شديدا ، ثم أخذته سنة فرآه صلى الله عليه وسلم وتعلق به وأقسم ليخبرنه بقصة والده . فقال : إنه كان يأكل الربا وآكله يقع له ذلك دنيا وأخرى ولكنه كان يصلى علىّ كل ليلة عند نومه مائة مرة ، فلما عرض له ذلك أخبرنى به الملك الذى يعرض علىّ أعمال أمتى فسألت الله فشفعنى فيه فاستيقظ فرأى وجه والده كالبدر ، ثم لما دفنه سمع هاتفا يقول له سبب العناية التى حفت والدك الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فآليت أن لا أتركها على أىّ حال كنت فى أى مكان كنت ,

وحكى أيضا : أنه توفى تاجر عن مال وابنين وثلاث شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فاقتسما المال نصفين وشعرتين وبقيت واحدة فطلب الأكبر قطعها نصفين فأبى الأصغر إجلالا له صلى الله عليه وسلم . فقال له الأكبر أتأخذ الثلاث بحظك من المال قال نعم ، ثم جعل الثلاث فى جيبه وصار يخرجها ويشاهدها ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، فعن قريب كثر ماله وفنى مال الأكبر ، ولما توفى الصغير رآه بعض الصالحين ورأى النبى صلى الله عليه وسلم . فقال له قل للناس من كانت له إلى الله حاجة فليأت قبر فلان هذا ويسأل الله قضاء حاجته ، فكان الناس يقصدون قبره حتى بلغ إلى أنّ كلّ من مرّ على قبره راكبا ينزل ويمشى راجلا .

خاتمة : فى ذكر منامات

رأى الشبلى رحمه الله فى النام جارا له فقال : مرّت بى أهوال عظيمة ، وذلك أنه أرتج علىّ عند السؤال ، فقلت فى نفسى من أين أتى علىّ ألم أمت على الاسلام فنوديت : هذه عقوبة إهمالك لسانك فى الدنيا ، فلما همّ بى الملكان حال بينى وبينهما رجل جميل طيب الرائحة فذكرنى حجتى فذكرتها ، فقلت له من أنت يرحمك الله قال أنا شخص خلقت لكثرة صلاتك على النبى صلى الله عليه وسلم وأمرت أن أنصرك فى كل كرب . ورأت امرأة ولدها بعد موته يعذب فحزنت لذلك وبكت ثم رأته بعد ذلك وهو فى النور والرحمة فسألته عن ذلك . فقال : مر رجل بالمقبرة فصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وأهدى ثوابها للأموات فحصل نصيبى المغفرة . ورأى رجل من أهل شيراز أبا العباس أحمد بن منصور عليه حلة وعلى رأسه تاج مكلل بالجواهر . فقال له مافعل الله بك فقال : غفر لى وأكرمنى وتوجنى وأدخلنى الجنة ، فقال له : بماذا ؟ قال بكثرة صلاتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان بعض الصالحين جعل على نفسه عددا معلوما يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم عند النوم . فأخذته عيناه ليلة فرأى النبى صلى الله عليه وسلم داخلا عليه فامتلأ بيته نورا . فقال له : هات هذا الفم الذى يكثر الصلاة علىّ أقبله ، قال فاستحييت فأدرت له خدّى فقبله فانتبهت فاذا البيت يفوح مسكا من رائحته صلى الله عليه وسلم وبقيت رائحة المسك من قبلته فى خدّى نحو ثمانية أيام . ورأى بعض الصالحين أباحفص الكاغدى . فقال : مافعل الله بك ؟ قال رحمنى وغفر لى وأدخلنى الجنة ، فقيل له بماذا ؟ قال لما وقفت بين يديه أمر الملائكة فحسبوا ذنوبى وصلاتى على النبى صلى الله عليه وسلم فوجدوها أكثر ، فقال لهم المولى جلت قدرته : حسبكم ياملائكتى لا تحاسبوه واذهبوا به إلى جنتى . اللهم أدخلنا الجنة بغير حساب بحق الشفيع العاقب صلى الله عليه وسلم عدد ماذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون وسلم كذلك .

آتى لا أدخل من ذريتك النار أحدا ولا أعذب منهم بالنار أحدا إلا من قد علمت بعلمى أنى لو رددته إلى الدنيا لعاد إلى شرّ مما كان فيه ولم يرجع ولم يعتب . ويقول عز وجل : قد جعلتك حكما بينى وبين ذريتك قم عند الميزان فانظر ما يرفع إليك من أعمالهم فمن رجح منهم خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة حتى تعلم أنى لا أدخل منهم النار إلا ظالما » وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من

باب الشرك الأصغر وهو الرياء

قال الله تعالى – فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا – أى لايرائى بعمله . وأخرج أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر وهو الرياء ، يقول الله يوم القيامة للمرائين إذا جزى الله الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا انظروا هل تجدون عندهم جزاء» وابن حبان «إن أخوف ما أخاف على أمتى الاشراك بالله ، أما إنى لست أقول تعبدون شمسا ولا قمرا ولاوثنا ، ولكن أعمالا لغير الله وشهوة خفية» والطبرانى «إن أدنى الرياء شرك وأحب العبيد إلى الله الأتقياء الأخفياء : أى المبالغون فى ستر عبادتهم وتنزيهها عن شوائب الأعراض الفانية والأخلاق الدنية الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا شهدوا : أى حضروا لم يعرفوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح الظلم» وأبو نعيم والديلمى «إن الله حرّم الجنة على كل مراء» والديلمى «ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجدها من طلب الدنيا بعمل الآخرة» والطبرانى «إن فى جهنم واديا تستعيذ جهنم من ذلك الوادى فى كل يوم أربعمائة مرة أعدّ ذلك الوادى للمرائين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لحامل كتاب الله تعالى وللمتصدّق فى غير ذات الله وللحاجّ وللخارج فى سبيل غير الله» وهو والبيهقى «من أحسن الصلاة حيث يراه الناس ثم أساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه» وابن ماجه «ربّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، وربّ قائم ليس له من قيامه إلا السهر» والديلمى «إياكم أن تخلطوا طاعة الله بحب ثناء العباد فتحبط أعمالكم» ومسلم : قال الله تعالى «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه» وسموبه «إذا كان يوم القيامة أتى بصحف مختمة تنصب بين يدى الله تعالى فيقول الله لملائكته : اقبلوا هذا والقوا هذا ، فتقول الملائكة وعزّتك مارأينا فيها إلا خيرا ، فيقول نعم لكن كان لغيرى ولا أقبل اليوم إلا ماابتغى به وجهى» وأحمد ومسلم «إن أوّل الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرّفه : أى الله نعمته فعرفها . قال فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت . قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال جرىء : أى شجاع ، فقد قيل ثم أمر به فيسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرّفه نعمته فعرفها . قال فما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال هو عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ، ثم أمر به فيسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها . قال فما عملت ؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها لك ، قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فيسحب على وجهه ثم ألقى فى النار» والطبرانى والبيهقى «يؤمر بناس يوم القيامة إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعدّ الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة مايرجع الأوّلون والآخرون بمثلها فيقولون ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون ، قال ذاك أردت منكم يا أشقياء كنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم ، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بأعمالكم خلاف ماتعطونى من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى ، وأجللتم الناس

خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار» . وفى الصحيح «إن أوّل مايقضى فى الدماء» وفى معالم التنزيل روى عن عبد الله بن مسعود قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد ألا من كان يطلب مظلمة فليجىء إلى حقه فليأخذه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه وإن كان صغيرا ومصداق ذلك فى كتاب الله عزّ وجل – فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون – ويؤتى بالعبد وينادى مناد على رءوس الأولين والآخرين هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه ثم يقال آت هؤلاء حقوقهم فيقول يارب من أين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله عزّ

ولم تجلونى وتركتم للناس ولم تتركوا لى فاليوم أذيقكم العذاب مع ماحرمتم من الثواب » وروى الذهبي « سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما النجاة غدا ؟ قال صلى الله عليه وسلم أن لا تخادع الله ، قال وكيف نخادع الله ؟ قال أن تعمل بما أمرك الله ورسوله وتريد به غير وجه الله » فاتقوا الرياء فانه الشرك بالله وأن المرائى ينادى عليه يوم القيامة على رءوس الخلائق بأربعة أسماء يا كافر يا فاجر يا غادر ياخاسر ضلّ عملك و بطل أجرك فلا خلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممن تعمل له يا مخادع .

[تنبيهان : أحدهما] أن الرياء المذموم إرادة العامل بعبادته غير وجه الله تعالى كأن يقصد اطلاع الناس على عبادته حتى يحصل له نحومال أوثناء ، وقد اختلف حجة الاسلام الغزالى وسلطان العلماء عزّ الدين ابن عبد السلام فيمن قصد بعمله الرياء والعبادة . فقال الغزالى . إن غلب باعث للدنيا فلا ثواب له أو باعث الآخرة فالثواب له و إن تساويا تساقطا فلا ثواب أيضا . وقال ابن عبد السلام لاثواب مطلقا ، ورجحه الزركشي للأخبار الصحيحة كخبر « من عمل عملا أشرك فيه غيرى فأنا برىء منه هو للذى أشرك » .

وثانيهما : أن العبد إذاعقد عبادته على الاخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فان كان بعد تمام العمل لم يؤثر فيه لأنه تم على الاخلاص ، فان تكلف إظهاره والتحدث به قصدا للرياء . قال الغزالى فهذا مخوف وفى الآثار والأخبار مايدل على أنه يحبط العمل . ثم قال الأقيس أنه مثاب على عمله الذى انقضى ومعاقب على مرآته بطاعة الله ولو بعد فراغه منها .

وحكى أن رجلا أضاف سفيان الثورى وأصحابه ، فقال لأهله : هاتوا الطبق لا الذى أتيت به فى الحجة الأولى ، بل فى الثانية . فقال سفيان الثورى هو مسكين أفسد بهذا حجتيه ، عافانا الله من الرياء . وورد أنه صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر رضى الله عنه « الشرك أخفى من دبيب النمل وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب الله عنك صغار الشرك وكباره تقول : اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم تقولها ثلاث مرات » وسئل بعض الأئمة من المخلص ؟ فقال : الذى يكتم حسناته كما يكتم سيآته . وسئل آخر ماغاية الاخلاص ؟ قال أن لاتحبّ محمدة الناس .

وحكى الشيخ شرف الدين يوسف فى مختصر الاحياء أن من أخلص لله فى العمل وان لم ينو ظهرت آثار بركته عليه وعلى عقبه إلى يوم القيامة كما قيل لما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض جاءته وحوش الفلاة تسلم عليه وتزوره فكان يدعو لكل جنس بما يليق به فجاءت طائفة من الظباء فدعا لهنّ ومسح على ظهورهنّ فظهر فيهنّ نوافج المسك ، فلما رأى بواقيها ذلك قالوا من أين هذا لكنّ ؟ فقلن زرنا صفى الله آدم فدعا لنا ومسح على ظهورنا ، فمضى الباقى اليه فدعا لهنّ ومسح على ظهورهنّ فلم يظهر لهنّ من ذلك شيء ؟ فقالوا قد فعلنا كما فعلتم فلم نر شيئا مما حصل لكم فقالوا أنتم كان عملكم لتنالوا كما نال إخوانكم وأولئك كان عملهم من غير شوب فظهر ذلك فى نسلهم وعقبهم إلى يوم القيامة . اللهم ارزقنا الاخلاص واجعلنا من المخلصين .

باب الكبر والعجب

قال الله تعالى — تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين — قال أبو حيان : علق الله حصول الدار الآخرة على مجرّد عدم إرادة العلو

وجل للملائكة انظروا فى أعماله الصالحة فأعطوهم منها فان بقى مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يار بنا بقى له مثقال ذرة من حسنة فيقول الله عز وجل ضعفوها لعبدى وأدخلوه بفضل رحمتى الجنة ومصداق ذلك فى كتاب الله عزوجل — إن الله لايظلم مثقال ذرة و إن تك حسنة يضاعفها — و إن كان عبدا شقيا قالت الملائكة إلهنا فنيت حسناته و بقى طالبون فيقول الله عز وجل خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ثم صكوا له صكا إلى النار. وذكر الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله سيخلص رجلا من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مدّ البصر ثم يقول الله أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتى

فكيف بمن باشر وقال ولا فسادا بذكر لا ليدل على أن كلا منهما مقصود لا مجموعهما . وعن على كرّم الله وجهه : إن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها . وعن الفضيل أنه قرأها ، ثم قال ذهبت الأمانى وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض . وأخرج مسلم وأبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من خردل من إيمان ولا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» وابن عساكر «إياكم والكبر فان إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم وإياكم والحرص فان آدم عليه السلام حمله الحرص على أن أكل من الشجرة وإياكم والحسد فان ابنى آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسدا فهو أصل كل خطيئة» والنسائى والترمذى «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذرّ فى صورة الرجال يغشاهم الذلّ من كل مكان يساقون إلى سجن فى جهنم يسمى بولس يعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار ومن طينة الخبال» وفى رواية «يسقون من طينة الخبال» وهو عصارة أهل النار . وأبو الشيخ «شرار أمتى المعجب بدينه المرائى بعمله المخاصم بحجته الرياء شرك» . وأبو نعيم «من حمد نفسه على عمل صالح فقد ضلّ شكره وحبط عمله» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن فى النار توابيت يجعل فيها المتكبرون فيغلق عليهم» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحبّ أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوّأ مقعده من النار» وقال صلى الله عليه وسلم «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام» وقال أبو الدرداء «لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه» وقال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام يوما للجن والانس والطير والبهائم «اخرجوا فخرج فى مائتى ألف من الانس ومائتى ألف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة فى السموات ثم خفض حتى مست قدماه البحر فسمع صوتا لو كان فى قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته» وسئل سليمان عليه السلام عن السيئة التى لا ينفع معها حسنة ، فقال : الكبر . وروى أن خليعا من بنى إسرائيل جلس إلى عابد ينتفع به فأنف من مجالسته وطرده فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أنه غفر للخليع وأحبط عمل العابد فالجاهل العاصى إذا تواضع وذلّ هيبة لله وخوفا منه فقد أطاع فهو أطوع من العالم المتكبر والعابد المعجب وقال الغزالى : كل من رأى نفسه خيرا من أحد من خلق الله فهو متكبر . وقال حمدون من ظن أن نفسه خيرا من فرعون فقد أظهر الكبر . أعاذنا الله من الكبر وحمانا من العجب .

خاتمة

فى ذم الخيلاء وفضل التواضع

أخرج البخارى «بينما رجل ممن كان قبلكم يجرّ إزاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل فى الأرض إلى يوم القيامة» وأحمد «من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله وهو عليه غضبان» ومسلم «إن الله لا ينظر إلى من يجرّ إزاره بطرا ، لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر قيل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال إن الله جميل يحبّ الجمال» وأخرج ابن أبى الدنيا «التواضع لا يزيد العبد» إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد إلا عزا فاعفوا يعزكم الله ، والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله عزّ وجلّ» . والترمذى والحاكم «من ترك اللباس تواضعا لله تعالى ، وهو يقدر عليه

الحافظون ؟ فيقول لا يارب فيقول الله أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال : إنك لا تظلم قال فيوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات . وثقلت البطاقة قال فلا يثقل مع اسم الله تعالى شئ : أى من كان معه ذكر الله فلا يقاومه شئ يترجح من المعاصى بل يترجح الذكر على المعاصى . فتفكر رحمك الله فى ميزانك واحترز من خسرانك واعلم أن من لا سيئة له فله الجنة ومن لا حسنة له فله النار ومن خلط فالعدل بالميزان فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق فى معاشرتهم فان ما بين

دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من أى حلل الايمان شاء يلبسها . والبيهقى والخطيب « البادى بالسلام برىء من الكبر » وأبو نعيم « تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبار أهل الله وتخرجوا من الكبر » والطبرانى « إن من التواضع لله تعالى الرضا بالدون من شرف المجالس » والبيهقى « ما استكبر من أكل معه خادمه وركب الحمار بالأسواق واعتقل الشاة فحلبها » وهو : من حمل سلعته فقد برىء من الكبر. وقال عروة بن الزبير : رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعلى عاتقه قربة ماء ، فقلت يا أمير المؤمنين لاينبغى لك هذا ، فقال لما أتانى الوفود سامعين مطيعين دخلت نفسى نخوة فأحببت أن أكسرها ومضى بالقربة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها فى إنائها . وروى أبو هريرة وهو أمير المدينة على ظهره حزمة حطب ، وهو يقول طرقوا للأمير ، وقيل لأبى يزيد : متى يكون الرجل متواضعا ؟ فقال إذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا ولا يرى أن فى الخلق من هو شر منه . وقال إبراهيم بن شيبان : الشرف فى التواضع والعز فى التقوى والحرية فى القناعة .

وحكى بعضهم : رأيت عند الصفا رجلا راكبا بغلة و بين يديه غلمان يعنفون الناس ، ثم رأيته ببغداد حافيا حاسرا طويل الشعر فقلت له مافعل الله بك قال ترفعت فى موضع يتواضع الناس فيه فوضعنى حيث يترفع الناس ، اللهم ارزقنا التواضع وارفعنا به مكانا عليا .

باب الحقد والحسد

قال الله تعالى ـ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ـ وأخرج ابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » والديلمى « الحسد يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل » والطبرانى « ليس منى ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه » والحاكم والديلمى « إن إبليس يقول ابغوا من بنى آدم البغى والحسد فانهما يعدلان عند الله الشرك » وأحمد والترمذى « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هى الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر ، والذى نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بشىء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم » وأخرج البيهقى « إن الله يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم عليه » وابن زنجويه : تعرض أعمال بنى آدم على الله كل يوم اثنين وخميس فيرحم الله المسترحمين ويغفر للمستغفرين ، ثم يذر أهل الحقد بحقدهم. وروى « فعل المعروف يقى مصارع السوء » ووعظ بعض الأئمة بعض الأمراء فقال إياك والكبر فانه أول ذنب عصى الله تعالى به ، ثم قرأ ـ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس ـ وإياك والحرص ، فانه أخرج آدم من الجنة أسكنه الله جنة عرضها السموات والأرض ، وقال كل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها فمن حرصه أكل منها فأخرجه الله من الجنة ثم قرأ ـ اهبطا منها جميعا ـ الآية وإياك والحسد فانه حمل ابن آدم على أن قتل أخاه حين حسده ثم قرأ ـ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين ـ وقيل كان السبب فى قتله له أن زوجة المقتول هابيل كانت أجمل من زوجة القاتل قابيل فحسده عليها حتى قتله .

العبد و بين الله خاصة فالمغفرة إليه أسرع . قيل إذا تعلق المظلوم بالظالم الأواب وهو الذى أقلع عن الذنب فلم يعد إليه ولم يتمكن من الاستحلال قال الله للمظلوم ارفع رأسك فيرفع رأسه فاذا بقصر عظيم يلوح فيقول ماهذا يارب؟ فيقول : إنه للبيع فاشتره منى فيقول مامعى ثمنه فيقول : إن تبرئ مظلمة أخيك فالقصر لك فيقول قد فعلت يارب . وحكى أنه لما حضرت لقمان الحكيم الوفاة بكى فقال له ابنه مايبكيك ياأبت ؟ فقال يابنى لست أبكى على الدنيا ولا على نعيمها ولكن على ما أمامى من الشقة البعيدة والمفازة السحيقة والعقبة الكئود والزاد القليل والحمل الثقيل ولا أدرى أيحط عنى ذلك الحمل حتى أبلغ الغاية أم أثقل حتى أساق إلى النار فلهذا أبكى ومات رحمه الله. وأنشد بعضهم :

« وحكى أن بعض الصلحاء كان يجلس بجانب ملك ينصحه ، ويقول له : أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء ستكفيه إساءته فحسده على قربه من الملك بعض الجهلة وعمل الحيلة على قتله فسعى به للملك ؛ فقال له إنه يزعم أنك أبخر وأمارة ذلك أنك إذا قربت منه يضع يده على أنفه لئلا يشم رائحة البخر ، فقال له انصرف حتى أنظر فخرج فدعا الرجل لمنزله وأطعمه ثوما فخرج الرجل من عنده وجاء للملك ، وقال مثل قوله السابق : أحسن إلى المحسن إلى آخره كعادته فقال له الملك ادن منى فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه ريح الثوم ، فقال الملك فى نفسه ما أرى فلانا إلا قد صدق ، وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة فكتب له بخطه لبعض عماله إذا أتاك صاحب كتابى هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به إلىّ فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الذى سعى به فقال : ماهذا الكتاب . قال خط الملك لى بصلة فقال هبه لى فقال هو لك فأخذه ومضى إلى العامل فقال العامل فى كتابك أن أذبحك وأسلخك قال ان الكتاب ليس هو لى الله الله فى أمرى حتى أراجع الملك . قال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا و بعث به ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال مافعل الكتاب ؟ قال لقينى فلان واستوهبه منى فدفعته له فقال الملك إنه ذكر لى أنك تزعم أنى أبخر قال ماقلت ذلك قال فلم وضعت يدك على أنفك وفيك ؟ قال أطعمنى ثوما فكرهت أن تشمه قال صدقت ارجع إلى مكانك فقد لقى المسيء إساءته . فتأملوا رحمكم الله شؤم الحسد وما جرّ إليه. اللهم طهر قلوبنا من الحسد والحقد .

وحكى أبو نعيم عن يحيى الحمانى قال كنت فى مجلس سفيان بن عيينة فاجتمع عليه ألف إنسان أو يزيدون أو ينقصون فالتفت فى آخر مجلسه إلى رجل كان عن يمينه فقال قم حدّث القوم حديث الحية فقال الرجل أسندونى فأسندناه وسالت جفون عينيه . ثم قال ألا فاسمعوا وعوا حدثنى أبى عن جدى : أن رجلا كان يعرف بمحمد بن حمير وكان له ورع يصوم النهار ويقوم الليل فخرج ذات يوم يتصيد إذ عرضت له حية فقالت يامحمد بن حمير أجرنى أجارك الله قال لها ممن ؟ قالت من عدو قد ظلمنى قال لها وأين عدوك ، قالت له من ورائى قال لها ومن أىّ أمة أنت قالت من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. قال ففتحت ردائى وقلت ادخلى فيه قالت يرانى عدوّى فشلت طمرى . فقلت ادخلى بين طمرى و بطنى . قالت يرانى عدوّى فقلت لها فما الذى أصنع بك قالت إن أردت اصطناع المعروف فافتح لى فاك حتى أنساب فيه قلت أخشى أن تقتلينى قالت لا والله ما أقتلك الله شاهد علىّ بذلك وملائكته وأنبياؤه وحملة عرشه وسكان سمواته إن أنا قتلتك قال محمد بن حمير ففتحت فىّ فانسابت فيه ثم مضيت فعارضنى رجل معه صمصامة فقال لى يامحمد قلت وما تشاء قال لقيت عدوّى قلت ومن عدوّك قال حية قلت اللهم لا واستغفرت ربى من قولى لا مائة مرة ثم مضيت قليلا فأخرجت رأسها من فىّ وقالت انظر مضى هذا العدوّ فالتفت فلم أر أحدا قلت لم أر أحدا إن أردت أن تخرجى فاخرجى فقالت الآن يامحمد اختر واحدة من اثنين : إما أن أفتت كبدك و إما أن أثقب فؤادك فأدعك بلا روح فقلت سبحان الله أين العهد الذى عهدت إلىّ واليمين الذى حلفت ما أسرع ما نسيتيه قالت يامحمد لم نسيت العداوة التى كانت بينى وبين أبيك آدم حيث أخرجته من الجنة على أى شيء أردت اصطناع المعروف مع غير أهله . قلت لها ولا بد أن تقتلينى . قالت لا بدّ من

أرانى إذا حدثت نفسى بتوبة
تعرّض لى من دون ذلك عائق
تقضت حياتى فى اشتغال وغفلة
وأعمال سوء كلها لا توافق
طردت وغيرى بالصلاح مقرّب
ودون بلوغى مسلك متضايق
وكيف وزلات المسيء كثيرة
أيقرب عبد عن مواليه آبق
إلى الله أشكو قلب سوء قد احتوى
عليه الهوى واستأصلته العلائق
ولى حزن يزداد فى كل لحظة
ودمع جفونى للبكاء يسابق
فإن تغفر الذنب الذى قد أتيته
فذاك رجائى والظنون توافق
علامة مايولى من الفضل إن أنا
هجرت الدنا أو قلت إنك طالق
هنالك يبدو كل سرّ معظم

ذلك قلت فأمهليني حتى أسير إلى تحت هـذا الجبل فأمهد لنفسي موضعا ، قالت شأنك قال محمد فمضيت أريد الجبل وقد أيست من الحياة فرفعت طرفي إلى السماء وقلت يالطيف يالطيف الطف بي بلطفك الخفي يالطيف بالقدرة التي استويت بها على العرش فلم يعرف العرش أين مستقرك منه إلا كفيتني هـذه الحية ثم مضيت فعرضني رجل طيب الرائحة نقيّ البدن قال لي سلام عليك فقلت وعليك السلام يا أخي قال مالي أراك تغير لونك قلت من عـدوّ قد ظلمني . قال وأين عدوّك قلت في جوفي قال لي افتح فاك ففتحت فمي فوضع فيـه مثل ورقة زيتونة خضراء ثم قال امضغ وابلع فمضغت و بلعت فلم ألبث يسيرا إلا مغص بطني ودارت في بطني فرميت بها من أسفل قطعة قطعة فتعلقت بالرجل فقلت له من أنت الذي منّ الله عليّ بك فضحك ؛ ثم قال ألا تعرفني قلت اللهم لا قال يامحمد بن حمير إنه لما كان بينك و بين الحيـة ما كان ودعوت بذلك الدعاء ضجت ملائكة السموات السبع إلى الله عز وجل فقال : وعزتي وجلالي رأيت بعيني كل مافعلت الحيـة بعبدي وأمرني الله سبحانه وتعالى بالنزول إليك وأنا يقال لي المعروف مستقري في السماء الرابعـة أن انطلق إلى الجنة وخذ ورقة خضراء والحق بها عبدي محمد بن حمير يامحمد عليك باصطناع المعروف فان صنع المعروف يقي مصارع السوء و إنه و إن ضيعه المصطنع إليه لم يضع عند الله عز وجلّ .

باب الغضب

أخرج البيهقي وابن عساكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «يامعاوية إياك والغضب فان الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل » والخرائطي « إياكم والبغضاء فانها الحالقة » وابن شاهين يقول الله : « ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب ولا أمحقك فيمن أمحق» والحاكم «إن الغضب ميسم من نار جهنم يضعه الله على نياط أحدكم ألاترى أنه إذا غضب احمرت عينه واربد وجهه وانتفخت أوداجه » والترمذي « للنار باب لايدخله إلا من شفى غيظه بسخط الله» والطبراني « من دفع غضبه دفع الله عنه عذابه » وأحمد وأبو داود «إن الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار و إنما يطفأ بالماء النار فاذا غضب أحدكم فليتوضأ » والطبراني «لو يقول أحدهم إذا غضب : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه غيظه » وروى أن بعض الصحابة حمله الغضب على أن ارتد عن الاسلام ومات كافرا فتأمل شر الغضب وما يحمل عليه والعياذ بالله . وعن وهب بن منبه : أن راهبا في صومعته أراد الشيطان أن يضله فعجز عنه فناداه ليفتح له فسكت فقال إن ذهبت ندمت فسكت فقال أنا المسيح فأجابه وقال : إن كنت المسيح فما أصنع بك ألست قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغير ذلك لم نقبله منك فأخبره أنه شيطان جاء ليضله فلم يستطع ثم قال له سلني عما شئت أخبرك قال ما أريد أن أسألك عن شئ فولى الشيطان مدبرا فقال له الراهب ألا تسمع قال بلى قال أخبرني أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم . قال الحدة إن الرجل إذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة . أعاذنا الله من شر الشيطان وشركه .

لعيني وتغشاني هناك الحقائق .

[فصل] في المرور على الصراط والحوض. قال الله تعالى - فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وإن منكم إلاواردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا - واختلف في ورودها فقيل هو الدخول فيها وهي خامـدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم وقيل هو الجواز على الصراط فانه ممدود عليهاوصححه النووي رحمه الله . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أوحذيفة بعد ماذكر حديث الشفاعة التي لجأ الناس إليه صلى الله عليه وسلم فيهاوهي الاراحـة من الموقف والفصل بين العباد قال فيأتون محمدا فيقوم و يؤذن له وترسـل

خاتمة : فى فضل كظم الغيظ والعفو

أخرج أبوداود وابن أبى الدنيا : من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا و إيمانا . وابن عساكر : وجبت محبة الله على من أغضب فحلم . وابن السنى : ما أضيف شئ إلى شئ أفضل من حلم إلى علم . وابن شاهين : ما أعز الله بجهل قط وما أذل الله بحلم قط ولا نقصت صدقة شيئا من مال قط . والترمذى : ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار ؟ قلنا بلى يارسول الله . قال : تحرم على كل قريب هين لين سهل . والخطيب : الحليم سيد فى الدنيا وسيد فى الآخرة كاد الحليم أن يكون نبيا . وقال أنس : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجذبه بردائه جذبة شديدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبى صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جذبته ، ثم قال : يامحمد مر لى من مال الله الذى عندك فالتفت وضحك ، ثم أمر له بعطاء .

وحكى اليافعى : أن الشيخ أبا عثمان الحيرى اجتاز بسكة وقت الهاجرة فألقى عليه رماد من سطح فتغير أصحابه و بسطوا ألسنتهم فى الملقى . فقال أبوعثمان : لاتقولوا شيئا من استحق أن تصب عليه النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب .

وحكى أيضا : أنه كان لبعض النساك شاة فرآها على ثلاث قوائم قال من فعل هذا بها ؟ فقال غلام له أنا . فقال لم ؟ قال لأغمك بها . فقال لا بل لأغمن من أمرك بها اذهب فأنت حر .

وحكى أيضا : أنه قيل للأحنف بن قيس ، ممن تعلمت الحلق . فقال من قيس بن عاصم المنقرى . قيل ومابلغ ذلك من خلقه قال : بينما هو جالس فى داره إذ جاءت خادمة له بشواء فسقط من يدها على ابن له فمات فدهشت الجارية . فقال لاروع عليك أنت حرة لوجه الله .

نسأل الله الكريم أن يطهر قلوبنا من الذنوب الباطنة ، ويرزقنا الأخلاق الحسنة آمين .

باب الغيبة

قال الله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ـ أخرج البيهقى والطبرانى وأبو الشيخ وابن أبى الدنيا عن جابر وأبى سعيد قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا ، قيل له كيف؟ قال : إن الرجل قد يزنى و يتوب فيتوب الله عليه و إن صاحب الغيبة لايغفر له حتى يغفر له صاحبه» . وأبو يعلى : أتدرون أربى الربا عندالله؟ قالوا الله ورسوله أعلم ،قال: فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا و إثما مبينا ـ ومسلم وأبو داود : أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول . قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته و إن لم يكن فيه فقد بهته . وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا ، تعنى قصرها قال : لقد قلت

الأمانة والرحم فتقومان جنبى الصراط يمينا وشمالا فيمر أولكم كالبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير وأشد الرجال تجرى بهم أعمالهم ونبيكم صلى الله عليه وسلم قائم على الصراط يقول رب سلم رب سلم حتى يجئ الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا قال : وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت فمخدوش ناج ومكدوس فى النار والذى نفس أبى هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفا . قال فى إكمال العلم تفسير الحديث الآخر : «إن الصخرة العظيمة لتلقى فى شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عاما حتى تفضى إلى قرارها» وفى صحيح البخارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى إذا هذبوا

كلمة لومزجت بماء البحر لمزجته : أى لأنتنته وغيرت ريحه . وابن أبى الدنيا عن صمية قالت : قلت لامرأة مرة وأنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إنّ هذه لطويلة الذيل ، فقال الفظى الفظى : أى ارمى مافى فيك فلفظت مضغة : أى قطعة من لحم . وأبو الشيخ : من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب إليه يوم القيامة ، فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويكلح ويضج . وابن أبى الدنيا : من اغتيب عنده أخوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيع نصره أذله الله فى الدنيا والآخرة . وأحمد عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع النبىّ صلى الله عليه وسلم فارتفعت ريح منتنة فقال صلى الله عليه وسلم : أتدرون ماهذه الريح ؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين . وهو عن ابن عباس قال : ليلة أسرى بنبى الله صلى الله عليه وسلم نظر فى النار فاذا قوم يأكلون الجيف ، قال مَن هؤلاء ياجبريل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس. وقال الحسن : والله للغيبة أسرع فسادا فى دين المؤمنين من الأكلة فى الجسد . قال ابن عباس : إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك . وقيل : يؤتى العبد يوم القيامة كتابه ولايرى فيه حسنة فيقول أين صلاتى وصيامى وطاعتى فيقال ذهب عملك كله باغتيابك الناس . وقيل للحسن البصرى : إنّ فلانا اغتابك ، فبعث إليه طبق حلوى وقال : بلغنى أنك أهديت إلىّ حسناتك فكافأتك .

وحكى القشيرى عن أبى جعفر البلخى قال : إنه كان عندنا شاب من أهل بلخ وكان يجتهد ويتعبد إلا أنه كان يغتاب الناس ويقول فلان كذا وكذا فرأيته يوما عند المخنثين الغسالين ، فخرج من عندهم ، فقلت يافلان ماحالك فقال تلك الوقيعة فى الناس أوقعتنى إلى هذا ابتليت بمخنث من هؤلاء وأنا هو ذا أخدمهم من أجله وتلك الأحوال كلها قد ذهبت عنى فادع الله لى لعلّ الله يرحمنى .

وحكى اليافعى عن الجنيد أنه قال : كنت جالسا فى مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أصلى عليها فرأيت فقيرا عليه أثر النسك يسأل الناس ، فقلت فى نفسى لوعمل هذا عملا يصون به نفسه عن المسألة كان أجمل به ، فلما انصرفت إلى منزلى وكان لى شئ من الأوراد بالليل من البكاء والصلاة وغير ذلك فثقل علىّ جميع أورادى فسهرت وأنا قاعد فغلبنى النوم فرأيت ذلك الفقير جيء به على خوان كالشاة المشوية فقيل لى كل لحمه فقد اغتبته وكشف لى الحال فقلت ما اغتبته وإنما قلت فى نفسى شيئا ، فقيل لى ما أنت ممن يرضى منك مثل هذا فاذهب واستحلّ منه ، فلما أصبحت لم أزل فى طلبه حتى رأيته فى موضع يلتقط من الماء عند تردّد الماء أوراقا من البقل مما تساقط من غسل البقل فسلمت عليه فردّ علىّ ، وقال تعود يا أبا القاسم قلت لا . قال اذهب غفر الله لنا ولك .

[تنبيه] إنّ الغيبة حرام إجماعا ، بل قال كثيرون إنها كبيرة ، وقد نقل القرطبى المفسر وغيره الاجماع على أنها من الكبائر لما فيها من الوعيد الشديد ، لكن حمله بعضهم على غيبة أهل العلم وحملة القرآن وكذا استماعها والسكوت عليها مع القدرة على دفعها .

واعلم أن حدّ الغيبة المحرّمة أن تذكر ولو بنحو إشارة وكتابة حتى بالقلب غيرك الغائب المحصور المعين للسامع حيا كان أو ميتا بما يكره عرفا أن يذكر به مما هو فيه بحضرته أوغيبته ، ويجب على من اغتاب أن يبادر إلى التوبة بشروطها فيقلع ويندم ويستغفر للمغتاب إن لم يعلم بها وإلا استحله منها ، فان تعذر لموته أو تعسر لغيبة استغفر الله له ولنفسه ولا يكفى تحليل وارثه .

ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى لمنزله فى الجنة منه لمنزله كان فى الدنيا وفى رسالة القشيرى قال معاذ بن جبل : إنّ المؤمن لايطمئن قلبه ولا تسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم . وكان أبو ميسرة رضى الله عنه إذا أوى إلى فراشه قال : ياليت أمى لم تلدنى ثم يبكى فقيل مايبكيك فقال أخبرنا أنا واردوها ولم نخبر أنا صادرون عنها . وبكى عبد الله بن رواحة وقال آية أنزلت ينبئنى فيها ربى أنى وارد النار ولم ينبئنى أنى صادر عنها فذلك الذى أبكانى . وقال الحسن كيف لايحزن المؤمن وقد حدث عن الله أنه وارد جهنم ولم ينبئه بأنه صادر عنها . وفى صحيح مسلم عن أنس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقيل ما أضحكك يارسول الله ؟ قال نزلت

باب النميمة

قال الله تعالى ـ ولا تطع كلّ حلاف مهين هماز مشاء بنميم ـ أخرج الشيخان عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايدخل الجنة نمام » والطبرانى « ليس منى ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه » وأحمد « خيار أمتى الذين إذا رؤوا ذكر الله وشرار أمتى المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون البرآء العيب » وابن حبان فى صحيحه « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا بلى، قال إصلاح ذات البين فان إفساد ذات البين هى الحالقة» وصححه الترمذى ، ثم قال ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم « هى الحالقة لاأقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين » وروى كعب أنه أصاب بنى إسرائيل قحط فاستسقى موسى عليه الصلاة والسلام مرات فما أجيب فأوحى الله إليه إنى لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة ، فقال من هو حتى نخرجه من بيننا ؛ فقال ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فتابوا بأجمعهم فسقوا . وقال عبدالله بن المبارك : إن ولد الزنا لا يكتم الحديث فعدم كتمه المستلزم للمشى بالنميمة دليل على أن فاعل ذلك ولد الزنا . وقيل: عمل النمام أضرّ من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالوسوسة وعمل النمام بالمواجهة .

وحكى أنه نودى على بيع عبد ليس فيه عيب إلا أنه نمام فاشتراه من استخف هذا العيب فلم يمكث عنده أياما حتى نمّ لزوجته أنه يريد التزوج بغيرك أو التسرى وأمرها أن تتخذ الموسى وتحلق بها شعرات من حلقه ليسحر بها فصدقته وعزمت على ذلك فجاء إليه ونمّ له عنها أنها اتخذت له موسى وتريد ذبحك الليلة فتناوم لترى ذلك فصدّقه فتناوم فجاءت لتحلق . فقال صدق الغلام ، فلما أهوت إلى حلقه أخذ الموسى منها وذبحها فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك النمام .

وحكى أيضا أن رجلا ماتت أخته ، فلما دفنت سقط من جيبه فى قبرها ذهب كان معه فرجع ليلا ونبش القبر فوجده ممتلئا نارا فرجع إلى أمه فقال لها أخبرينى ما كانت تفعل أختى من المنكر ؟ فقالت له لاأعرف منكرا إلا أنها كانت تخرج ليلا فتستمع على أبواب الجيران مايقولون وتنمّ به فيقع بذلك بينهم فتنة ، فقال هو ذلك وأخبرها بالحال ، عافانا الله من ذلك بمنه .

[تنبيه] قال الحافظ المنذرى : أجمعت الأئمة على تحريم النميمة وأنها من أعظم الذنوب عند الله عز وجل ، وقد اتفق العلماء على أنها من الكبائر وهى نقل كلام بعض الناس إلى بعض على وجه الإفساد بينهم ، أما نقل الكلام نصيحة للمنقول إليه فواجب .

خاتمة فى ذم النميمة

أخرج الشيخان « تجدون شرّ الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » والطبرانى « ذو الوجهين فى الدنيا يأتى يوم القيامة وله وجهان من نار » وهو والأصبهانى « من كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار » وقال الغزالى : ذو اللسانين من يتردّد بين متعادين ويكلم كلا بما يوافقه وقلّ من يتردّد بين متعادين إلا وهو بهذه الصفة ، وهذا عين النفاق والعياذ بالخلاق .

على آنفا سورة يقرأ بها بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر ثم قال أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا الله ورسوله أعلم، قال فانه نهر وعدنيه ربى عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتى فيقول ما تدرى ما أحدث بعدك . وقوله يختلج بالفظ المجهول أى يعدل به عن الحوض وهو إما المرتد وإما العاصى . وفى كتاب الترمذى عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لكل نبىّ حوضا وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردة وانى لأرجو أن أكون أكثرهم واردة » وفى صحيح البخارى عن سهل بن سعد قال قال النبى صلى الله عليه وسلم « أنا فرطكم على الحوض من مرّ على شرب ومن شرب

باب الكذب

قال الله تعالى – فنجعل لعنة الله على الكاذبين – وأخرج أحمد والشيخان والأربعة وغيرهم عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة صحيحة بلغت التواتر قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كذب عليّ متعمدا فليتبوّأ مقعده من النار» والشيخان «عليكم بالصدق فان الصدق يهدى إلى البر والبر يهدى إلى الجنة ومازال الرجل يصدق و يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فان الكذب يهدى إلى الفجور والفجور يهدى إلى النار ومازال العبد يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» وهما «أربع من كنّ فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر واذاخاصم فجر» وأحمد وأبوالشيخ «إياكم والكذب فان الكذب مجانب للايمان» والترمذى وأبونعيم «إذا كذب العبد كذبة تباعد عنه الملك ميلا من نتن ماجاء به» والحاكم «كفى بالمرء من الكذب أن يحدث بكل ماسمع وكفى بالمرء من الشح أن يقول: آخذ حقى لاأترك منه شيئا» وأحمد وأبوداود «ويل للذى يحدّث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له» وأحمد «خمس ليس لهنّ كفارة الشرك بالله وقتل النفس بغيرحق وبهت المؤمن والفرار من الزحف ويمين صابرة يقتطع بها مالا بغيرحق» والبخارى «من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صبّ فى أذنيه الآنك يوم القيامة» وأحمد وابن أبى الدنيا «من قال لصبى تعال هاك ثم لم يعطه فهى كذبة» وابن حبان عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ما اطلع على أحد من ذلك بشىء فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه أحدث توبة.

وحكى اليافعى عن الشيخ أبى عبد الله محمد بن مقاتل قال: كنت عند الشيخ عبد القادر رحمه الله ونفعنا به، فسأله سائل علام بنيت أمرك؟ قال على الصدق وما كذبت قط قال رضى الله عنه كنت صغيرا فى بلادنا فخرجت فى يوم عرفة وتبعت بقر حراثة فالتفتت إلىّ بقرة وقالت ياعبد القادر ما لهذا خلقت وما بهذا أمرت فرجعت فزعا إلى دارنا وصعدت سطح الدار فرأيت الناس واقفين بعرفات فجئت إلى أمى فقلت لها هبينى لله عز وجل وائذنى لى فى المسير إلى بغداد أشتغل بالعلم وأزور الصالحين، فسألتنى عن سبب ذلك فأخبرتها بخبرى فبكت أمى وقامت إلى ثمانين دينارا أورثنها أبى فتركت لأخى أربعين دينارا وخاطت فى دلق تحت إبطى أربعين دينارا وأذنت لى بالمسير وعاهدتنى على الصدق فى كل أحوالى وخرجت مودّعا، وقالت ياولدى اذهب قد أودعتك الله عزّ وجل فهذا وجه لاأراه إلى يوم القيامة وسرت مع قافلة صغيرة تطلب بغداد، فلما تجاوزنا همدان وكنا بأرض كذا وكذا: بلاد سماها خرج علينا ستون فارسا فأخذوا القافلة ولم يتعرّض لى أحدهم فاجتاز بى أحدهم وقال لى يافقير مامعك؟ فقلت له أربعون دينارا. فقال وأين هى؟ قلت مخاطة فى دلق تحت إبطى وظن أنى استهزأت به فتركنى وانصرف ومرّ بى آخر وقال مثل ماقال الأول فأجبته بجواب الأول وتركنى وانصرف وتوافيا عند مقدمهم فأخبراه بما سمعاه منى، فقال علىّ به فأتى بى إليه، وإذا هم على تلّ يقسمون أموال القافلة. فقال لى مامعك فقلت له أربعون دينارا فقال وأين هى فقلت مخاطة فى دلق تحت إبطى فأمر بدلقى ففتح فوجد فيه الأربعين دينارا. فقال لى ماحملك على الاعتراف؟ قلت إن أمى عاهدتنى على الصدق وأنا

لاأخون

يظمأ أبدا ليردنّ علىّ أقوام أعرفهم ويعرفونى ثم يحال بينى وبينهم» وزاد أبوسعيد الخدرى فقال «فأقول إنهم منى فيقال إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك فأقول سحقا سحقا لمن غير بعدى» (قوله لم يظمأ) أى لم يعطش وفيه أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار، وفيه أن الواردين للمارين عليه كلهم يشربون وأنما يمنع الذين يزادون عن الورود والمرور عليه وسحقا أى بعدا وهذا مشعر بأنهم مرتدون عن الدين لأنه يشفع للعصاة ويهتمّ بأمرهم ولا يقول لهم مثل ذلك. وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «بينا أنا قائم عند الحوض إذ زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلمّ فقلت إلى أين؟ قال إلى النار والله قلت ما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك

لا أخون عهدها فبكى المقدم ، وقال أنت لم تخن عهد أمك ، وأنالى كذا وكذا سنة أخون عهد ربى فتاب على يدى . فقال : أصحابه له أنت كنت مقدمنا فى قطع الطريق ، وأنت الآن مقدمنا فى التوبة فتابوا كلهم على يدى وردوا على القافلة ما أخذوا منهم فهو أوّل من تاب على يدى ، نفعنا الله ببركته وحشرنا فى زمرته .

[تنبيه] الكذب عند أهل السنة هو الاخبار بالشىء على خلاف ماهو عليه سواء أعلم ذلك وتعمد أم لا ، وأما العلم والتعمد فانما هما شرطان للاثم .

واعلم أنه قد يباح وقد يجب ، فالضابط أن كل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان أمكن التوصل إليه بالكذب وحده فمباح إن أبيح تحصيل ذلك المقصود وواجب إن وجب تحصيل ذلك كالو رأى معصوما اختفى من ظالم يريد قتله أو إيذاءه فالكذب هنا واجب لوجوب عصمة دم المعصوم وكذا لوسأله ظالم عن وديعة يريد أخذها فيجب إنكارها و إن كذب ، بل لواستحلف جاز له الحلف و يورّى و إلاحنث ولزمه الكفارة وقيل يلزم الحلف ومهما كان لايتم مقصود حرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجنى عليه أو إرضاء زوجته إلابالكذب فيه فمباح ولوسأله السلطان عن فاحشة وقعت منه سرا كزنا أوشرب خمر فله أن يكذب و يقول مافعلت ذلك وله أن ينكر أيضا سر أخيه وحيث جاز الكذب فهل يشترط التورية أو يجوز مطلقا ؟ قال شيخنا ابن حجر والذى يتجه عدم وجوب التورية مطلقا . قال الغزالى والأحسن أن يورّى ، وهى أن يطلق لفظا وهو ظاهر فى معنى ، وهو يريد معنى آخر يتناوله ذلك اللفظ كما قال النخعى : إذا بلغ إنسانا عنك شىء قلته فقل الله يعلم مافعلت من ذلك من شىء يفهم السامع النفى ، ومقصوده بما أنها بمعنى الذى ، وهو مباح إن دعت إليه حاجة و إلا فمكروه وحرام إن توصل به إلى باطل أودفع حق . قال الشافعى رضى الله عنه ومن الكذب الخفى أن يروى الانسان خبرا عمن لايعرف صدقه من كذبه . حشرنا الله فى زمرة الصدّيقين . وأوليائه المقرّبين الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون .

باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

قال الله تعالى ـ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ـ قال الغزالى : أفهمت الآية أن من هجرهما خرج من المؤمنين ، وقال القرطبى : جعلهما الله فرقا بين المؤمنين والمنافقين ، وأخرج مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان . والبزار : الاسلام ثمانية أسهم ، الاسلام : أى الشهادتان سهم ، والصلاة سهم ، والزكاة سهم ، والصوم سهم ، وحج البيت سهم ، والأمر بالمعروف سهم ، والنهى عن المنكر سهم ، والجهاد فى سبيل الله سهم ، وقد خاب من لاسهم له . والأصبهانى : لاتزال لاإله إلا الله تنفع من قالها ، وترد عنهم العذاب والنقمة مالم يستخفوا بحقها قالوا يارسول الله : وما الاستخفاف بحقها ؟ قال : يظهر العمل بمعاصى الله فلا ينكر ولا يغير . وهو أيضا : أيها الناس ، مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم ، وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم ، إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لايدفع رزقا

على أدبارهم القهقرى ثم إذا زمرة إذا عرفتهم خرج رجل من بينى و بينهم فقال هلم فقلت إلى أين قال إلى النار والله قلت ماشأنهم قال إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى فلا أراه يخلص فيهم إلا مثل همل النعم » قال الكرمانى فى الكواكب الدرارى والهمل بفتحتين مايترك مهملا لايتعهد ولا يرعى حتى يضيع و يهلك أى لايخلص منهم من النار إلاقليل وهذا مشعر بأنهم صنفان كفار وعصاة وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين و إنا إن شاء الله بكم لاحقون ووددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا أولسنا إخوانك يارسول الله ؟ قال بل أنتم أصحابى و إخواننا الذين لم يأتوا بعد قالوا وكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك

ولا يقرب أجلا ، والأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم . ثم عموا بالبلاء . وأبوداود والترمذى : أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر . ورزين : إن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لايعرفه فيقول له مالك إلىّ وما بينى و بينك معرفة ، فيقول كنت ترانى على الخطأ والمنكر ولا تنهانى . والشيخان : يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فيدور بها فى النار كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون يافلان ما أصابك ؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول قد كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وآتيه. والبيهقى : أوحى الله عزّوجلّ إلى جبريل عليه السلام : أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها . فقال : يارب إن فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين . قال : فقال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمعر فىّ ساعة قط .

[تنبيه] اعلم أن الأمر بواجبات الشرع والنهى عن محرماته واجب على كل مكلف من حرّ وقنّ وذكر وأنثى ولوغير مسموع القول وجوب كفاية ، وقد يكون فرض عين كما إذا كان بمحل لايعلمه غيره أولايقدر عليه غيره ، وأنه ينكر باليد . ثم إن عجز فباللسان ، فلو قدر واحد باليد وآخر باللسان تعين على الأول إلا أن يكون الرجوع لذى اللسان أقرب أو أنه يرجع له ظاهرا و باطنا ولا يرجع لذى اليد إلا ظاهرا فقط فيتعين على ذى اللسان ، فعليه أن يغيره بكل وجه أمكنه فلا يكفى الوعظ ممن أمكنه إزالته باليد ولا كراهة القلب لمن قدر على النهى باللسان فان عجز عن الانكار باللسان أولم يقدر وقدر على التعبيس والهجر والنظر شزرا لزمه ذلك ولا يكفيه إنكار القلب ولا يسقط الانكار بالقلب عن مكلف أصلا إذ هو كراهة المعصية وهو واجب على كل مكلف ، بل ذهب جماعة منهم أحمد بن حنبل أن ترك الانكار بالقلب كفر والعياذ بالله . اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين وأوليائك المقرّبين الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون آمين يارب العالمين .

باب الكسب

أخرج أحمد والطبرانى عن أبى بردة بن نيار . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضل الكسب بيع مبرور وعمل الرجل بيده . والبيهقى عن معاذ : إن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا . وإذا اؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا وعدوا لم يخلفوا ، وإذا اشتروا لم يذموا ، وإذا باعوا لم يطروا ، وإذا كان عليهم لم يمطلوا ، وإذا كان لهم لم يعسروا . وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر : التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة . والأصبهانى والديلمى عن أنس : التاجر الصدوق تحت ظلّ العرش يوم القيامة . وسعيد بن منصور عن نعيم بن عبد الرحمن مرسلا : تسعة أعشار الرزق فى التجارة ، والعشر فى المواشى . والطبرانى عن ابن عمر : لوأذن الله تعالى فى التجارة لأهل الجنة لاتجروا فى البز والعطر . والخطيب عن أبى هريرة : عليك بالبز فان صاحب البز يعجبه أن يكون الناس بخير وفى خصب . وابنا ماجه وحبان : يامعشر التجار إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلامن اتقى الله وبرّ وصدق . والطبرانى عن ابن عباس : من أمسى كالا من عمل يديه أمسى مغفورا له . وأحمد والبخارى

يارسول الله ؟ قال أرأيت لوأن رجلا له خيل غرّ محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ؟ قالوا بلى يارسول الله قال فانهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادنّ رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقا سحقا . وفى كتاب الترمذى عن ثوبان عن النبى صلى الله عليه وسلم: حوضى من عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشدّ بياضا من اللبن وأحلى من العسل وآنيته عدد نجوم السماء من شرب شربة لم يظمأ بعدها أبدا أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين الشعث رءوسا الدنس ثيابا الذين لاينكحون المتنعمات ولاتفتح لهم السدد ، فقال عمر ابن عبدالعزيز لكنى نكحت متنعمات وفتحت لى السدد

عن المقداد « ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده » وأحمد وابن ماجه عن عقبة ابن المنذر « إنّ موسى عليه السلام آجر نفسه ثمانى سنين أو عشرا على عفة فرجه وطعام بطنه » والخطيب وابن عساكر عن سهل بن سعد « عمل الأبرار من الرجال الخياطة ، وعمل الأبرار من النساء المغزل » وأحمد وابن ماجه عن عائشة « إذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلايدعه حتى يتغير له » .

[خاتمة] أخرج الطبرانى عن المقداد « إذا كان فى آخر الزمان لا بدّ للناس فيها من الدراهم والدنانير يقيم الرجل بها دينه ودنياه » وابن عساكر عن أنس « ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعا ، فانّ الدنيا بلاغ إلى الآخرة ، ولا تكونوا كلا على الناس» .

[تنبيه] أفضل المكاسب التجارة . وقال بعض المحققين : أفضلها الزراعة ، ثم الصناعة ، ثم التجارة

فصل فى أركان البيع

أركان البيع : عاقدان ومعقود عليه وصيغة وشرط فيها لفظ يدلّ على الإيجاب والقبول كبعتك وملكتك وهو لك ووهبتك بكذا وكاشتريت هذا وتملكت ورضيت وقبلت بكذا بلا تخلل فصل طويل بينهما ولا كلام أجنبي وإن قلّ وينعقد بالكناية كخذه وجعلته لك بكذا لا بمعاطاة لكن اختار النووى كجمع متقدمين الانعقاد بكل مايعده الناس بيعا عرفا . وفى العاقدين تكليف واختيار وإسلام من يشترى له ما كتب فيه قرآن ولو آية وإن أثبتت لغير الدراسة أو كتب علم شرعى أو رقيق مسلم أو مرتد وعدم حرابة من يشترى له آلة حرب كترس ودرع وخيل وفى المعقود عليه طهارته فبيع نجس العين باطل وإن أمكن طهره بالاستحالة وكذا متنجس لايطهر بالغسل ويجوز نحو الصدقة بالمتنجس أو اقتناء الكلب لنحو حراسة وتربية الزرع بنجس والنفع فيبطل بيع مالاينفع كحبق نحو حنطة أو زبيب ويحرم أخذ حبة وخلال من حق غيره ويجب ردّهما وكفر مستحله ولا يصح بيع السم إلا إن نفع قليله كالأفيون ، والولاية على المعقود عليه بملك أو غيره فيبطل بيع المرء مال غيره فضوليا وإن أجازه المالك وقدرة تسليم المبيع فلا يصح بيع مغصوب لغير قادر على انتزاعه وآبق وضال وإن عرف مكانه ولابيع السمك فى بركة واسعة بحيث يحتاج آخذه منها إلى كثير كلفة والعلم به فبيع أحد نحو الثوبين باطل ورؤية المتعاقدين ماعقد على عينه فبيع مالم يره أحدهما والشراء باطل وإن بالغ فى وصفه وكذا رهنه وإجارته وهبته .

فصل فى الربا

قال الله تعالى ـ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ـ وقال تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ـ أى فى الدنيا والآخرة . أما فى الدنيا فيجب على حكام الشريعة إذا علموا من شخص

نكحت فاطمة بنت عبد الملك لا جرم أن لا أغسل رأسى حتى يتشعث ولا أغسل ثوبى الذى يلى جسدى حتى يتسخ . وفى صحيح البخارى كان ابن أبى مليكة يقول اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا . واعلم أنّ الحاء محوض لنبيه صلى الله عليه وسلم على باب الجنة يسقى منه المؤمنون وهو مخلوق اليوم فتب يا أخى إلى ربك واتقه ليخرجك من همك واسأله أن يقيك من فتنة تقع فى دينك فتذاد عن حوض نبيك قيل إن الله ستر ثلاثا فى ثلاث ستر رضاه فى طاعته فلا يحقرنّ أحدكم من الطاعة شيئا فربّ محتقر من الطاعة فيه رضا الله وستر غضبه فى معصيته فلا يحقرنّ أحدكم شيئا من المعصية فربّ محتقر من المعصية فيه غضب الله وستر وليه فى خلقه فلا يحقرنّ أحدكم أحدا من خلق الله فربّ

تعاطى الربا أن يعزّروه بالحبس وغيره إلا أن يتوب ، فان كانت له شوكة ولم يقدروا عليه إلا بنصب حرب نصبوا آلة الحرب والقتال كما قاتل أبو بكر رضى الله عنه مانعى الزكاة وأما فى الآخرة فلا يعلم أنواع عذابهم إلا الملك المنتقم .

وأخرج الشيخان عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا يا رسول وما هنّ ؟ قال الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرّم الله إلا بالحقّ ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » وأحمد بسند صحيح والطبرانى عن عبد الله بن حنظلة « درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشدّ عند الله من ستة وثلاثين زنية » وابن أبى الدنيا والبيهقى عن رجل من الصحابة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أمر الربا وعظم شأنه وقال : إنّ الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله فى الخطيئة من ستة وثلاثين زنية يزنيها الرجل . والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين والبيهقى « الربا ثلاثة وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه » والطبرانى « إياكم والذنوب التى لا تغفر الغلول فمن غل شيئا أتى به يوم القيامة ؛ وأكل الربا : فمن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنونا يتخبط ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الذين يأكلون الربا . إلى: المس ـ » والأصبهانى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لما أسرى بى مررت بقوم بطونهم بين أيديهم كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم قد مالت بهم بطونهم منضدين على سابلة : أى طريق آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا . قال فيقبلون مثل الابل المنهومة لا يسمعون ولا يعقلون . فاذا أحسّ بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردّونهم مقبلين ومدبرين ، فذلك عذابهم فى البرزخ بين الدنيا والآخرة . قال صلى الله عليه وسلم فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون الربا » وفى رواية له « بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم » ومسلم عن جابر « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال وهم سواء » وروى أحمد عن كعب الأحبار أنه قال « لأن أزنى ثلاثة وثلاثين زنية أحبّ إلىّ من أن آكل درهما ربا » وقال ابن عباس : إنه لايقبل من آكل الربا صدقة ولا جهاد ولا حج ولا صلة وقال أيضا : من عامل بالربا استتيب فان تاب وإلا ضرب عنقه . وأخبرنا شيخنا ابن حجر نفعنا الله به أنه كان من صغره يتعاهد قبر والده للقراءة عليه فخرج يوما بعد صلاة الصبح بغلس فى رمضان وقال أظن أن ذلك كان فى العشر الأخير بل فى ليلة القدر ، فلما جلس على قبره وقرأ شيئا من القرآن ولم يكن فى المقبرة أحد غيره فاذا هو سمع التأوّه العظيم والأنين الفظيع بآه آه آه وهكذا بصوت أزعجه من قبر مبنى بالنورة والجصّ له بياض عظيم فقطع القراءة واستمع فسمع صوت ذلك العذاب من داخله ، وذلك الرجل المعذب يتأوّه تأوّها عظيما بحيث يقلق سماعه القلب ويفزعه فاستمع إليه زمنا ، فلما وقع الاسفار خفى حسه عنه فمر به إنسان فقال له الشيخ هذا قبر من ؟ فقال هذا قبر فلان أدركه الشيخ وهو صغير وكان الرجل المعذب على غاية من ملازمة المسجد ،الصلاة فى أوقاتها والصمت عن الكلام وهذا كله شاهده وعرفه منه فكبر على الشيخ الأمر جدا لما علمه من الأحوال التى كان ذلك الرجل متلبسا بها فى الظاهر فسأل واستقصى

من لا يؤبه له وهو ولىّ الله وستر أيضا رابعا وهو الاجابة فى الدعاء فلا يحقرن أحدكم شيئا من الدعاء على أى حال كان وفى أى موطن كان :

قف على الباب طالبا وذر الدمع ساكبا
وتوسل إليه وار جع عن الذنب تائبا
تلق من حسن صنعه عند ذاك العجائبا
لا تخف أن تردّ عن كرم الله خائبا
فهو يجزى على اليسير ويعطى الرغائبا
شرف المرء بالتقى فاجعل الصدق صاحبا
واحتشم أن يراك ر بك للذنب راكبا
إن للدهر أسهما للرزايا صوائبا
وخطوبا تتابعت فأثارت نوائبا
فارض بالله واعتصم واسأل الله راغبا

[فصل] فى الشفاعة

قال الله تعالى ـ يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن . وقال لا يشفعون إلا لمن ارتضى ـ ذكر أبو بكر البزار عن

الذين يطلعون على حقيقة أحواله فأخبروه أنه كان يأكل الربا فانه كان تاجرا ثم كبر وبقى معه شئ من الحطام فلم ترض نفسه الظالمة الخبيثة أن تأكل من جنبه حتى يأتيه الموت بل سوّل له الشيطان المعاملة بالربا حتى لا ينقص ماله فأوقعه فى ذلك العذاب الأليم حتى فى رمضان حتى فى ليلة القدر . اتركوا عباد الله الربا الذى قال فيه نبيكم صلى الله عليه وسلم «إنه كالزنا بأمه وإنه كستة وثلاثين زنية وإن آكله لايغفر له» ولا تقتدوا بالأشقياء المغرورين فانهم غدا يعلمون ما يحل بهم من أنواع العذاب الأليم بشئ فان يسير . اللهم اغفر لنا ماقدمنا وما أخرنا وما أسررنا وما أعلنا واهدنا إلى الصراط المستقيم آمين .

[تنبيه] إن الربا حرام إجماعا وهو من الكبائر المهلكة وكفر مستحله . واعلم أنه إنما يجرى فى نقد وماقصد لطعم فان بيع ربوى بجنسه شرط مماثلة وحلول وتقابض قبل التفرق أو بغير جنسه واتحدا علة شرط الأخيران . وقال أبو القاسم بن عبد بن الوراق رأيت عبد الله بن أبى أوفى فى سوق الصيارفة فقال يامعشر الصيارفة أبشروا قالوا بشرك الله بالجنة بم تبشرنا ياأبا محمد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للصيارفة : أبشروا بالنار . وفى قرض شئ بشرط جرّ نفع للمقرض فهذا هو المشهور الآن بين الناس واقع كثيرا . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أقرض أحدكم أخاه قرضا فأهدى إليه طبقا فلا يقبل أو حمله على دابته فلا يركبها إلا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك . رواه ابن ماجه والبيهقى .

وحكى أنه كان لأبى حنيفة على يهودى مال كثير قرضا وأخذ يوما شيئا من طين جدار اليهودى وترّب به ورقة ناسيا دينه عليه ، فلما تذكره أبرأه عن جميع ذلك المال حذرا من أن يكون ذلك ربا ، وأن الحيلة فى الربا وغيره حرام عند مالك وأحمد بن حنبل وقال بعضهم : ورد أن أكلة الربا يحشرون فى صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلتهم على أكل الربا كما مسخ أصحاب السبت حين تحيلوا على اصطياد الحيتان التى نهاهم الله عن اصطيادها يوم السبت فحفروا لها حياضا تقع فيها يوم السبت حتى يأخذوها يوم الأحد فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير وهكذا الذين يتحيلون على الربا بأنواع الحيل فان الله تعالى لايخفى عليه حيل المحتالين والمخادعين .

فصل فى الاحتكار والتفريق بين الوالدة وولدها

أخرج أحمد والحاكم عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطئ» : أى آثم ، وقد برئت منه ذمة الله ورسوله » وهما : من احتكر طعاما أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى . وابن عساكر «من احتكر طعاما على أمتى أربعين يوما وتصدق به لم يقبل منه» والطبرانى «بئس العبد المحتكر إن أرخص الله الأسعار حزن وإن أغلاها فرح» والحاكم «من دخل فى شئ من أسعار المسلمين يغلى عليهم كان حقا على الله أن يقذفه فى جهنم رأسه أسفله» والأصبهانى إن طعاما ألقى على باب المسجد فخرج عمر رضى الله عنه وهو أمير المؤمنين يومئذ . فقال ما هذا الطعام ؟ فقالوا طعام جلب إلينا أو علينا ، فقال له بعض الذين معه يا أمير المؤمنين قد احتكر قال ومن احتكره ؟ قالوا احتكره فروخ وفلان مولى عمر بن الخطاب . فأرسل إليهما فأتياه ، فقال ماحملكما على احتكار

النبىّ صلى الله عليه وسلم قال «يحمل الناس يوم القيامة على الصراط فيتفادع بهم جنبا الصراط تفادع الفراش فى النار ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء والصالحين فيشفعون ويخرجون من فى النار» وروى فى الصحيح : إن أول من يشفع المرسلون ثم النبيون ثم العلماء. وفى كتاب الترمذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم قيل يارسول الله سواك قال سواى» وفى مسند البزار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن من أمتى من يشفع للفئام من الناس ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للرجل وأهل بيته» وروى الدراقطنى عن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نعم الرجل أنا لشرار أمتى قالوا كيف لخيارها قال أماخيارها

طعام المسلمين ، فقالوا يا أمير المؤمنين نشترى بأموالنا ونبيع ، فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس» فقال عند ذلك فروخ يا أمير المؤمنين فانى أعاهد الله وأعاهدك على أن لا أعود فى احتكار طعام أبدا فتحول إلى برّ مصر وأما مولى عمر فقال : نشترى بأموالنا ونبيع فزعم أبو يحيى أحد رواته أنه رأى مولى عمر مجذوما مشدوخا. وأخرج أحمد والترمذى عن أبى أيوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «من فرق بين الوالدة وولدها فرق الله بينه و بين أحبته يوم القيامة» وابن ماجه «لعن الله من فرق بين الوالدة وولدها و بين الأخ وأخته».

[تنبيهان : أحدهما] أن الاحتكار المحرّم هو أن يمسك ما اشتراه فى الغلاء لا الرخص من الأقوات ولو تمرا وزبيبا بقصد أن يبيعه بأغلى مما اشتراه عند اشتداد الحاجة إليه ، وألحق الغزالى بالقوت كل مايعين عليه كاللحم والفواكه وصرح القاضى بكراهة الاحتكار فى الثياب . وثانيهما أن التفريق بين الوالدة وولدها الغير المميز لصغر أوجنون بنحو بيع لغير من يعتق عليه حرام و إن رضيت الأم إلا بالعتق والوقف و يبطل ذلك التصرف والأب والجد والجدة و إن بعد كالأم عند فقدها و يحرم التفريق أيضا بالسفر بين الأمة وولدها الغير المميز و بين الزوجة وولدها بخلاف المطلقة و يحرم بيع ولد البهيمة مالم يستغن عن اللبن أو لم يقصد الذبح و بطل و بحث السبكى حرمة ذبح أمه مع بقائه و يحرم بيع نحو العنب ممن علم أو ظن أنه يتخذه مسكرا للشرب والحشيشة ممن يعلم أنه يستعملها والأمرد ممن عرف بالفجور به ولو باستعاضة والديك للهارشة والكبش للناطحة وكل مايؤدى إلى معصية ولو ظنا .

فصل فى الغش فى البيع وغيره

أخرج مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا» وهو والترمذى عنه : أنه صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا ؟ فقال ماهذا ياصاحب الطعام . قال أصابته السماء أى المطر يارسول الله ، قال أفلا تجعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا . وابن ماجه «من باع عيبا لم يبينه لم يزل فى مقت الله ولم تزل الملائكة تلعنه» والبيهقى والأصبهانى عن أبى هريرة موقوفا عليه : أنه مرّ بناحية الحرة ، فاذا بانسان يحمل لبنا يبيعه فنظر إليه أبو هريرة فاذا هو قد خلطه بالماء ، فقال له أبو هريرة كيف تكون إذا قيل لك يوم القيامة خلص الماء من اللبن . وحكى الغزالى فى الإحياء أن شخصا كانت له بقرة يحلبها و يخلط فى لبنها ماء و يبيع فجاء سيل فغرق البقرة ، فقال بعض أولاده إن تلك المياه المتفرقة التى صببناها فى اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة .

وحكى شقيق البلخى : أنه كان لأبى حنيفة شريك فى التجارة يقال له بشر فخرج بشر فى تجارته بمصر فبعث إليه أبو حنيفة سبعين ثوبا من ثياب خز فكتب إليه إن فى الثياب ثوب خز معيبا بعلامة كذا ، فاذا بعته فبين للمشترى العيب ، قال فباع بشر الثياب كلها ورجع إلى الكوفة ، فقال أبو حنيفة هل بينت ذلك العيب الذى فى الثوب الخز ؟ فقال بشر نسيت ذلك العيب ، قال فتصدق أبو حنيفة بجميع ما أصابه من تلك التجارة الأصل والفرع جميعا ، قال وكان

فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرار أمتى فيدخلون الجنة بشفاعتى» وروى عن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتانى آت من عند الله فخيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة و بين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهى لمن مات لا يشرك بالله شيئا» وفى الوسيط للواحدى عن جابر . قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن الرجل يقول فى الجنة مافعل صديقى وصديقه فى الجحيم فيقول الله عز وجل أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بقى فيها فما لنا من شافعين ولا صديق حميم» وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال : إن ناسا قالوا يا رسول الله هل يرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال هل «تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون فى رؤية القمر

نصيبه من ذلك ألف درهم ، وقال مال قد دخلت فيه الشبهة فلاحاجة لى به .

[تنبيه] ضابط الغش المحرّم أن يعلم ذوالسلعة من نحو بائع أومشتر فيها شيئا لواطلع عليه من يريد أخذها لما أخذها بذلك المقابل ، فيجب عليه أن يعلمه به ، ويجب أيضا على أجنبي علم بالسلعة عيبا أن يخبر مريد أخذها ، وإن لم يسأل عنها كما يجب عليه إذا رأى إنسانا يخطب امرأة وعلم بها أو به عيبا أو رأى إنسانا يريد أن يخالط آخر لمعاملة أو صداقة أو قراءة نحو علم وعلم بأحدهما عيبا أن يخبره به وإن لم يستشره فلا يكفى فى تبيين العيب هومعيب مثلا ولا إنما اتهمته بالعيب .

فصل : فى إنفاق السلعة بالحلف الكاذب

أخرج مسلم عن أبى ذرّ : ثلاثة لاينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . قال فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرّات ، فقلت خابوا وخسروا من هم يارسول الله؟ قال : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب . والطبرانى والبيهقى : ثلاثة لاينظر الله إليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب أليم : أشمط زان ، وعائل مستكبر ، ورجل جعل الله بضاعته لايشترى إلا بيمينه ولايبيع إلا بيمينه . ومسلم : إياكم وكثرة الحلف فى البيع فانه ينفق ثم يمحق . والطبرانى : يامعشر التجار إياكم والكذب . وابن حبان عن أبى سعيد قال : مرّ أعرابى بشاة فقلت تبيعها بثلاثة دراهم فقال لا والله ، ثم باعها فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال باع آخرته بدنياه .

فصل : فى بخس نحو الكيل والوزن والذرع

قال الله تعالى – ويل – أى شدّة عذاب أو واد فى جهنم من شرّ أوديتها ولو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدّة حرّه – للمطففين – الذين يزيدون لأنفسهم من أموال الناس ببخس الكيل أو الوزن – الذين إذا اكتالوا على الناس – أى منهم لأنفسهم – يستوفون – الكيل – وإذا كالوهم أو وزنوهم – أى اكتالوا أو وزنوا لهم – يخسرون – أى ينقصون الكيل والوزن – ألا يظنّ – أى يتيقن – أولئك – الذين يفعلون ذلك – أنهم مبعوثون ليوم عظيم – أى هوله وعذابه – يوم يقوم الناس لربّ العالمين – أى من قبورهم حفاة عراة . قال السدّى : سبب نزول هذه الآية : أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كان بها رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر ، فأنزل الله الآية . وأخرج الترمذى عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الكيل والوزن : إنكم قد وليتم أمرين هلك فيهما الأمم السالفة . وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر قال : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «يامعشر المسلمين خمس خصال إذا ابتليتم بهنّ وأعوذ بالله أن تدركوهنّ : لم تظهر الفاحشة فى قوم قط فيعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا الكيل والميزان إلا أخذوا بالسنين : وهى العام المقحط الذى لاتنبت الأرض فيه شيئا وقع مطر أولا ، وشدّة المؤنة ، وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوّا من غيرهم فأخذوا بعض مافى أيديهم ، ولم يحكم أئمتهم بغير كتاب الله وتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم » وقال

ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يارسول الله قال ماتضارون فى رؤية الله تعالى يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلايبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب والأوثان إلايتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من برّ وفاجر وغبر أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد عزيرا ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يارب فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ثم تدعى النصارى قالوا فيقال لهم ماكنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم

عكرمة : أشهد أن كل كيال ووزان فى النار . فقيل له إنّ ابنك كيال ووزان . فقال اشهدوا أنه فى النار . وقال عليّ رضى الله عنه : لا تلتمس الحوائج ممن رزقه فى رءوس المكيال وألسن الموازين . وما أحسن قول من قال : الويل ثم الويل لمن يبيع بحبة ينقصها جنة عرضها السموات والأرض ويشترى بحبة يزيدها واديا فى جهنم يذيب جبال الدنيا ومافيها .

وحكى اليافعى عن مالك بن دينار : أنه دخل على جار له احتضر ، فقال : يامالك جبلان من النار بين يدىّ أكلف الصعود عليهما . قال مالك فسألت أهله عن حاله فقالوا كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت أحدهما بالآخر حتى كسرتهما ، ثم سألت الرجل ، فقال مايزداد الأمر إلا شدّة فمات فى مرضه .

وحكى أيضا عن بعضهم : أنه قال لبعض الناس وهو فى النزع وكان يعامل الناس بالميزان قل لا إله إلا الله ، فقال ما أقدر أن أقولها لسان الميزان على لسانى يمنعنى من النطق بها . قال فقلت له أما كنت توفى الوزن ؟ قال بلى ولكن ربما كان يقع فى الميزان شىء من الغبار ولا أشعر به ، تفكروا عباد الله إذا كان هذا حال من لايشعر فى ميزانه بالغبار ، فكيف حال من وزن ناقصا ، عجبا لمن يبيع جنة بحبة ينقصها ويشترى واديا فى جهنم بحبة يزيدها .

[تنبيه] إنّ البخس فيما ذكر حرام بل هو كبيرة كما صرحوا به ، ومن البخس المحرّم مايعتاد فسقة التجار والبزازين فى ذرع الثياب ونحوها من طلب تشديد جرّها حين البيع وإرخائها حين الشراء فهم داخلون فى الوعيد الشديد .

فصل فى السماحة وإقالة النادم

أخرج البخارى عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « رحم الله عبدا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى » وأحمد والترمذى عنه : غفر الله لرجل ممن كان قبلكم كان سهلا إذا باع ، سهلا إذا اشترى ، سهلا إذا اقتضى . والبيهقى : عليك بأوّل السوم فانّ الربح مع السماحة . وقال أبوعمر : كان الزبير تاجرا مجدودا فى التجارة يعنى محظوظا ، فقيل له بم أدركت فى التجارة ما أدركت ؟ قال إنى لم أشتر معيبا ولم أزد ربحا والله يبارك مايشاء .

وحكى أنّ السرى السقطى كان فى ابتداء أمره فى بغداد صاحب دكان وكان لايزيد فى البيع والشراء إلا ربح نصف درهم لكل عشرة واشترى بستمائة دينار لوزا فغلا اللوز فجاء الدلال وقال بع بربح ثلاثة لكل عشرة . فقال لاأزيد الربح فوق نصف درهم لكل عشرة ولا أنقض عزمى ؛ فقال الدلال أنا أيضا لاأجيز بيع متاعك بالناقص فلا باع الدلال ولانقض السرى عزمه . وأخرج البيهقى : من أقال نادما أقال الله عثرته يوم القيامة .

وحكى عن بعض التجار الصالحين : أنه اشترى يوما عسلا بثلاثين ألف درهم ، فلما كان الغد أضعف ثمنه ربح ثلاثين ألف درهم أخرى ، فسمع ذلك البائع فندم على بيعه وتحسر ، فقال له بعض إخوانه أتحب أن نرجع إليك عسلك ولا يفوتك ربحه ؟ فقال إى والله . فقال تبكر غدا وتصلى مع الشيخ صلاة الصبح ، فاذا سلم من صلاته وفرغ من دعائه فسلم عليه وقل إنى ندمت على بيعك العسل أمس ولا تزد على هذا شيئا . فقال نعم ، ثم بكر فصلى معه فى المسجد فلما فرغ قال له إنى ندمت على بيعك العسل . فقال لغلامه قم وأعطه جميع عسله . فقال له بعض الحاضرين قد صار ثمنه ضعف ماوزنت أترده عليه . فقال نعم إليك عنى سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغــون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار لهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من برّ وفاجر أتاهم ربّ العالمين فى أدنى صورة من التى رأوه فيها قال فماذا تنتظرون ليتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهــم ولم نصاحبهم فيقــول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لانشرك بالله شيئا مرتين أوثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هــل بينكم وبينه آية تعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفســه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد إتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحــدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه

أنه قال « من أقال نادما بيعته أقال الله عثرته يوم القيامة » أفلا أشترى إقالة عثرتى يوم القيامة بثلاثين ألف درهم فأخذ منه ثلاثين ألفا وردّ العسل إليه .

[خاتمة] واعلم أنه يحرم البيع على البيع وهو بأن يقول للمشترى زمن الخيار ردّ هذا وأنا أبيعك أحسن منه بمثل ذلك الثمن أومثله بأنقص ، والشراء على الشراء وهوأن يقول للبائع زمن الخيار افسخ لأشترى منك هذا المبيع بأزيد ، والنجش وهوأن يزيد فى الثمن لارغبة بل ليخدع غيره ، والسوم على سوم الغير بغير إذنه وهو أن يزيد فى الثمن بعد أن يصير المبيع للمشترى أو يبيعه بأرخص منه .

فصل فى الدين ومطل الغنى

أخرج البخارى وابن ماجه عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدّى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله » والديلمى « صاحب الدين مغلول فى قبره لايفكه إلاقضاء دينه » والطبرانى « من ادّان دينا وهو ينوى أن يؤدّيه أداه الله عنه يوم القيامة ، ومن استدان دينا وهو لاينوى أن يؤدّيه فمات . قال الله عز وجلّ يوم القيامة أظننت أنى لا آخذ لعبدى بحقه فيؤخذ من حسناته فتجعل فى حسنات الآخر ، فان لم تكن له حسنات أخذ من سيئات الآخر فتجعل عليه » وابن عدى « أيما رجل تزوج امرأة فنوى أن لايعطيها من صداقها شيئا مات يوم يموت وهو زان ، وأيما رجل اشترى من رجل بيعا فنوى أن لايعطيه من ثمنه شيئا مات يوم يموت وهو خائن ، والخائن فى النار » وابن ماجه باسناد حسن « من مات وعليه درهم أو دينار قضى من حسناته ، وليس ثم دينار ولا درهم » والبخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى قتادة قال « قال رجل يارسول الله أرأيت إن قتلت فى سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر يكفر الله عنى خطاياى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ؛ فلما أدبر ناداه فقال نعم إلا الدين كذلك قال جبريل . وقال : يغفر للشهيد كلّ ذنب إلا الدين » وفى شرح السنة عن أبى سعيد الخدرى قال « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة ليصلى عليها ؛ فقال هل على صاحبكم دين ؟ قالوا نعم ؛ قال هل ترك له من وفاء ؟ قالوا لا . قال فصلوا على صاحبكم . قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : علىّ دينه يا رسول الله ، فتقدم فصلى عليه وقال : فكّ الله رهانك من النار كما فككت رهان أخيك المسلم ، ليس من عبد مسلم يقضى عن أخيه دينه إلا فكّ الله رهانه يوم القيامة » وفيه أيضا : أنه صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار ، فقال ائتنى بالشهداء أشهدهم ؛ قال كفى بالله شهيدا ؛ قال فائتنى بالكفيل ؛ قال كفى بالله كفيلا ؛ قال صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى ، فخرج بالبحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذى أجله ، فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر ، فقال اللهم إنك تعلم أنى سألت فلانا ألف دينار ؛ فسألنى كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا فرضى بك ؛ وسألنى شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا ؛ فرضى بك ؛ وإنى جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذى له فلم أقدر وإنى استودعتكها فرمى بها فى البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو فى ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده ، فخرج الذى كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله ، فإذا بالخشبة التى كان فيها المال فأخذها لأهله حطبا ،

ثم يضرب الجسر على جهنم وتحلّ الشفاعة ويقول اللهم سلم سلم فيمر المؤمن كطرفة العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نارجهنم حتى إذاخلص المؤمنون من النارفوالذى نفسى بيده مامن أحد منكم بأشد مناشدة فى استيفاء الحق قد تبين لكم من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فيحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا مابقى فيها أحد ممن أمرتنابه فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خيرفأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول

فلما نشرها وجد المال والصحيفة . ثم قدم الذى كان أسلفه فأتى بألف دينار وقال : والله مازلت جاهدا فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذى أتيت فيه . قال هل كنت بعثت إلىّ شيئا ؟ قال أخبرك أنى لم أجد مركبا قبل الذى جئت فيه . قال فإن الله قد أدّى عنك الذى بعثت فى الخشبة فانصرف بالألف الدينار راشدا . وأخرج الشيخان « مطل الغنىّ ظلم فإذا أتبع أحدكم على ملىء فليتبع » وابن حبان والحاكم « لىّ الواجد » أى مطل القادر على وفاء دينه « يحلّ عرضه وعقوبته » .

خاتمـــة فى إنظار المعسر

أخرج أحمد عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أنظر معسرا أو وضع له : أى حط عنه دينه أو بعضه بالبراءة منه وقاه الله عزوجلّ من فيح جهنم » وأحمد ومسلم « من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله فى ظله يوم لاظلّ إلا ظله » وأحمد وابن ماجه « من أنظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحلّ الدين فإذا حلّ الدين فأنظره فله بكل يوم مثلاه صدقة » وأحمد والطبرانى « يدعو الله بصاحب الدين يوم القيامة حتى يقف بين يديه فيقال يا ابن آدم فيم أخذت هذا الدين وفيم ضيعت حقوق الناس ؟ فيقول يارب إنك تعلم أنى أخذته فلم آكل ولم أشرب ولم ألبس ولم أضيع ولـكن إما حرق وإما سرق وإما وضيعة : أى بيع بأقلّ مما اشترى به فيقول صدق عبدى أنا أحقّ من قضى عنك ، فيدعو الله بشىء فيضعه فى كفة ميزانه فترجح حسناته على سيئاته فيدخل الجنة بفضل رحمته » والشيخان عن حذيفة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن رجلا ممن كان قبلكم أتاه الملك ليقبض روحه فقال هل عملت من خير ؟ قال ما أعلم ، قيل انظر قال ما أعلم شيئا غير أنى كنت أبايع الناس فى الدنيا فأنظر الموسر وأتجاوز عن المعسر فأدخله الله الجنة » .

[تنبيهات : أحدها] أن الاستدانة مع نيـة عدم الوفاء أومع عدم رجائه بأن لم يضطر ولا كان له جهة ظاهرة يوفى منها والدائن جاهل بحاله حرام . وثانيها أن مطل الغنى بعـد مطالبته بالدين بغير عذر حرام ، وصرح جماعة من أئمتنا بأن من امتنع من قضاء دينه مع قدرته عليه بعد أمر الحاكم له به للحاكم أن يشدد عليه فى العقوبة فينخسه بحديدة إلى أن يؤدّى أو يموت . وثالثها أنه يحرم على من عليه دين حالّ السفر بغير إذن غريمه حيث لم يعلم رضاه وإن كان به رهن أوضمين فلا يترخص كعبد آبق بقصر ولا جمع وإفطار وتنفل سائرا وسقوط جمعة وأكل ميتة لاضطرار ويجوز لغريمه ولو ذميا منعه من السفر حتى يوفيه أو يوكل فيـه من ماله الحاضر لا إن كان الدين مؤجلا وإن قصر أجله . ورابعها أن من ثبت إعساره حرم حبسه وملازمتـه ووجب إنظاره إلى ميسرة .

باب فى ذم المـكس

أخرج أحمد وأبوداود والحاكم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لايدخل الجنة صاحب مكس » وأحمد والطبرانى عن أبى الخير قال عرض مسلمة بن مخلد وكان أميرا على مصر على رويفع بن ثابت أن يوليه العشور ، فقال : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن صاحب المـكس فى النار » وأحمد وابن عبد الحكم عن مالك

ارجعوا فمن وجـدتم فى قلبه مثقال ذرّة من خـــير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خــيرا فيقول الله شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قـد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم لـكم ما رأيتم ومثله » اعـلم أن الشفاعات خمس : أولها الاراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب وهى مختصة بمحمد صلى الله عليه وسلم . والثانية فى إدخال قوم الجنة بغير حساب وهى أيضا وردت له صـلى الله عليه وسلم . والثالثة قوم

ابن عتاهية ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا لقيتم عاشرا فاقتلوه » وأحمد عن الحسن بن أبى عامر أنه استعمل كلاب بن أمية على أيلة ، وعثمان بن أبى العاص فى أرضه فأتاه عثمان فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن بالليل ساعة يفتح فيها أبواب السماء فينادى مناد هل من سائل فأعطيه ، هل من داع فأستجيب له ، هل من مستغفر فأغفر له » وإن داود عليه السلام خرج ذات ليلة ، فقال لا يسأل الله أحد حاجته إلا أعطاه إلا أن يكون ساحرا أو عشارا فدعا كلاب بقرقور فركب فيه فانحدر إلى ابن عامر ، فقال دونك عملك قال لم؟ قال حدثنى عثمان بكذا وكذا . والطبرانى عن عثمان بن أبى العاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادى مناد : هل من داع فيستجاب له هل من سائل فيعطى هل من مكروب فيفرج عنه فلا يبقى مسلم فيدعو بدعوة إلا استجاب الله له إلا زانية تسعى بفرجها أو عشارا » وأبو نعيم عن زيد بن أرقم قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض سكك المدينة فمررنا بخباء أعرابى فاذا ظبية مشدودة فقالت يارسول الله إن هذا الأعرابى صادنى فلا هو يذبحنى فأستريح ولا هو يتركنى فأذهب ولى خشفان فى البرية وقد تعقد هذا اللبن فى أخلافى ؛ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أطلقتك أترجعى ؟ قالت نعم وإلا عذبنى الله عذاب العشار فأطلقها فذهبت ثم رجعت . وورد من حديث علىّ أخرجه الطبرانى فى الكبير بلفظ « إن النبى صلى الله عليه وسلم لعن سهيلا ثلاث مرات فانه كان يعشر الناس فمسخه الله شهابا » أنبئت عمن أنبئ عن أبى الحسن عن مجاهد فى قوله تعالى ـ ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ـ قال نزلت فى المكاسين ، وأنشد لنفسى :

اقتل أولى المكس ولا تكترث ... إن حللوا ذلك أو حرّموه
فان خير الخلق أوصى بأن ... إذا لقيتم عاشرا فاقتلوه

أعاذنا الله من شرهم وحمانا من فتنتهم . وذكر ابن الجوزى فى كتاب مواعظ الملوك أن كسرى خرج فى بعض أيامه للصيد فانقطع عن أصحابه وأظلته سحابة فمطرت مطرا شديدا حال بينه وبين جنده فمضى لا يدرى أين يذهب فانتهى إلى كوخ فيه عجوز فنزل عندها وأدخل فرسه فأقبلت ابنتها ببقرة فدعتها فاحتلبتها فرأى كسرى لبنها كثيرا . فقال : ينبغى أن تجعل على كل بقرة خراجا فهذا حلاب كثير ثم قامت فى آخر الليل تحلبها فوجدتها لا لبن فيها فنادت يا أماه قد أضمر الملك لرعيته سوءا قالت وما ذلك ؟ قالت إن البقرة ما تبض بقطرة لبن ؛ قالت لها امكثى فان عليك ليلا فأضمر كسرى فى نفسه العدل والرجوع عن ذلك العزم ؛ فلما كان آخر الليل قالت لها أمها قومى احتلبى فقامت فوجدت البقرة حافلا . فقالت يا أماه قد والله زال مافى نفس الملك من الشرّ فلما ارتفع النهار جاء أصحاب كسرى فركب وأمر بحمل العجوز وابنتها إليه فأحسن إليهما وقال كيف علمتما ذلك قالت العجوز : إنا بهذا المكان منذ كذا وكذا فما عمل فينا بعدل إلا أخصبت أرضنا واتسع عيشنا ؛ وما عمل فينا بجور إلا ضاق عيشنا وانقطع موادّ النفع عنا .

[تنبيه] إن المكس حرام إجماعا ويكفر من استحله أو قال إنه حق السلطان معتقدا أنه حق وقال سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام بأنه يحرم على من يعرف الكتابة والحساب كتابة حساب المكس إن قصد إعانة الظلمة الذين لعنهم الله ورسوله .

استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ومن شاء الله له يشفع له . والرابعة فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها . والخامسة فيمن دخل النار من المذنبين فيشفع فيهم نبينا وغيره من الأنبياء والملائكة وإخوانهم المؤمنين ثم يخرج الله كل من قال لا إله إلا الله من غير شفاعة شافع حتى لا يبقى فيها إلا الكافرون كما فى حديث أنس « ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخرّ له ساجدا . فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب ائذن لى فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك إليك لكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبروتى لأخرجنّ من قال لا إله إلا الله » أى أتفضل باخراجهم دون شفاعة شافع فهؤلاء هم الذين معهم مجرّد الايمان وهم الذين لم يؤذن فى الشفاعة فيهم وإنما

باب الظلم

قال الله تعالى ـ ولا تحسبنّ الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ـ وقال الله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ـ وقال ـ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ـ . وأخرج الشيخان عن أبى بكر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته بمنى فى حجة الوداع «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» . ومسلم عن أبى ذرّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تعالى أنه قال «ياعبادى إنى حرّمت الظلم على نفسى وجعلته محرّما بينكم فلا تظالموا» . وأحمد والبيهقى عن ابن عمر «اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة» . والشيخان عن أبى موسى «إن الله ليملى للظالم فاذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ ـ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إنّ أخذه أليم شديد ـ» ومسلم عن أبى هريرة «أتدرون من المفلس من أ. ؟ قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع . فقال إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة فيأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار» . والطيالسى والبزار عن أنس «الظلم ثلاثة فظلم لا يغفره الله وظلم يغفره وظلم لا يتركه ، فأما الظلم الذى لا يغفره فالشرك . قال الله تعالى ـ إن الشرك لظلم عظيم ـ وأما الظلم الذى يغفره الله فظلم العباد أنفسهم فيمابينهم وبين ربهم ، وأما الظلم الذى لايتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدين لبعضهم من بعض» وأحمد والشيخان عن عائشة وعن سعيد بن زيد «من ظلم قيد شبر من الأرض : أى قدره طوّقه من سبع أرضين أى يخسف الله به الأرض فتصير البقعة فى عنقه كالطوق» وأحمد وابن حبان عن يعلى بن مرة «أيما رجل ظلم شبرا من الأرض كلفه الله أن يحفره حتى يبلغ آخر سبع أرضين ثم يطوّقه يوم القيامة حتى يقضى بين الناس» وأحمد والطبرانى «من أخذ شيئا من الأرض بغير حقه طوّقه من سبع أرضين لا يقبل منه صرف ولا عدل» والديلمى عن حذيفة «الظلمة وأعوانهم فى النار» وأبو داود «من حمى مؤمنا من منافق آذاه بعث الله ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم» الحديث . والخطيب عن علىّ رضى الله عنه «اتق دعوة المظلوم فانما يسأل الله تعالى حقه وإن الله لايمنع ذاحق حقه» والطيالسى عن أبى هريرة رضى الله عنه «دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرا ففجوره على نفسه» وروى عن عبد الله بن أنيس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك الديان الذى لاينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة فما فوقها ولاينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى اللطمة فما فوقها ـ ولا يظلم ربك أحدا ـ قلنا يارسول الله كيف وإنما نأتى الله حفاة عراة قال بالحسنات والسيئات جزاء ـ ولا يظلم ربك أحدا ـ . وعن ابن عباس قال : يؤخذ بيد

دلت الآثار أنه أذن لمن عنده شىء زائد على الايمان من عمل صالح أو ذكر خفىّ أو عمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين وخوف من الله ونية صادقة فى عمل فانه وجعل للشافعين من الملائكة والنبيين دليل عليه وتفرد الله بعلم ما تكنه القلوب والرحمة لمن ليس عنده سوى الايمان فقوله مثقال ذرّة من إيمان ومن خبر الصحيح أن معناه شىء زائد على مجرد الايمان لأن مجرد الايمان الذى هو التصديق لايتجزأ فعليك يا أخى بالايمان بأن تعتقد بقلبك دين الاسلام وتنطق مع ذلك بالشهادتين فان اقتصرت على أحدهما خلدت فى نار جهنم التى وقودها الناس والحجارة ولا تنفعك شفاعة شافع ثم عليك أن تحترز من المعاصى فان المعاصى بريد الكفر فقد حكى أن تلميذا للفضيل بن عياض حضرته الوفاة فدخل

العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رءوس الخلائق هـذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه . قال فتفرح المرأة أن يكون لها حقّ على ابنها أو أخيها ثم قرأ ـ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ـ قال فيغفر الله من حقه مايشاء ولا يغفر من حقوق النا س شيئا فيقضى فينصب العبد للناس ، ثم يقول الله لأصحاب الحقوق : ائتوا إلى حقوقكم . قال فيقول العبد يارب فنيت الدنيا فمن أين أوتيهم حقوقهم فيقول الله للملائكة خذوا من حسناته فأعطوا كل ذى حقّ حقه بقدر طلبته فان كان وليا لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفها الله حتى يدخل الجنة بها ، وإن كان عبدا شقيا ولم يفضل له شىء فتقول الملائكة ربنا فنيت حسناته وبقى طالبون فيقول الله خذوا من سيئاتهم فأضيفوه إلى سيئاته ثم صكوا له صكا إلى النار .

وحكى اليافعى عن بكير صاحب الشبلى . قال : لما حضرت الوفاة الشبلى قال علىّ درهم مظلمة تصدقت عنه بألوف فما على شىء أعظم منه .

وحكى أيضا عن عمرو بن دينار . قال : كان رجل من بنى إسرائيل على ساحل البحر فرأى رجلا وهو ينادى بأعلى صوته ألا من رآنى فلا يظلمنّ أحدا . قال فدنا منه وقال : ياعبد الله ما خبرك ؟ فقال : اعلم أنى كنت رجلا شرطيا جئت يوما إلى هـذا الساحل فرأيت صيادا قد صاد سمكة فسألته أن يهبها منى فأبى فسألته أن يبيعها منى فأبى فضربت رأسـه بسوطى وأخذتها منه قهرا ومضيت بها . قال : فبينما أنا ماش بها حاملها إذ عضت على إبهامى فرمت أن أخلص إبهامى منها فلم أقدر فجئت إلى عيالى فعالجوا أن يخلصوا إبهامى منها فلم يقدروا إلا بعد تعب شديد . وقيل إنما تعلقت بإبهامه عند ماقدمت إليه ليأكلها قال فأصبح إبهامى قد ورم وانتفخ ، ثم انتفخت فيه عيون من آثار أنياب هذه السمكة فذهبت إلى طبيب محسن ، فلما نظر إلى إبهامى قال هذه أكلة بلا شك وإن لم تقطع إبهامك هلكت فقطعت إبهامى ، ثم ضربت على يدى فلم أطق النوم ولا القرار من شدّة الألم فقيل لى اقطع كفك فقطعتها وانتشر الألم إلى الساعد وآلمنى شديدا ولم أطق القرار وجعلت أستغيث من شدّة الألم ، فقيل لى اقطعها من المرفق فقطعتها فانتشر الألم إلى العضد وضربت علىّ عضدى أشدّ من الألم الأوّل ، فقيل لى اقطع يدك من كتفك وإلا سرى الألم إلى جسدك كله فقطعتها ، فقال لى بعض الناس ماسبب ألمك فذكرت له قصة السمكة ؟ فقال لو كنت رجعت فى أوّل ما أصابك الألم إلى صاحب السمكة ، فاستحللت منه واسترضيته ولا قطعت من أعضائك عضوا فاذهب إليه الآن واطلب رضاه قبل أن يصل الألم إلى بدنك . قال فلم أزل أطلبه فى البلد حتى وجدته فوقعت على رجليه أقبلهما وأبكى ، فقلت ياسيدى : سألتك بالله إلا عفوت عنى فقال لى من أنت ؟ فقلت أنا الذى أخذت منك السمكة غصبا وذكرت ما جرى علىّ وأريته يدى فبكى حين رآها وقال ياأخى قد أحللتك منها لما قد رأيت بك من هذا البلاء ، فقلت ياسيدى سألتك بالله هل كنت دعوت علىّ لما أخذتها منك ؟ قال نعم قلت : اللهم هذا يقوى علىّ بقوّته على ضعفى فأخذ منى ما رزقتنى فأرنى فيه قدرتك ، قلت قد أراك الله قدرته فىّ وأنا تائب إلى الله عما كنت عليه .

وحكى أيضا عن على بن حرب قال : خرجت أنا وبعض شباب الموصل إلى الشط فركبنا فى زورق ، فلما بعدنا من البلد وتوسطنا البحر إذا سمكة كبيرة طفرت من الشط إلى وسط الزورق فقام الشباب ونزلوا إلى حافة الشط ليجمعوا حطبا برسم السمكة فنزلت معهم فبينما نحن نمشى

عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة يس . فقال يا أستاذ لا تقرأ هذه السورة فسكت ثم لقنه فقال قل لا إله إلا الله فقال لا أقولها لأنى برىء منها ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل يبكى أربعين يوما لم يخرج من البيت ثم رآه فى النوم وهو يسحب به إلى جهنم . فقال بأىّ شىء نزع الله المعرفة عنك وكنت أعلم تلامذتى ؟ فقال بثلاثة أشياء : أوّلها بالنميمة فإنى قلت لأصحابى بخلاف ماقلت لك . وثانيها بالحسد حسدت أصحابى . وثالثها كان بى علة فجاء إلىّ طبيب فسألته عنها فقال اشرب فى كل سنة قدحا من خمر فان لم تفعل تبق بك العلة فكنت أشربه نعوذ بالله من السخط الذى لاطاقة لنا به

قال بعضهم :

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه

فما فاته منها فليس بضائر

اللهم ارحمنا ولاتعذبنا

على جانب الشط وإذا بالقرب منا خربة فذهبنا إليها ننظر آثارها ، وإذا فيها شاب مكتوف وآخر مذبوح إلى جانبه وبغل واقف عليه قماش . فقلنا للشاب ما قصتك وما هذا المذبوح ؟ فقال : إنى كنت مكتريا مع هذا المكارى صاحب هذا البغل فعدل بى إلى هذا المكان وكتفنى كازرون وقال لابد لى من قتلك فناشدته الله تعالى لاتظلمنى ولاتربح إثمى ولا تعدمنى روحى بل تأخذ منى القماش وأنت فى حل منه وحلفت له بالله تعالى إنى لا أعلم به أحدا وما زلت أناشده بالله تعالى وهو لايمهل فمدّ يده إلى سكين كانت فى وسطه يجذبها فتعسرت عليه أن تخرج من غلافها فما زال يجذبها إلى أن خرجت بصعوبة فما أخطأت حلقه فذبحته فهو كازرون وأنا على حالتى هذه . قال فحللنا كتافه وأعطيناه البغل والقماش وراح وعدنا إلى الزورق فلما صعدنا طفرت السمكة إلى الشط .

وحكى أيضا أن امرأة إسرائيلية كان لها دار بجوار قصر الملك . وكانت تشين القصر وكلما رام الملك منها أن تبيع الدار أبت أن تبيعها منه فخرجت المرأة فى سفر فأمر الملك بهدمها ، فلما جاءت المرأة من السفر قالت : من هدم دارى ؟ قيل لها الملك فرفعت طرفها إلى السماء وقالت إلهى وسيدى ومولاى غبت أنا وأنت حاضر للضعيف معين وللمظلوم ناصر ، ثم جلست فخرج الملك فى موكبه ، فلما نظر إليها قال لها ماتنتظرين ؟ قالت أنتظر خراب قصرك فهزأ بقولها وضحك منها ، فلما جنّ عليه الليل خسف به وبقصره ووجد على بعض حيطان القصر مكتوب هذه الابيات :

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما يدريك ماصنع الدعاء
سهام الليل لاتخطى ولكن ... لها أمد وللأمد انقضاء
وقد شاء الاله بما تراه ... فما للملك عندكم بقاء

حفظنا الله من شرور الظالمين ، وحمانا من مكايد الكافرين .

[تنبيه] إن الظلم هو وضع الشىء فى غير موضعه . وقيل التصرف فى ملك الغير بغير إذنه . والغصب هو الاستيلاء على حق الغير ، وهما حرامان بالكتاب والسنة والاجماع فيكفر مستحلهما ولو لحبة إجماعا . وروى أن عيسى عليه السلام مرّ بمقبرة فنادى رجلا منهم فأحياه الله ، فقال له من أنت ؟ فقال كنت حمالا أنقل للناس فنقلت يوما لانسان حطبا وكسرت منه خلالا تخللت به فأنا مطالب به مذ متّ . ربنا اغفر لنا وتحمل تبعاتنا وارزقنا الاخلاص فى كل أمورنا . وكما يحرم الظلم يحرم الاعانة عليه ولو بكلمة . قال عليه الصلاة والسلام « من مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه أزلّ الله قدميه عن الصراط يوم تدحض فيه الأقدام » وقال أبو هريرة « إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وإخوان الظلمة وأشياع الظلمة أين من لاق لهم دواة وبرى لهم قلما . قال فيجمعون فى تابوت واحد ثم سيق بهم على رءوس الخلائق إلى جهنم » ورفعه بعضهم إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم . قال الأئمة : بلغنا أنهم يرون أنه ليس أحد أشد عذابا منهم لما يحل بهم من ضيق التابوت وشدّة العذاب . وذكر أبو شبرمة أن منكرا ونكيرا أتيا رجلا إلى قبره وقالا إنا ضاربوك مائة ضربة . فقال الميت : إنى كنت كذا وكذا وتشفع ببعض أعماله حتى حطا عنه عشرا ثم لم يزل يتشفع حتى حطا الجميع إلا ضربة فضرباه ضربة فالتهب القبر عليه نارا : فقال لم ضربتمانى ؟ فقالا مررت بمظلوم فاستغاث بك فلم تغثه . فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع قدرته على نصره فكيف حال الظالم ؟ وقال بعضهم : رأيت فى المنام رجلا ممن يخدم الظلمة والمكاسين بعد موته وهو فى حالة قبيحة . فقلت له ما حالك ؟ فقال شر حال . فقلت إلى أين صرت ؟ فقال

ووفقنا ولا تخذلنا ولا تسلب منا الايمان عند خواتمنا فانه لاملجأ لنا إلا إليك ولامعوّل لنا إلا عليك ياأرحم الراحمين .

[فصل : فى عذاب الكافرين فى جهنم] قال الله تعالى ـ فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به مافى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق . تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون . والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير

إلى عذاب الله ؟ فقلت ماحال الظلمة عند ربهم ؟. قال شر حال أما سمعت قول الله عزوجل ـ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ـ

وحكى أنه جاء خياط إلى سفيان الثورى . فقال إنى أخيط ثياب السلطان أفتراني من أعوان الظلمة ؟ فقال سفيان : بل أنت من الظلمة أنفسهم لكن أعوان الظلمة من يبيع منك الابرة والخيوط . ومن الظلم المحرم أن تظلم المرأة من نحو صداق أونفقة أوكسوة وهو داخل فى قوله صلى الله عليه وسلم : لىّ الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته:أى شكايته وتعزيره بالحبس والضرب وتأخير أجر الأجير أومنعه منه بعد فراغ عمله الذى شرط عليه الأجرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر . ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره . رواه ابن ماجه . قال صلى الله عليه وسلم : أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه . رواه الطبرانى .

وحكى أنه حجم حجام داودالطائى فأعطاه دينارين فقالوا أسرفت . فقال لادين لمن لامروءة له .

وحكى عن الشبلى قال : قال لى خاطرى يوما أنت بخيل ، فقلت ماأنا بخيل ، فقال بلى أنت بخيل فقلت ماأنا بخيل . فقال بلى أنت بخيل فنويت أن أول شىء يفتح علىّ أعطيه أول فقير ألقاه فماتم هذا الخاطرحتى دخل علىّ فلان معه بخمسين دينارا فأخذتها وخرجت فأول من لقينى فقير ضرير أوقال أكمه بين يدى مزين يحلق شعره فناولته ذلك . فقال أعطها المزين فقلت إنها دنانير فرفع رأسه إلىّ وقال : أما قلنا لك إنك بخيل فناولتها المزين . فقال منذ قعد بين يدى هذا الفقير عقدت مع الله عقدا أن لا آخذ على حلاقته شيئا ، قال فأخذتها وذهبت إلى البحر فرميت بها فيه . واستعمال العارية فى غير المنفعة التى استعارها لها و إعارتها من غير إذن مالكها واستعمالها بعد المدة المؤقتة بها وقيل إنه رجع ابن المبارك من مرو ورجع إبراهيم بن أدهم من بيت المقدس إلى البصرة لرد تمرة إلى الشام وفى قلم استعاره فلم يرده على صاحبه وكان حسان بن أبى سنان لاينام مضطجعا ولايأكل سمينا ولايشرب باردا ستين سنة فروى فى المنام بعد ما مات فقيل له مافعل الله بك ؟ فقال خيرا إلا أنى محبوس عن الجنة بابرة استعرتها فلم أردها .

فصل فى أكل مال اليتيم

قال الله تعالى ـ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ـ وأخرج الشيخان عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا يارسول الله وماهى ؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات . والحاكم والبيهق عن أبى هريرة : أربع حق على الله أن لايدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن خمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه . والحاكم عن أبى موسى : ثلاثة يدعون الله عزّ وجلّ فلا يستجاب لهم : رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل كان له على رجل آخر مال فلم يشهد عليه ورجل آتى سفيها ماله ، وقد قال الله تعالى ـ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ـ وفى تفسير القرطبى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت ليلة أسرى بى قوما لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم

فذوقوا فما للظالمين من نصير . إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم : أى وسطها ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم . ذق إنك أنت العزيز الكريم . وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم وحميم . وظل من يحموم لابارد ولا كريم . إنهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه

من يأخذ مشافرهم ، ثم يجعل فى أفواههم صخرا تخرج من أسافلهم . فقلت ياجبريل من هؤلاء ؟ قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما .

[تنبيه] ان أكل مال اليتيم من الكبائر المهلكة اتفاقا ، وظاهر كلامهم أنه لافرق بين قليله وكثيره ولوحبة .

خاتمة

فى كفالة اليتيم والشفقة والسعى على الأرملة

أخرج البخارى « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا» وابن ماجه : من عال ثلاثة من أيتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا وراح شاهراسيفه فى سبيل الله وكنت أنا وهو فى الجنة إخوانا كأن هاتين أختان وألصق أصبعيه السبابة والوسطى . والترمذى «من قبض يتيما من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة ألبتة إلا أن يعمل ذنبا لايغفر له» وفى رواية «حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة» وابن ماجه «خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشرّ بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه» وحمزة بن يوسف وابن النجار «إن فى الجنة دارا يقال لها دار الفرح لايدخلها إلا من فرح يتامى المؤمنين» وأبو يعلى «أنا أول من يفتح له باب الجنة إلا أنى أرى امرأة تبادرنى فأقول مالك ومن أنت ؟ فتقول أنا امرأة قعدت على أيتام لى» والطبرانى «والذى بعثنى بالحق لايعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم وألان له فى الكلام ورحم يتمه وضعفه ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله» وأحمد «من مسح على رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كانت له فى كل شعرة مرت يده عليها حسنات» وروى «إن الله تعالى قال ليعقوب عليه السلام : إن سبب ذهاب بصره وانحناء ظهره وفعل إخوة يوسف به مافعلوه أنه أتاه مسكين صائم جائع ، وقد ذبح هو وأهله شاة فأكلوها ولم يطعموه ، ثم أعلمه الله أنه لن يحب شيئا من خلقه حبه لليتامى والمساكين وأمره أن يصنع طعاما ويدعو المساكين ففعل » قال بعض السلف كنت فى بدء أمرى متكبرا منكبا على المعاصى فرأيت يوما يتيما فأكرمته كما يكرم الولد ، بل أكثر . ثم نمت فرأيت الزبانية أخذونى أخذا مزعجا إلى جهنم وإذا باليتيم قد اعترضنى ، وقال دعوه حتى أراجع ربى فيه فأبوا ، وإذا النداء خلوا عنه فقد وهبنا له ما كان منه باحسانه إليه فاستيقظت وبالغت فى إكرام اليتامى من يومئذ .

وحكى أن رجلا من المنهمكين فى الفساد مات فى نواحى البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته لكثرة فسقه وتجافى الناس له فاستأجرت حمالين يحملونها إلى المصلى فما صلى عليه أحد فحملوه إلى الصحراء ليدفنوه ، وكان بالقرب من الموضع جبل فيه رجل من الزهاد الكبار فنزل ذلك الزاهد للصلاة عليه وانتشر الخبر فى البلد ، وقالوا نزل فلان ليصلى على فلان فخرج الناس فصلوا عليه مع الزاهد وتعجبوا من صلاته عليه ، فقال لهم إنه قيل لى فى النوم انزل إلى الموضع الفلانى ترفيه جنازة رجل ليس معها إلا امرأته فصلّ عليها ، فانه مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد زوجته يسألها عن حاله وكيف كانت سيرته ، فقالت كان كما سمعت طول النهار فى الماخور مشغولا بشرب الخمر ، فقال انظرى هل يعرض له شىء من أفعال الخير قالت لا والله إلا أنه كان يفيق كل يوم من سكره عند صلاة الصبح فيبدل ثيابه ويتوضأ ويصلى

ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه إنه كان لايؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون . هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام إلا من ضريع لايسمن ولا يغنى من جوع - وفى كتاب الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها وإلى ماأعدالله لأهلها فيها ثم جاء فقال أى ربّ وعزتك لايسمع بها أحد إلادخلها ثم حفها بالمكاره ثم قال ياجبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال أى ربّ وعزتك لقد خشيت أن لايدخلها أحد .

الصبح ، ثم يعود إلى ماخوره يشتغل بشربه ولهوه ، وكان لايخلو بيته من يتيم أو يتيمين يفضله على ولده وكان يفيق فى أثناء سكره ، فيبكى ويقول : إلهى أىّ زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث ، يعنى نفسه . وأخرج الشيخان عن أبى هريرة : الساعى على الأرملة والمساكين كالمجاهد فى سبيل الله ، وأحسبه قال وكالقائم لايفتر وكالصائم لايفطر . وابن ماجه : الساعى على الأرملة كالمجاهد فى سبيل الله وكالذى يقوم الليل ويصوم النهار .

وحكى أنه كان لبعض مياسير العلويين بنات من علوية فمات واشتدّ بهنّ الفقر إلى أن رحلن من وطنهنّ خوف الشماتة فدخلن مسجد بلد مهجور فتركتهنّ فيه وخرجت تحتال لهنّ على القوت فمرّت بكبير البلد وهو مسلم فشرحت له حالها فلم يصدّقها ، وقال لابدّ أن تقيمى عندى البينة بذلك ، فقالت أنا غريبة فأعرض ، ثم مرّت بمجوسى فشرحت له حالها بذلك فصدّق وأرسل بعض نسائه فأتت بها وبناتها إلى داره فبالغ فى إكرامهنّ ، فلما مضى نصف الليل رأى ذلك المسلم القيامة والنبى صلى الله عليه وسلم معقود على رأسه لواء الحمد وعنده قصر عظيم ، فقال يارسول الله لمن هذا القصر فقال لرجل مسلم ، قال أنا مسلم موحد ، قال صلى الله عليه وسلم أقم عندى البينة بذلك فتحير فقصّ له صلى الله عليه وسلم خبر العلوية فانتبه الرجل فى غاية الحزن والكآبة إذ ردّها ، ثم بالغ فى الفحص عنها حتى دلّ عليها بدار المجوسى فطلبها منه فأبى ، وقال قد لحقنى من بركاتهنّ ، فقال خذ ألف دينار وسلمهنّ إلىّ فأبى فأراد أن يكرهه فقال له الذى تريده أنا أحق به والقصر الذى رأيته فى النوم خلق لى ، فقال أنت لست بمسلم ؟ فقال أتفخر علىّ باسلامك فوالله ما نمت أنا وأهل دارى حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية ، ورأيت مثل منامك ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : العلوية وبناتها عندك قلت نعم يارسول الله ، قال القصر لك ولأهل دارك . فانصرف المسلم وبه من الكآبة والحزن مالايعلمه إلا الله تعالى .

فصل فى الخيانة

قال الله تعالى ـ ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرّسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ـ وقال تعالى ـ إن الله لايهدى كيد الخائنين ـ وأخرج الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لاطهور له ولا دين لمن لاصلاة له وموضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد » وأحمد وابن حبان عن أنس : لا إيمان لمن لا أمانة له ولادين لمن لاعهد له . والشيخان عن أبى هريرة : آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان . وأبو الشيخ عن أنس : ثلاث من كنّ فيه فهو منافق ، وإن صام وصلى وحج واعتمر وقال إنى مسلم : من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان . وأبو يعلى والبيهقى عن النعمان بن بشير : من خان شريكا فيما ائتمنه عليه واسترعاه فأنا برىء منه . والشيخان عن أبى حميد الساعدى ، قال : استعمل النبى صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة ، فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدى إلىّ فقام النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : مابال العامل نبعثه على بعض أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا أهدى إلىّ فهلا جلس فى بيت أمه أو بيت أبيه فينظر أيهدى إليه أم لا ، فوالذى نفسى بيده لا يأخذ أحد منكم شيئا إلا جاء يوم القيامة يحمله على

قال فلما خلق الله النار قال ياجبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها فقال أى ربّ وعزتك لايسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال ياجبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها فقال أى ربّ وعزتك لقد خشيت أن لايبقى أحد إلا دخلها . وفى صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ناركم هذه التى يوقدها ابن آدم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ، قالوا والله إن كانت لكافية يارسول الله قال إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها » وذكر سفيان بن عيينة عن أبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ولولا أنها ضربت بالماء مرتين ما كان لأحد فيها منفعة » وفى كتاب الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله

رقبته إن كان بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة لها يعار . ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه . ثم قال : اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت . والبزار عن علىّ كرّم الله وجهه قال « كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فطلع علينا رجل من أهل العالية ، فقال يارسول الله أخبرنى بأشدّ شيء فى هذا الدين وألينه ، فقال : ألينه شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا عبده ورسوله ، وأشدّه يا أخا العالية الأمانة ، إنه لادين لمن لا أمانة له ولا صلاة ولا زكاة » الحديث . والترمذى عنه : إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء : إذا كان المغنم دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعقّ أخاه وبرّ صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شرّه وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أوّلها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أوخسفا أومسخا . وصح عن ابن مسعود قال : القتل فى سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الخيانة . وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول « اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فانها بئست البطانة » .

باب الوصية

أخرج أحمد وابن ماجه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة ، وإذا أوصى جار فى وصيته فيختم له بشرّ عمله فيدخل النار ، وإنّ الرجل ليعمل بعمل أهل الشرّ سبعين سنة فيعدل فى وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة» وأبوداود والترمذى عنه : إنّ الرجل يعمل أوالمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضارّان فى الوصية فتجب لهما النار . وابن ماجه عن أنس : من فرّ من ميراث وارثه قطع الله ميراثه من الجنة . وورد : من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة . وروى النسائى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال « الاضرار فى الوصية من الكبائر » .

[تنبيه] قد صرّح صلى الله عليه وسلم بأنّ ذلك من الكبائر ومن ثم صرح جمع من أئمتنا وغيرهم بذلك ، وقال ابن عادل فى تفسيره : اعلم أن الاضرار فى الوصية يقع على وجوه منها أنّ يوصى بأكثر من الثلث أو يقرّ بكل ماله أو بعضه لأجنبي أو يقرّ على نفسه بدين لاحقية له دفعا للميراث عن الوارث أو يقرّ بأن الدين الذى كان له على فلان قد استوفاه منه أو يبيع شيئا بثمن رخيص أو يشترى شيئا بثمن غال كل ذلك لغرض أن لايصل المال إلى الورثة ، ومن الاضرار فى الوصية أن يوصى على نحو أطفاله من يعلم من حاله أنه يأكل مالهم أو يكون سببا لضياعه لكونه لايحسن التصرف فيه أو نحو ذلك . اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك وأغننا بفضلك عمن سواك آمين .

باب النكاح

قال الله تعالى ـ فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ـ وأخرج الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء »

صلى الله عليه وسلم « أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودّت فهى سوداء مظلمة » وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع وجبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أتدرون ماهذا ؟ قال قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفا فهو يهوى فى النار الآن حتى انتهى إلى قعرها فسمعتم وجبتها . وفى كتاب الترمذى عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن رضاضة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض فى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين

والبيهقي عن أبي أمامة « تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى » وهو عن أبي هريرة « من أحب فطرتي فليستن بسنتي وإن من سنتي النكاح » وعن أنس « إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين ، فليتق الله في النصف الباقي » وأحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبتل » وابن عدي عن جابر « أيما شاب تزوج في حداثة سنه عج شيطانه يا ويلي عصم مني دينه » وأحمد وابن أبي شيبة وابن عبد البر عن عكاف ابن وداعة أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له « ألك زوجة يا عكاف ؟ قال لا . قال ولا جارية . قال لا . قال وأنت صحيح موسر ؟ قال نعم الحمد لله . قال فأنت إذن من إخوان الشياطين ، إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وإن كنت منا فاصنع كما نصنع ، فإن من سنتي النكاح شراركم عزابكم ، وإن أراذل موتاكم عزابكم ويحك يا عكاف تزوج . فقال عكاف يا رسول الله لا أتزوج حتى تزوجني من شئت . قال صلى الله عليه وسلم زوجتك على اسم الله والبركة الكريمة بنت كلثوم الحميري » والديلمي وأبو داود « من ترك التزوج مخافة العيلة فليس منا » وأحمد ومسلم عن ابن عمر « الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » وابن ماجه عن أبي أمامة « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله » والطبراني عن ابن مسعود « تزوجوا الأبكار فإنهن أعذب أفواها وأنتق أرحاما وأرضى باليسير » وأبو داود عن معقل بن يسار « تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم » والبيهقي عن أبي سعيد وابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ولد له ولد فليحسن اسمه وأدبه ، وإذا بلغ فليزوجه ، فإن بلغ ولم يزوجه فأصاب إثما فإنما إثمه على أبيه » وهو عن عمر رضي الله عنه « مكتوب في التوراة من بلغت له ابنة اثنتي عشرة سنة فلم يزوجها فأصابت إثما فإثم ذلك عليه » والطبراني وابن عساكر عن سلامة حاضنة السيد إبراهيم « أما ترضى إحداكن أنها إذا كانت حاملا من زوجها وهو عنها راض أن لها مثل أجر الصائم والقائم في سبيل الله ، وإن أصابها الطلق لم يعلم أهل السماء والأرض ما أخفي لها من قرة أعين ، فإذا وضعت لم يخرج من لبنها جرعة ولم يمص من ثديها مصة إلا كان لها بكل جرعة وبكل مصة حسنة ، فإن أسهرها ليلة كان لها مثل أجر سبعين رقبة تعتقهم في سبيل الله » وأبو داود عن ابن عمر « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » .

وحكى أبو العباس أحمد بن يعقوب أنه رؤي معروف الكرخي في النوم فقيل له ما صنع الله بك ؟ قال أباحني الجنة غير أن في نفسي حسرة أني خرجت من الدنيا ولم أتزوج .

وحكي أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزوج فيأبى برهة من دهره فانتبه من نومه ذات يوم وقال : زوجوني فزوجوه فسئل عن ذلك ، فقال لعل الله يرزقني ولدا ويقبضه فيكون لي مقدمة في الآخرة ، ثم قال : رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكنت من جملة الخلائق في الموقف وبي من العطش والكرب ما كاد أن يقطع عنقي وكذا الخلائق في شدة العطش والكرب فنحن كذلك إذا ولدان قد ظهروا بأيديهم أباريق من فضة مغطاة بمناديل من نور وهم يتخللون الجمع ويتجاوزون أكثر الناس ويسقون واحدا بعد واحد ، فمددت يدي إليهم وقلت لبعضهم اسقني فقد أجهدني العطش فنظر إلي وقال : بس لك ولد فينا إنما نسقي آباءنا وأمهاتنا فقلت من أنتم ؟ فقالوا : نحن أطفال المسلمين .

خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها » وفي صحيح البخاري عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله : لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به ؟ فيقول نعم فيقول قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك . وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان أو شراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا . وفيه عن سمرة بن جندب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى حجزته ومنهم من

فصل فى أركان النكاح

أركان النكاح أربعة : الأول الايجاب والقبول: فالايجاب كأنكحتك أوزوجتك لا أحلتك ابنتى. والقبول كنكحتها أو تزوجتها أوقبلت أو رضيت نكاحها أوالنكاح ولايشترط فيهما العربية ولو مع معرفتها لكن يشترط أن يترجم بما هو صريح فيه فى تلك اللغة ، ويشترط أن لايطول فصل بينهما .

الثانى : الزوجان فيشترط فى المرأة خلوها من نكاح وعدة وتصدق فيه حيث لم يعلم لها نكاح سابق أو ادعت موت زوج غير معين أو طلاقه وإلا فلا . وفى الزوج علمه بحلها له وفيهما التعيين فزوجتك إحدى ابنتى أو زوجت بنتى أحدكما باطل ولو مع الاشارة .

الثالث : الولى وهو أب ثم أبوه فيزوجان بكرا أو ثيبا بلا وطء كمن زالت بكارتها بنحو أصبع من كفء موسر بمهر المثل مطلقا بغير إذنها حيث لاعداوة لاثيبا بوطء إلا باذنها نطقا بعد بلوغها وتصدق البالغة فى دعوى الثيوبة قبل العقد بيمين وان لم تتزوج لابعده ولوأثبتت ، ثم أخ لأبوين ثم لأب ثم ابنهما كذلك ثم عم لأبوين ثم لأب ثم بنوهما ثم عم الأب ثم بنوه كذلك ثم معتق ثم عصباته ثم معتقه ثم عصباته فيزوج الذكورون البالغة بإذنها نطقا إن كانت ثيبا وإلا كفى سكوتها بعد استئذانها ولو لغير كفء ثم إن عدموا أوغاب أقربهم مرحلتين أو فقد أو عضل زوج قاض أو نائبه بكفء بالغة فى محل ولايته حال التزويج لابغيره وإن رضيت به فمحكم عدل ولته أمرها أماتزويج اليتيمة فباطل اتفاقا . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل» وقال صلى الله عليه وسلم « لاتزوج المرأة المرأة ولا المرأة نفسها فان الزانية هى التى تزوج نفسها» .

الرابع : الشاهدان فيشترط كونهما رجلين حرين عدلين بصيرين سميعين يعرفان لسان المتعاقدين غير متعينين للولاية ويصح ظاهرا بمستورى عدالة إذا عقد لهما غير الحاكم ، ويندب استتابتهما قبل العقد احتياطا ويزول الستر بتفسيق عدل ولو تاب الفاسق عند العقد لم يصح به حالا كما لايصح تزويج عفيفة لفاسق تاب عند العقد قبل الاستبراء . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لانكاح إلا بولى مرشد وشاهدى عدل ، وما كان من نكاح على غير ذلك فهو باطل » .

فصل فى ذكر ما يجرى بين الزوجين

أخرج مسلم وأبو داود عن أبى سعيد الخدرى « إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه » وأحمد عن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجال والنساء قعود عنده فقال « لعل رجلا يقول ما فعل بأهله ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها فأزم القوم : أى سكتوا ، فقلت إى والله يارسول الله إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن ، قال فلا تفعلوا فانما مثل ذلك مثل شيطان لقى شيطانة فغشيها والناس ينظرون» رهو والبيهقى عن أبى الهيثم أنه صلى الله عليه وسلم قال «السباع(١) حرام»

[تنبيه] إن إفشاء الرجل سر زوجته والمرأة سر زوجها بأن يذكر كل منهما ما يقع بينهما

(١) قوله السباع حرام : السباع بوزن كتاب فى القاموس : الجماع والفخار بكثرته اه .

تأخذه إلى عنقه» وفى مسند البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان فى المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم» وفى كتاب الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ؟ وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لسرادق النار أربعة جدر وكثف كل جدار مسيرة أربعين سنة » قال صلى الله عليه وسلم «لوأن دلوامن غساق تهراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا» قال العلماء الغساق عرق أهل النار وصديدهم . وقيل دموعهم يسقونها مع الحميم وقال صلى الله عليه وسلم «ويل وادفى جهنم يهوى الكافر فيه

من أمور الاستمتاع وتفاصيل الجماع حرام ، وأما ذكر مجرد الجماع لغير فائدة فمكروه .

فصل فى منع أحد الزوجين حق الآخر

قال الله تعالى – وعاشروهن بالمعروف – وقال الله تعالى – ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة – قال ابن عباس : إنى لأتزين لامرأتى كما تتزين لى لهذه الآية . وقال بعضهم يجب أن يقوم بحقها ومصالحها ويجب عليها الانقياد والطاعة له . والترمذى وصححه وابن ماجه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى حجة الوداع بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ : ألا فاستوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن فى بيوتكم من تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن » والطبرانى والحاكم « حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يضرب الوجه ولا يقبح ولا يهجر » الحديث وهو : أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر ليس فى نفسه أن يؤدى إليها حقها خدعها فمات ولم يؤد إليها حقها لقى الله يوم القيامة وهو زان ، الحديث . والترمذى « إن من أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله ، خيركم خيركم لأهله » وميسرة بن على والرافعى « إن الرجل إذا نظر إلى امرأته ونظرت إليه نظر الله إليهما نظرة رحمة فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما فى خلال أصابعهما » والطيالسى « حق الزوج على زوجته أن لا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب وأن لا تصوم يوما واحدا إلا باذنه إلا الفريضة فإن فعلت أثمت ولم تقبل منها وأن لا تعطى من بيته شيئا إلا باذنه فإن فعلت كان له الأجر وكان عليها الوزر ، وأن لا تخرج من بيته إلا باذنه فإن فعلت لعنها الله وملائكة الغضب حتى تتوب أو ترجع وإن كان ظالما » والطبرانى « المرأة لا تؤدى حق الله حتى تؤدى حق زوجها كله ، لو سألها وهو على ظهر قتب لم تمنعه نفسها » والحاكم وصححه « إن امرأة قالت للنبى صلى الله عليه وسلم إن ابن عمى فلانا يخطبنى فأخبرنى ما حق الزوج على الزوجة فإن كان شيئا أطيق تزوجته قال من حقه أن لو سال من منخريه دم أو قيح فلحسته بلسانها ما أدت حقه لو كان ينبغى لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها إذا دخل عليها لما فضله الله عليها . قالت والذى بعثك بالحق لا أتزوج ما بقيت الدنيا » وأحمد عن أنس رضى الله عنه قال : كان أهل البيت من الأنصار لهم جمل يسقون عليه أى يستقون عليه الماء من البئر وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره وأن الأنصار جاءوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا إنه كان لنا جمل نسق عليه الماء من البئر وأنه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش الزرع والنخل فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لأصحابه قوموا فقاموا فدخلوا الحائط والجمل فى ناحية فمشى النبى صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الأنصار يارسول الله صار مثل الكلب نخاف عليك صولته قال ليس على منه بأس فلما نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فأخذ صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله فى العمل ، فقال له أصحابه يارسول الله هذا بهيمة لا يعقل يسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك قال : لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة

اربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ويهوى كذلك أبدا » وقال صلى الله عليه وسلم « لو أن مقمعا من حديد وضع على الأرض فاجتمع الثقلان ما أقلوه من الأرض » وقال « لو ضرب بمقمع من حديد الجبل لتفتت وصار غبارا » وفى كتاب الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول إنى قد وكلت بثلاث بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين » وفى كتاب الترمذى عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله – يسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه – قال يقرب إلى فيه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت

أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله ثواب آسية امرأة فرعون » وروى أن رجلا جاء إلى عمر رضى الله عنه يشكو إليه خلق زوجته فوقف ببابه ينتظر خروجه فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل قائلا إذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالى ؟ فخرج عمر فرآه موليا فناداه وقال ما حاجتك ؟ فقال يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك خلق زوجتى واستطالتها علىّ ، فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى ؟ فقال يا أخى إنى احتملتها لحقوق لها علىّ إنها طباخة لطعامى خبازة لخبزى غسالة لثيابى مرضعة لولدى وليس ذلك بواجب عليها ويسكن قلبى بها عن الحرام فأنا أحتملها لذلك ، فقال الرجل يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتى ، قال فاحتملها فإنما هى مدة يسيرة .

وحكى أنه كان لبعض الصالحين أخ صالح وكان يزوره كل سنة ، فجاء مرة لزيارته فطرق بابه فقالت زوجته من ؟ فقال أخو زوجك فى الله جاء لزيارته ، فقالت ذهب يحتطب لارده الله وبالغت فى شتمه وسبه ؛ فبينما هو كذلك وإذا بأخيه قد حمل الأسد حزمة حطب وهو مقبل به فلما وصل أخاه سلم عليه ورحب به ؛ ثم أنزل الحطب من على ظهر الأسد وقال له اذهب بارك الله فيك ؛ ثم أدخل أخاه وهى تسبه فلا يجيبها فأطعمه ثم ودعه وانصرف على غاية التعجب من صبره عليها ، ثم جاء فى العام الثانى فدق الباب فقالت من ؟ قال أخو زوجك جاء يزوره . قالت مرحبا وبالغت فى الثناء عليه وأمرته بانتظاره ، فجاء أخوه والحطب على ظهره فأدخله وأطعمه وهى تبالغ فى الثناء عليهما ، فلما أراد مفارقته سأله عما رأى من حمل الأسد حطبه فى زمن تلك البذية اللسان ومن حمله الحطب هو على ظهره فى زمن هذه السهلة اللينة فما السبب فيه ؟ فقال يا أخى توفيت تلك الشرسة وكنت صابرا على شؤمها وتعبها فسخر الله تعالى لى الأسد الذى رأيت يحمل الحطب بصبرى عليها ؛ ثم تزوجت هذه الصالحة وأنا فى راحة فانقطع عنى الأسد فاحتجت أن أحمل على ظهرى لأجل راحتى مع هذه الصالحة .

فصل فى النشوز

قال الله تعالى ـ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا ـ وروى الشيخان عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » وهما « والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء : أى أمره وسلطانه ساخطا عليها حتى يرضى عنها » أى زوجها . وابن حبان والبيهقى « ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا يرتفع لهم فى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مولاه والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى والسكران حتى يصحو » والخطيب « أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها كانت فى سخط الله حتى ترجع إلى بيتها أو يرضى عنها زوجها » وفى رواية : لعنها كل ملك فى السماء وكل شىء مرت

فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى ـ وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ـ ويقول جلّ وعلا ـ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ـ وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الحميم ليصب على رءوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان . وفيه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : وهم فيها كالحون . قال تشويه النار فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته . وفى كتاب الترمذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه فى جهنم

عليه غير الجن والانس حتى ترجع . وأحمد والطبرانى والبيهقى والحاكم : أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية وكل عين زانية. وابنا عدىّ وعساكر : إذا قالت المرأة لزوجها مارأيت منك خيرا قط فقد حبط عملها . وأبو داود والترمذى : أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة . وأبو داود وابن ماجه : لايسئل الرجل فيما ضرب امرأته عليه . وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء وذلك بسبب قلة طاعتهن لله ولرسوله ولأزواجهن وكثرة تبرجهن» والتبرج هو إذا أرادت الخروج من بيتها لبست أفخر ثيابها وتجملت وتحسنت وخرجت تفتن الناس بنفسها فان سلمت فى نفسها لم يسلم الناس منها . ولهذا قال صلى الله عليه وسلم «المرأة عورة فاحبسوهن فى البيوت فان المرأة إذا خرجت الطريق قال لها أهلها أين تريدين قالت أعود مريضا وأشيع جنازة فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج ذراعها وما التمست المرأة وجه الله بمثل أن تقعد فى بيتها وتعبد ربها وتطيع بعلها» وكان على رضى الله عنه يقول : ألا تستحيون ألا تغارون يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال تنظر إليهم و ينظرون إليها . وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير فى الهواء والحيتان فى الماء والملائكة فى السماء والشمس والقمر مادامت فى رضا زوجها وأيما امرأة غضب عليها زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وأيما امرأة كلحت فى وجه زوجها فهى فى سخط الله إلى أن تضاحكه ، وأيما امرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع» . وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «أربعة من النساء فى النار : امرأة بذية اللسان على زوجها إن غاب عنها زوجها لم تصن نفسها وإن حضر آذته بلسانها ، وامرأة تكلف زوجها مالايطيق ، وامرأة لا تستر نفسها من الرجال وتخرج من بيتها متبرجة : أى متجملة بلبس أفخر ثيابها ، وامرأة ليس لها إلا الأكل والشرب والنوم وليس لها رغبة فى الصلاة ولا فى طاعة الله ولا فى طاعة رسوله ولا فى طاعة زوجها» وقال علىّ كرم الله وجهه: دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم أنا وفاطمة فوجدناه يبكى بكاء شديدا فقلت له فداك أبى وأمى يارسول الله ما الذى أبكاك ؟ قال ياعلى ليلة أسرى بى إلى السماء رأيت نساء من أمتى يعذبن من أنواع العذاب فبكيت مما رأيت من شدة عذابهن رأيت امرأة معلقة بشعرها يغلى دماغها ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب فى حلقها ورأيت امرأة قد شدّ رجلاها إلى ثديها ويداها إلى ناصيتها ورأيت امرأة معلقة بثديها قد سلطت عليها الحيات والعقارب ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير و بدنها بدن حمار عليها ألف ألف لون من العذاب ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار فقامت فاطمة الزهراء وقالت ياحبيبى وقرّة عينى ما كان أعمال هؤلاء حتى وقع عليهن العذاب فقال صلى الله عليه وسلم يابنية . أما المعلقة بشعرها فانها كانت لاتغطى شعرها من الرجال وأما المعلقة بلسانها فانها كانت تؤذى زوجها وأما المعلقة بثديها فانها كانت تؤذى فراش زوجها وأما التى شدّ رجلاها إلى ثديها ويداها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب فانها كانت لا تغتسل من الجنابة والحيض وتستهزئ بالصلاة وأما التى رأسها رأس خنزير و بدنها بدن حمار فانها كانت نمامة كذابة وأما التى على صورة كلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فانها كانت منانة حسادة ويابنية الويل لامرأة تعصى زوجها .

[تنبيه] اعلم أن النشوز الذى عده جماعة من الكبائر يتحقق بمنعها الاستمتاع وطأ أو غيره

كما بين مكة والمدينة» وفى صحيح مسلم قال : ضرس الكافر أوناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث . وقال :مابين منكبى الكافر فى النار مسيرة ثلاث للراكب المسرع. وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطؤه الناس» وفى كتاب الترمذى وغيره عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون فى النار حتى تسيل دموعهم على وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت» .

وحكى عن شقيق البلخى أنه كان يوما يعاتب نفسه و يوصيها ويقول : يا شقيق لا تعص الله إلا على

كلس ولو بموضع عينه و بخروجها من المنزل بغير إذنه ولو لموت أحد أبويها أو إلى مجلس ذ كر وتعلم فضيلة لا لتعلم أحكام الحيض والنفاس وسائر العلم العيني ، بل يلزم عليها الخروج لتعلمها ويحرم عليه منعها عنـه إن لم يكن عالما و إلا علمها وجوبا وبامتناعها من النقلة معه و باغلاقها الباب حين أراد الدخول إليها و بادعائها الطلاق فمتى صدر منها شيء من المذكورات ولو لحظة لا تستحق نفقة ذلك اليوم وكسوة ذلك الفصل ولا قيم منـه بل تستحق أن يهجرها الزوج فى المضجع إلى أن تصلح ولو بلغ سنين وأن يضربها ولو بسوط وعصا وأن تلعنها الملائكة الأبرار الذين لا يعصون الله طرفة عين وأن يعذبها الجبار فى دار الهوان . قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم «أيما امرأة باتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة» رواه الترمذى . وابن ماجه قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلى الجنة من أى الأبواب شئت » رواه أحمد . وقال : ألا أخبركم بنسائكم فى الجنة ؟ قلنا بلى يارسول الله قال كل ودود ولود إذا غضبت أو أسيء إليها أو غضب زوجها قالت هذه يدى فى يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى » رواه الطبرانى . وقالت عائشة رضى الله عنها : يامعشر النساء لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمى زوجها بحر وجهها . و ينبغى لها أن تعرف أنها كالمملوك للزوج فلا تتصرف فى شيء من ماله إلا باذنه بل قال جماعة من العلماء إنها لا تتصرف أيضا فى مالها إلا باذنه لأنها كالمحجورة له . وقال بعضهم يجب على المرأة دوام الحياء من زوجها وغض طرفها قدامه والطاعة لأمره والسكوت عنـد كلامه والقيام عنـد قدومه وعنـد خروجه وعرض نفسها عليـه عند النوم والتعطر له وتعاهد الفم بالمسك والطيب ودوام الزينـة بحضرته وتركها فى غيبته وترك الخيانة عند غيبته فى فراشه أو ماله و إكرام أهله وأقاربه ورؤية القليل منه كثيرا . وقال : و ينبغى للمرأة الخائفة من الله أن تجتهد فى طاعة زوجها وتطلب رضاه فهو جنتها ونارها .

فصل فى القسم

أخرج مسـلم والنسائى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وماولوا» والطبرانى : إن الله تعالى كتب الغيرة على النساء والجهاد على الرجال فمن صبر منهن إيمانا واحتسابا كان له مثل أجر الشهيد . والترمذى والحاكم : من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط . والنسائى : من كانت له امرأتان يميل إلى إحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل . والمراد بقوله يميل الميل بظاهره بأن يرجح إحداهما فى الأمور الظاهرة التى حرم الشارع الترجيح فيها لا الميل القلبي لخبر عائشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل و يقول اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك . يعنى القلب .

باب فى التهاجر

أخرج أحمـد والطبرانى عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم أنه قال « لا يحـل لمسلم أن يهجر مسلما فوق ثلاث ليال فانهما ناكبان عن الحق» أى مائلان عنه مادامًا على صرامهما وأولهما فيئا

حسب ما تطيق من عذابه واعمل لآخرتك على قدر حوائجك إليها واطلب الرزق على قدر مقامك فى الدنيا واعمل لدار لا نفاد لها فسوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار . وروى أن الربيع بن خثيم كان يذهب إلى ابن مسـعود فمر بحانوت حداد فرأى الحـديدة المحماة فى الكير فغشى عليه ولم يفق إلى الغد. فلما أفاق سئل عن ذلك ؟ فقال تذكرت كون أهل النار فى النار إخوانى صححوا الايمان وهو تصديق القلب ولا يعتبر إلا مع التلفظ بالشهادتين حتى تنجوا من خلود نار جهنم واحرصوا كل الحرص على الاتيان بكمال خصال الاسلام حتى تنجوا من دخولها رأسا :

أيا عاملا للنار جسمك لين
فجربه تمرينا بحر الظهيرة
ودرجه فى لسع الزنابير تجترى
على نهش حيات هناك عظيمة

أي رجوعا إلى الصلح يكون سبقه بالفيء كفارة له ، وإن سلم فلم يقبل ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة ورد على الآخر الشيطان فإن ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنة جميعا أبدا . وأبو داود والنسائي « لا يحل لمسلم أن يهجر مسلما فوق ثلاث ، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار » والشيخان « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » وأخذ منه العلماء أن السلام يرفع إثم الهجر . ومسلم « تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لامرئ لا يشرك بالله شيئا إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء يقول : اتركوا هذين حتى يصطلحا » وفي رواية « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقول : أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا » والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع عنه ثوبيه ثم لم يستتم أن قام فلبسهما فأخذتني غيرة شديدة فظننت أنه يأتي بعض صويحباتي فخرجت أتبعه فأدركته بالبقيع بقيع الغرقد يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء ، فقلت بأبي وأمي أنت في حاجة ربك وأنا في حاجة الدنيا فانصرفت فدخلت حجرتي ولي نفس عال ولحقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذا النفس ياعائشة فقلت بأبي وأمي أتيتني فوضعت عنك ثوبيك ثم لم تستتم أن قمت فلبستهما فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك تأتي بعض صويحباتي حتى رأيتك بالبقيع تصنع ماتصنع . فقال ياعائشة أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله أتاني جبريل عليه السلام ، فقال هذه ليلة النصف من شعبان ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم كلب لاينظر الله فيها إلى مشرك ولا إلى مشاحن ولا إلى قاطع رحم ولا إلى مسبل إزاره ولا إلى عاق لوالديه ولا إلى مدمن خمر . قالت ثم وضع عنه ثوبيه ، فقال هذه ليلة النصف ياعائشة تأذنين لي في قيام هذه الليلة قالت : نعم بأبي أنت وأمي فقام فسجد طويلا حتى ظننت أنه قد قبض فقمت ألتمسه ووضعت يدي على باطن قدميه فتحرك ففرحت وسمعته يقول في سجوده : أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك جل وجهك لاأحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ؛ فلما أصبح ذكرتهن له فقال ياعائشة تعلميهن وعلميهن فإن جبريل علمنيهن وأمرني أن أرددهن في السجود .

[تنبيه] إن هجر أخيه المسلم فوق ثلاثة أيام حرام ، بل قال جماعة من العلماء إنه من الكبائر إلا لعذر شرعي كبدعة أوفسق ولوخفيا وضابطه أنه متى عاد إلى صلاح دين الهاجر أوالمهجور جاز وإلا فلا .

باب عقوق الوالدين

قال الله تعالى ـ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ـ قال ابن عباس يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب فلا يغلظ لهما في الجواب ولا يحد النظر عليهما ولا يرفع صوته عليهما بل يكون بين يديهما مثل العبد بين يدي سيده تذللا لهما . وقال تعالى ـ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ـ وقال ـ أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير ـ فانظر وفقني الله وإياك كيف قرن شكرهما

فإن كنت لا تقوى فويلك ما الذي
دعاك إلى إسخاط رب البرية
تبارز بالمنكرات عشية
وتصبح في أثواب نسك وعفة
فأنت عليه منك أجرى على الورى
بما فيك من جهل وخبث طوية
تقول مع العصيان ربي غافر
صدقت ولكن غافر بالمشيئة
وربك رزاق كما هو غافر
فلم لم تصدق فيهما بالسوية
فإنك ترجو العفو من غير توبة
ولست ترجي الرزق إلا بحيلة
على أنه بالرزق كفل نفسه
لكل ولم يكفل لكل بجنة
إلهي أجرنا من عظيم ذنوبنا
ولا تخزنا وانظر إلينا برحمة
وخذ بنواصينا إليك وهب لنا
يقينا يقينا كل شك وريبة

بشكره . قال ابن عباس « ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا يقبل الله منها واحدة بغير قرينتها إحداها قوله تعالى ـ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ـ فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه . الثانية قوله تعالى ـ أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ـ فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه . الثالثة قوله تعالى ـ أن اشكر لى ولوالديك ـ فمن شكر الله ولم يشكر والديه لم يقبل منه، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: رضا الله فى رضا الوالدين وسخط الله فى سخط الوالدين » وصح : أن رجلا جاء يستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى الجهاد ، فقال أحىّ والداك؟ قال نعم قال ففيهما فجاهد . فانظر كيف فضل برّ الوالدين وخدمتهما على الجهاد . وأخرج أحمد والبخارى عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس » والطبرانى عن ثوبان « ثلاثة لا ينفع معهن عمل الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف » وأحمد والنسائى والحاكم عن ابن عمر « ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة : مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث الذى يقرّ فى أهله الخبث » أى الزنا فيهم مع علمه به . وقيل هو الذى لا يمنع الناس عن الدخول على زوجته ، وقيل هو الذى يشترى جارية تغنى للناس . والحاكم والأصبهانى « كل الذنوب يؤخر الله منها ماشاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فان الله يعجله لصاحبه فى الحياة قبل الممات » والخطيب عن على رضى الله عنه « من أحزن والديه فقد عقهما » وعن وهب بن منبه قال أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ياموسى « وقر والديك فان من وقر والديه مددت له فى عمره ووهبت له ولدا يبره ؛ ومن عق والديه قصرت عمره ووهبت له ولدا يعقه » وقال أبو بكر بن مريم « قرأت فى التوراة أن من يضرب أباه يقتل » . وقال وهب فى التوراة « على من صك والديه الرجم » وروى أن علقمة كان كثير الاجتهاد فى الطاعة من الصلاة والصوم والصدقة فمرض واشتدّ مرضه فأرسلت امرأته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إن زوجى علقمة فى النزع فأردت أن أعلمك يا رسول الله بحاله فأرسل صلى الله عليه وسلم عمارا وبلالا وصهيبا وقال امضو إليه فلقنوه الشهادة فجاءوا إليه فوجدوه فى النزع فجعلوا يلقنونه لا إله إلا الله ولسانه لا ينطق بها فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ؛ فقال : هل من أبويه أحد حى ؟ قيل يارسول الله أمّ كبيرة السن فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها إن قدرت على المسير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلا فقرّى فى المنزل حتى يأتيك فجاء إليها الرسول وأخبرها بذلك ؛ فقالت نفسى لنفسه الفداء أنا أحق باتيانه فتوكأت وقامت على عصا وأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلمت فردّ عليها السلام وقال لها يا أم علقمة أصدقينى وإن كذبتنى جاء الوحى من الله تعالى كيف حال ولدك علقمة ؟ قالت يارسول الله كثير الصلاة كثير الصيام كثير الصدقة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حالك معه؟ قالت يارسول الله أنا عليه ساخطة قال ولم قالت يارسول الله كان يؤثر زوجته ويعصينى قال صلى الله صلى الله عليه وسلم إن سخط أمّ علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة ثم قال صلى الله عليه وسلم يابلال انطلق واجمع لى حطبا كثيرا قالت وما تصنع به يارسول الله قال أحرقه بالنار . قالت يارسول الله هو ولدى لا يحمل قلبى أن تحرقه بالنار بين يدى قال يا أم علقمة فعذاب الله أشدّ وأبقى فان سرك أن يغفر الله له فارضى عنه فو الذى نفسى بيده لا ينتفع بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته مادمت عليه ساخطة فقالت يارسول الله فانى أشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرنى من المسلمين أنى قد رضيت على ولدى علقمة

فقال

إلهى اهدنا فيمن هديت وخذبنا
إلى الحق نهجا فى سواء الطريقة
وكن شغلنا عن كل شغل وهمنا
وبغيتنا عن كل هم وبغية
وصلّ صلاة لا تناهى على الذى
جعلت به مسكا ختام النبوة

[فصل فى الخلود فى النار]

قال الله تعالى ـ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ـ وفى كتاب الترمذى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ماهم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالشراب

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق إليه يا بلال فانظر هل يستطيع أن يقول لا إله إلا الله أم لا ؟ فلعلّ أم علقمة تكلمت بما ليس فى قلبها حياء ، فانطلق بلال فسمع علقمة يقول من داخل الدار: لا إله إلا الله فدخل بلال فقال ياهؤلاء إن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة وإن رضاها أطلق لسانه . ثم مات علقمة فى يومه ، فحضره النبىّ صلى الله عليه وسلم فأمر بغسله وكفنه . ثم صلى عليه وحضر دفنه . ثم قام على شفير قبره فقال : يامعشر المهاجرين والأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل الله منه صرفا ولاعدلا إلا أن يتوب إلى الله عزّ وجلّ ويحسن إليها ويطلب رضاها ، فرضا الله فى رضاها وسخط الله فى سخطها . وروى أن العوام بن حوشب قال : نزلت مرة حيا وإلى جانب ذلك الحى مقبرة . فلما كان بعد العصر انشقّ منها قبر فخرج رجل رأسه رأس حمار وجسده جسد إنسان فنهق ثلاث نهقات ثم انطبق عليه القبر . فاذا عجوز تغزل شعرا أو صوفا . فقالت لى امرأة أخرى ترى تلك العجوز ؟ قلت مالها ؟ قالت تلك أم هذا ؟ قلت وما كان قصته ؟ قالت كان يشرب الخمر فاذا راح تقول له أمه يابنىّ اتق الله إلى متى تشرب الخمر ؟ فيقول لها إنما أنت تنهقين كما ينهق الحمار . قالت فمات بعد العصر قالت فهو ينشقّ عنه القبر بعد العصر كل يوم فينهق ثلاث نهقات ، ثم ينطبق عليه القبر والعياذ بالله من العقوق .

[تنبيه] إن عقوق الوالدين أو أحدهما وإن علا ولو مع وجود أقرب منه من الكبائر المهلكة اتفاقا.

خاتمة فى بر الوالدين

أخرج الشيخان عن ابن مسعود قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أىّ العمل أحبّ إلى الله ؟ قال الصلاة على وقتها . قلت ثم أى ؟ قال برّ الوالدين . قلت ثم أى ؟ قال الجهاد فى سبيل الله . وأبو يعلى والطبرانى : أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إنى أشتهى الجهاد ولا أقدر عليه . قال هل بقى من والديك أحد ؟ قال أمى . قال قاتل لله فى برّها فاذا فعلت فأنت حاج ومعتمر ومجاهد . والرافعى عن ابن عباس « مامن رجل ينظر إلى وجه والديه نظرة رحمة إلا كتب الله له بها حجة مقبولة مبرورة » . وابن ماجه والنسائى والحاكم « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك . فقال هل لك من أمّ ؟ قال نعم ، قال فالزمها فان الجنة عند رجلها» وفى رواية «ألك والدان ؟ قلت نعم . قال فالزمهما فان الجنة تحت أرجلهما » والشيخان « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال أمك . قال ثم من ؟ قال أمك . قال ثم من ؟ قال أمك . قال ثم من ؟ قال أبوك» والترمذى وابن حبان والحاكم «أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال إنى أذنبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة ؟ فقال هل لك من أمّ ؟ فقال لا . قال فهل لك من خالة ؟ قال نعم . قال فبرّها» والديلمى «دعاء الوالد لولده كدعاء النبى لأمته» وأبو داود وابن ماجه عن مالك بن ربيعة الساعدى قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال يارسول الله : هل بقى من برّ أبوىّ شىء أبرّهما به بعد موتهما ؟ فقال نعم الصلاة عليهما : أى الدعاء والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما .

وحكى البغوى فى معالمه أنه كان فى بنى إسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها إلى

فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخلت بطونهم قطعت مافى بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم فيقولون أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا ومادعاء الكافرين إلا فى ضلال . قال فيقولون ادعوا مالكا فيقولون يامالك ليقض علينا ربك . قال فيجيبهم إنكم ماكثون قال الأعمش ثبت أن بين دعائهم وإجابة مالك إياهم ألف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون — قال فيجيبهم — اخسئوا فيها ولا تكلمون — قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك يأخذون فى الزفير

غيضة ، وقال اللهمّ أستودعك هـذه العجلة لابنى حتى يكبر ومات الرجل فصارت العجلة فى الغيضة عوانا وكانت تهرب من كل من رآها ، فلما كبر الابن كان بارًّا بوالدته وكان يقسم ليله ثلاثة أثلاث يصلى ثلثا وينام ثلثا و يجلس عند رأس أمه ثلثا ، فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدّق بثلثه و يأكل ثلثه و يعطى والدته ثلثه . فقالت له أمه يوما إن أباك ورّثك عجلة استودعها فى غيضة كذا فانطلق فادع إله إبراهيم و إسمعيل و إسحق و يعقوب أن يردّها عليك ، وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يخيل إليك أنّ شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى تلك البقرة المذهبة لحسنها وصفرتها ، فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال : أعزم عليك بالله إبراهيم و إسمعيل و إسحق و يعقوب فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة وقالت : أيها الفتى البارّ بوالدته اركبنى فانّ ذلك أهون عليك فقال الفتى إنّ أمى لم تأمرنى بذلك ولـكن قالت خـذ بعنقها ، فقالت البقرة بإله بنى إسرائيل لو ركبتنى ما كنت تقدر علىّ أبدا فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله و ينطلق معك لفعل لبرّك بأمك ، فسار الفتى بها إلى أمه فقالت له إنك فقير لامال لك و يشقّ عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال بكم أبيعها ، قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها إلى السوق فبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى برّه بوالدته وكان الله به خبيرا . فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة ؟ قال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتى . فقال الملك خذ ستة دنانير ولا تستأمر والدتك . فقال الفتى لو أعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه إلا برضا أمى فردّها إلى أمه فأخبرها بالثمن . فقالت فارجعها فبعها بستة دنانير على رضا منى فانطلق بها إلى السوق وأتى الملك فقال استأمرت أمك فقال الفتى إنها أمرتنى أن لاتنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها . فقال الملك فانى أعطيك اثنى عشر دينارا على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك فقالت إنّ الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هـذه البقرة أم لا ؟ ففعل . فقال له الملك اذهب إلى أمك فقل لها أمسكى هذه البقرة فانّ موسى بن عمران يشتريها منكم لقتيل يقتل من بنى إسرائيل فلا تبيعوها إلا بملء مسكها دنانير فأمسكها وقدّر الله على بنى إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فمازالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة على برّ والدته فضلا منه ورحمة .

وحكى اليافعى أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام : أن اخرج إلى ساحل البحر تبصر عجبا ، فخرج سليمان بن داود ومن معه من الجنّ والانس ، فلما وصل الساحل التفت يمينا وشمالا فلم ير شيئا ، فقال لعفريت غص فى هذا البحر ثم ائتنى بعلم ماتجد فيه فغاص ثم رجع بعـد ساعة وقال يا نبىّ الله إنى ذهبت فى البحر مسيرة كذا وكذا لم أصل إلى قعره ولانظرت فيه شيئا فقال لعفريت آخر غص فى هذا البحر وائتنى بعلم ماتجد فيه فغاص ثم رجع بعد ساعة وقال مثل قول الأول إلاأنه غاص مثل الأول مرتين . فقال لآصف بن برخيا وهو وزيره الذى ذكره الله تعالى فى القرآن ـ قال الذى عنده علم من الكتاب ـ قال له ائتنى بعلم مافى هذا البحر فجاء بقبة من الكافور الأبيض لها أربعة أبواب باب من درّ و باب من ياقوت و باب من جوهر و باب من زبرجـد أخضر والأبواب كلها مفتحة ولا يدخل فيها قطرة من المـاء وهى فى داخل البحر فى مكان عميق مثل مسـيرة ما غاص فيه العفريت الأول ثلاث مرات ، فوضعها بين يدى سليمان عليـه السلام ، و إذا فى وسـطها شاب حسن الشـباب نقىّ الثياب وهو قائم يصلى

والحسرة والويل . ويروى أنّ لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا كما يطير الشرر فاذا رفعهم أشرفوا على الجنة و بينهم حجاب فنادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا ؟ قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ونادى أصحاب النار أصحاب الجنـة أن أفيضوا علينامن الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما عـلى الكافرين فـتردّهم ملائـكة العذاب بمقامع الحديد إلى قعر جهنم . قال بعض المفسرين : هو معنى قول الله عزوجلّ ـ كلـما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تـكذبون ـ وفى الكشاف وأنوار التنزيل عن ابن عباس رضى الله عنهما : إن لهم ستّ دعوات إذا

فدخل

فدخل سليمان عليه السلام القبة وسلم على ذلك الشاب وقال ما أنزلك فى قعر هذا البحر؟ قال يانبى الله إنه كان أبى رجلا مقعدا وكانت أمى عمياء فأقمت فى خدمتهما سبعين سنة ، فلما حضرت وفاة أمى قالت اللهم أطل حياة ابنى فى طاعتك ، ولما حضرت وفاة أبى قال : اللهم استخدم ولدى فى مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل فخرجت إلى هذا الساحل بعد مادفنتهما فنظرت هذه القبة موضوعة فدخلتها لأنظر حسنها فجاء ملك من الملائكة فاحتمل القبة وأنا فيها وأنزلنى فى قعر هـذا البحر . قال سليمان فى أى زمان كنت أتيت هذا الساحل قال فى زمان ابراهيم الخليل عليه السلام ، فنظر سليمان عليه السلام فى التاريخ فاذا له ألفا سنة وأربعمائة سنة وهو شاب لاشيبة فيه . قال فما كان طعامك وشرابك داخل هذا البحر ؟ قال يانبى الله يأتينى كل يوم طير أخضر فى منقاره شئ أصفر مثل رأس الانسان فآكله فأجد فيه طعم كل نعيم فى دار الدنيا فيذهب عنى الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والنعاس والفترة والوحشة . فقال سليمان أتحب أن تقف معنا أو ترد إلى موضعك فقال ردنى إلى موضعى يانبى الله . فقال رده يا آصف فرده ثم التفت فقال انظروا كيف استجاب الله تعالى دعاء الوالدين ، فاحذركم عقوق الوالدين .

باب قطع الرحم

قال الله تعالى ـ واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ـ أى واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، وقال تعالى ـ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ـ وأخرج الشيخان عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم ، فقال مه قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك لك ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرءوا إن شئتم ـ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ـ وهما : لايدخل الجنة قاطع : أى قاطع رحم . والترمذى وابن ماجه عن أبى بكر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مامن ذنب أجدر : أى أحق من أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع مايدخر الله له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم ، والطبرانى عن جابر قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مجتمعون فقال يامعشر المسلمين اتقوا الله وصلوا أرحامكم فانه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم ، وإياكم والبغى فانه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغى ، وإياكم وعقوق الوالدين ، فان ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام ، والله لايجدها عاق ولاقاطع رحم ولاشيخ زان ولاجار إزاره خيلاء إنما الكبرياء لله رب العالمين . وأحمد : إن أعمال بنى آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم . والأصبهانى : كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : لايجالسنا قاطع رحم فقام فتى من الحلقة فأتى خالة له قد كان بينهما بعض الشئ واستغفرت له ، ثم عاد إلى المجلس فقال صلى الله عليه وسلم : إن الرحمة لا تنزل على قوم وفيهم قاطع رحم . وروى عن محمد الباقر أن أباه زين العابدين قال له : لاتصاحب قاطع رحم فانى وجدته ملعونا فى كتاب الله فى ثلاثة مواضع وذكر الآيات الثلاث السابقة .

وحكى شيخنا ابن حجر رحمه الله : أن رجلا غنيا حج فأودع آخر موسوما بالأمانة والصلاح

دخلوا النار ، يقولون ألف سنة ـ ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا ـ فيجابون ـ لقد حق القول منى ـ فيقولون ألفا ـ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ـ فيجابون ـ ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم ـ فيقولون ألفا ـ يامالك ليقض علينا ربك ـ فيجابون ـ إنكم ماكثون ـ فيقولون ألفا ـ ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ـ فيجابون ـ أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال ـ فيقولون ألفا ـ ربنا أخرجنا نعمل صالحا ـ فيجابون ـ أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ـ فيقولون ألفا ـ رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ـ فيجابون ـ اخسئوا فيها ولا تكلمون ـ ثم لا يكون لهم فيها إلا

ألف دينار حتى يعود من عرفة ، فلما عاد وجده قد مات . فسأل ورثته عن المال فلم يكن لهم به علم فسأل علماء مكة فقالوا إذا كان نصف الليل فائت زمزم وانظره فيها وناد يافلان باسمه فان كان من أهل الخير فسيجيبك من أول مرة ، فذهب ونادى فيها فلم يجبه أحد فأخبرهم فقالوا إنا لله و إنا إليه راجعون نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار اذهب إلى أرض اليمن ففيها بئر تسمى برهوت يقال إنه على فم جهنم فانظر فيها بالليل وناد فيها يافلان فسيجيبك منها ، فمضى إلى اليمن وسأل عن البئر فدل عليها ، فذهب إليها ليلا ونادى فيها يافلان فأجابه . فقال أين ذهبى ؟ فقال دفنته فى الموضع الفلانى من دارى ولم آتمن عليه ولدى فائتهم واحفر هناك تجده . فقال ما الذى أنزلك ههنا وقد كنت أظن بك الخير . قال كانت لى أخت فقيرة هجرتها وكنت لا أحنو عليها فعاقبنى الله بسببها وأنزلنى هذا المنزل وتصديق ذلك الحديث الصحيح : لايدخل الجنة قاطع : أى قاطع رحمه وأقاربه .

[تنبيه] قد نقل القرطبى فى تفسيره اتفاق الأئمة على حرمة قطع الرحم ووجوب صلتها ، والمراد بقطع الرحم قطع ما ألف القريب منه من سابق الوصلة والاحسان لغير عذر شرعى ، فلو كان لم يصل منه إلى قريبه إحسان ولا إساءة قط لم يفسق بذلك ، ولا فرق بين أن يكون الاحسان الذى ألفه مع قريبه مالا أو مكاتبة أو مراسلة أو زيارة أو غير ذلك ، فقطع ذلك كله بعد فعله لغير عذر كبيرة .

خاتمة فى صلة الرحم

أخرج الشيخان عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » وأبو يعلى عن رجل من خثعم : قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى نفر من أصحابه قلت : أنت الذى تزعم أنك رسول الله ؟ قال نعم . قلت يارسول الله أى الأعمال أحب إلى الله ؟ قال الايمان بالله ، قلت يارسول الله ثم مه ؟ قال : ثم صلة الرحم ، قلت يارسول الله أى الأعمال أبغض إلى الله تعالى ؟ قال : الشرك بالله ، قلت يارسول الله ثم مه ؟ قال: ثم قطيعة الرحم، قلت يارسول الله ثم مه ؟ قال: ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وابن ماجه : أسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم ، وأسرع الشر عقوبة البغى وقطيعة الرحم . والطبرانى وابن حبان عن أبى ذر : قال أوصانى خليلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير وأوصانى أن لا أنظر إلى من هو فوقى ، وأن أنظر إلى من هو دونى ، وأوصانى بحب المساكين والدنو منهم وأوصانى أن أصل رحمى و إن أدبرت ، وأوصانى أن لا أخاف فى الله لومة لائم ، وأوصانى أن أقول الحق ولو على نفسى و إن كان مرا ، وأوصانى أن أكثر من لاحول ولا قوة إلا بالله فانها كنز من كنوز الجنة . والشيخان عن ميمونة : أنها أعتقت وليدة لها ولم تستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذى يدور عليها فيه قالت : أشعرت يارسول الله أنى أعتقت وليدتى . قال أوفعلت ؟ قالت نعم ، قال أما إنك لو أعطيت أخوالك وأخواتك كان أعظم لأجرك . والطبرانى والحاكم : ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته قالوا وما هى يارسول الله قال تعطى من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك فاذا فعلت

زفير وشهيق وعواء . وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصار أهل النار إلى النار أتى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار فيذبح ويقال يا أهل الجنة لاموت ويا أهل النار لاموت فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم وأهل النار حزنا إلى حزنهم » وفى كتاب الترمذى : فلو أن أحدا مات فرحا لمات أهل الجنة ولو أن أحدا مات حزنا لمات أهل النار . فاتق الله يا أخى ولا تصغر ذنبا ولا تلق مثل هذا خلف ظهرك ظنا منك أنه إنما يلحق الكفار فقد روى البخارى فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يابلال قم فأذن لايدخل الجنة إلا مؤمن » و إنه قال صلى الله عليه وسلم « ان العبد ليعمل عمل أهل النار و إنه من أهل

ذلك تدخل الجنة . والبخارى «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها» والشيخان « من أحب أن يبسط له فى رزقه و ينسأ : أى يؤخر فى أثره : أى أجله فليصل رحمه » وأبو يعلى « إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما فى العمر و يرفع بهما ميتة السوء و يدفع بهما المكروه والمحذور » قال الضحاك فى تفسير قوله تعالى ـ يمحو الله مايشاء و يثبت ـ قال إن الرجل ليصل رحمه ومابقى من عمره إلاثلاثة أيام فيزيدالله فى عمره ثلاثين سنة ، و إن الرجل ليقطع رحمه وقدبقى من عمره ثلاثون سنة فيحطه الله إلى ثلاثة أيام . وروى أن ملك الموت أخبر داود عليه السلام بقبض روح رجل بعد ستة أيام ، فلما كان بعد مدة طويلة وجد داود ذلك الرجل حيا فسأل ملك الموت عنه ، فقال إنه لما خرج من عندك وصل رحما قد كان قطعها فمد الله فى عمره عشرين سنة أخرى .

فصل فى حقوق المماليك

أخرج أحمد وابن ماجه عن أبى بكر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايدخل الجنة سيئ الملكة : أى الذى يسيء الصنيعة إلى مماليكه قالوا يارسول الله أليس أخبرتنا أن هذه الأمة أكثر الأمم مملوكين و يتامى ؟ قال نعم ، فأكرموهم كرامة أولادكم وأطعموهم مما تأكلون . قالوا فماينفعنا من الدنيا ؟ قال فرس تربطه تقاتل فى سبيل الله ، مملوكك يكفيك فاذاصلى فهو أخوك » وأبوداود عن على كرم الله وجهه قال : آخر كلام النبى صلى الله عليه وسلم « الصلاة الصلاة فاتقوا الله فيماملكت أيمانكم » وفى رواية كان صلى الله عليه وسلم يقول فى مرضه الذى توفى فيه « الصلاة وماملكت أيمانكم فمازال يكررها حتى مايقبض لسانه » وأحمد والطبرانى أنه صلى الله عليه وسلم قال فى حجة الوداع « أرقاءكم أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون فان جاءوا بذنب لا تريدون أن تغفروه فبيعوا عبادالله ولاتعذبوهم » ومسلم « كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوتهم » وهو عن أبى مسعود البدرى قال كنت أضرب غلاما لى بالسوط فسمعت صوتا من خلفى اعلم يا أبامسعود فلم أفهم الصوت من الغضب ، فلمادنا منى إذ هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذاهو يقول : اعلم أبامسعود أن الله تعالى أقدر عليك منك على هذا الغلام فقلت لا أضرب مملوكا بعده أبدا . وفى رواية : فقلت يارسول الله هو حر لوجه الله تعالى ؛ فقال أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار . والطبرانى « من ضرب مملوكه ظلما أقيد منه يوم القيامة » وأبو داود والترمذى « يارسول الله كم أعفو عن الخادم قال كل يوم سبعين مرة » وأحمد عن عائشة رضى الله عنهما أن رجلا قعد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله : إن لى مملوكين يكذبوننى و يخونوننى و يعصوننى وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم ، فان كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك ، و إن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك ، وان كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل ، فتنحى الرجل وجعل يهتف و يبكى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما تقرأ قول الله تعالى ـ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ـ فقال الرجل والله يارسول الله ما أجد لى ولهؤلاء شيئا خيرا من مفارقتهم ، أشهدك أنهم أحرار كلهم » وابن حبان

الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار ؛ وإنما الأعمال بالخواتيم » وقال الغزالى رحمه الله وكان شيخنا يقول: إذا سمعت بحال الكفار وخلودهم فى النار فلا تأمن على نفسك فان الأمر على الخطر ولا تدرى ماذا يكون من العاقبة وماذاسبق لك فى حكم الغيب ولا تغتر بصفاء الأوقات فان تحتها غوامض الآفات وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ـ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ـ هى الموت على غير الشهادة . قال أبو حفص الحداد المعاصى بريد الكفر كما أن الحمى بريد الموت . وقال حاتم الأصم لاتغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة فلقى آدم فيها مالقى ولا تغتر بكثرة العبادة فان إبليس بعد طول تعبده لقى مالقى ولا تغتر بكثرة العلم فان بلعام

والبيهقى « ماخففت عن خادمك من عمله فهو أجرلك فى موازينك يوم القيامة » والشيخان « من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضومنها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه » وأبوداود وابن ماجه « ثلاثة لايقبل الله منهم صلاة : من تقدم قوما وهم له كارهون ورجل أتى الصلاة دبارا ورجل اعتبد محررا يعنى أعتقه ثم كتم عتقه أوأنكره » وروى « أنه جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إنى قلت لأمتى يازانية ؛ قال هل رأيت عليها ذلك ؟ قالت لا ، قال أما إنها ستقيدك يوم القيامة ؛ فرجعت المرأة إلى جاريتها فأعطتها سوطا وقالت اجلدينى فأبت الجارية فأعتقتها ، ثم رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بعتقها فقال عسى أى عسى أن يكفر عتقك إياها ما قذفتيها به » .

وحكى أنه دخل جماعة على سلمان الفارسى وهوأمير على المدائن فوجدوه يعجن عجين أهله فقالوا ألا تترك الجارية تعجن ؟ فقال أرسلناها فى عمل فكرهنا أن نجمع عليها عملا آخر .

وحكى أن عمر بن عبد العزيز قال يوما لجاريته روّحينى حتى أنام فروّحته فنام فغلبها النوم فنامت فلما انتبه أخذ المروحة وجعل يروحها ؛ فلما انتبهت ورأته يروحها صاحت ، فقال لها عمر إنما أنت بشر مثلى أصابك من الحرّ ما أصابنى فأحببت أن أروّحك كما روحتينى .

فصـــل فى حقوق الجيران

قال الله تعالى ـ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا و بالوالدين إحسانا و بذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب ـ وأخرج الشيخان عن ابن عمر وعائشة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » والبخارى « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره واستوصوا بالنساء خيرا » ومسلم « من كان يؤمن بالله فليحسن إلى جاره » وأحمد والبخارى « والله لايؤمن والله لايؤمن والله لايؤمن الذى لايأمن جاره بوائقه » وأحمد والبزار وابن حبان والحاكم قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذى جارها بلسانها . قال هى فى النار . قال يارسول الله إن فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها وصدقتها وأنها تصدّق بالأثوار : أى القطعات من الأقط ولاتؤذى جيرانها ، قال هى فى الجنة » ومسلم « لايدخل الجنة من لايأمن جاره بوائقه » والبخارى « كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول يارب هذا أغلق بابه دونى فمنع معروفه عنى » والحاكم والبيهقى « ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائع إلى جنبه » والبزار والطبرانى « ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم » والطبرانى عن معاوية بن جندب قلت « يارسول الله ما حقّ الجار على جاره ؟ قال إن مرض عدته ، و إن مات شيعته و إن استقرضك أقرضته ، و إن أعوز سترته ، و إن أصابه خير هنأته ، و إن أصابته مصيبة عزيته ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح ولا تؤذه بريح قدرك إلا أن تغرف له منها » والبيهقى « أن رجلا قال يارسول الله دلنى على عمل حتى إذا عملت به دخلت الجنة فقال : كن محسنا فقال يارسول الله كيف أعلم أنى محسن ؟ قال سل جيرانك فان قالوا إنك محسن فأنت محسن وان قالوا إنك مسىء فأنت مسىء » والبزار وأبو نعيم « الجيران ثلاثة : فجار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقا وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق ، فأما الذى له حقّ واحد فجار مشرك ؛

كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا التقى ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر من المصطفى فلم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه . وقيل لما ظهر على إبليس ماظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان زمانا طويلا فأوحى الله إليهما مالكما تبكيان هذا البكاء ؟ فقالا يارب لانأمن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لاتأمنا مكرى . وعن أبى بكر الورّاق رحمه الله أنه قال : أكثر ماينزع الإيمان من العبد عند الموت ، فنظرنا فى الذنوب فلم نجد أنزع للإيمان من ظلم العباد :

اقنع فديتك بالقليل والزم مقارنة الخمول
واملك هواك مجاهدا وتنحّ عن قال وقيل
فلسوف تسئل يوم يتـ ـرك الليك عن الفتيل
والمرء فى شغل بذا ك عن الصاحب والخليل

وأما الذى له حقان فجار مسلم حق للاسلام وحق للجوار ، وأما الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم حق للاسلام وحق للجوار وحق للرحم » والترمذى والنسائى « ياأبا ذرّ اذا طبخت فأكثر المرق وتعاهد جيرانك » والشيخان «يانساء المؤمنات لاتحقرنّ جارة لجارتها ولو فرسن شاة » والبيهقى « حدّ الجوار أربعون دارا » . وروى : أن سبب ابتلاء يعقوب بابنه يوسف عليهما السلام أنه اجتمع هو وابنه على أكل أجمل مشوىّ وهما يضحكان ، وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه و بكى و بكت جدّة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء أسفا على يوسف إلى أن سالت وابيضت عيناه من الحزن ، فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر مناديا ينادى على سطحه : ألا من كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب . اللهم حسن أخلاقنا ووسع أرزاقنا وقنا عذابك يوم تبعث عبادك . وروى عن عبد الله بن المبارك أنه قال : فرغت من حج عاما فنمت فى الحرم فرأيت ملكين نازلين من السماء فقال أحدهما للآخر كم حج من الناس فى هذا العام فقال الآخر ستمائة ألف قال فكم قبل حجهم فقال لم يقبل حج أحد منهم ثم قال لكن رجل فى دمشق يخصف النعل اسمه موفق لم يأت للحج ولكن قبل حجه و ببركة الحج قبل حج الكل فانتبهت فقصدت دمشق ووصلت إلى بابه فخرج إلىّ رجل فسألته عن اسمه فقال موفق . فقلت أىّ خير خرج منك حتى وجدت هذه الدرجة ، فقال كنت أرجو الحج وما أمكننى لضيق يدى فحصلت ثلثمائة درهم من خصف النعل وقصدت الحج فى هذا العام وكانت امرأتى حاملا فشمت ريح الطعام من دار جارىّ فاشتهت ذلك فقصدت بيت الجار فخرجت امرأة فأخبرتها ، فقالت لقد اضطررت إلى شرح الحال فان أيتامى لم يطعموا شيئا ثلاثة أيام فخرجت فرأيت حمارا ميتا فقطعت منه قطعة وطبخته فهو حلال لنا وحرام عليكم فجئت دارى وأخذت الثلثمائة درهم وجئت بها إلى دار جارى وأعطيتها وقلت لها أنفقى على أيتامك وقلت لنفسى إن الحج فى باب دارى فأين أذهب .

باب القتل

قال الله تعالى ـ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما ـ أخرج الشيخان عن أبى هريرة « اجتنبوا السبع الموبقات أى المهلكات قيل يارسول الله ماهنّ قال الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق » الحديث . والنسائى والحاكم وصححه عن معاوية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا » وأبو داود وابن حبان عن أبى الدرداء « كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت مشركا أو يقتل مؤمنا متعمدا» وأبو داود والضياء عن عبادة «من قتل مؤمنا فاغتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفا ولاعدلا : أى فرضا ولانفلا » والنسائى والضياء عن بريدة «قتل المؤمن أعظم عندالله من زوال الدنيا» والترمذى عن أبى هريرة «لوأن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا فى دم مؤمن لأكبهم الله عزّ وجلّ فى النار » وابن ماجه عنه «من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقى الله مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله » والنسائى عن ابن مسعود :أوّل مايحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، وأوّل مايقضى به بين الناس فى الدماء . وأحمد « قسمت النار سبعين جزءا فللآمر تسع وستون وللقاتل جزء حسبه» والبزار والطبرانى: يخرج عنق من النار يتكلم بلسان طلق ذلق له عينان يبصر بهما وله لسان يتكلم به ، فيقول

لا بد تجزى ماصنعت من الدقيق و بالجليل
نم ماالستطعت على ذنو بك بالغدوّ و بالأصيل
إن كنت ترغب فى الجنا ن وظل مولاك الظليل

قال فى إكمال المعلم : اعلم أن الاجماع قد وقع على أن الكفار لاتنفعهم أعمالهم ولايثابون عليها بتخفيف عذاب ولا بنعيم لكنهم باضافة بعضهم إلى الكفر كبائر المعاصى وأعمال الشر وأذى المؤمنين يزدادون عذابا كما قال الله تعالى ـ ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين ـ فليس إذن عذاب أبى طالب كعذاب أبى جهل . وذكر عن الحسن أن آخر من يخرج من النار يقال له هناد عذب ألف عام ينادى : ياحنان يامنان ، فبكى

انى أمرت بمن جعـل مع الله إلهـا آخر وكل جبار عنيد ، وبمن قتل نفسا بغير حق فينطلق بهم قبل سائر الناس بخمسمائة عام . وابن حبان فى صحيحه « إذا أصبح إبليس بث جنوده فيقول من خذل اليوم مسلمـا ألبسته التاج قال فيجيء هذا فيقول لم أزل به حتى طلق امرأته فيقول يوشك أن يتزوج ، ويجيء هذا فيقول لم أزل به حتى أشرك بالله فيقول أنت أنت ويلبسه التاج ويجيء هذا فيقول لم أزل به حتى قتـل فيقول أنت أنت ويلبسه التاج » والبخارى « الذى يخنق نفسه يخنقها فى النار والذى يطعن نفسه يطعن نفسه فى النار والذى يقتحم يقتحم فى النار » والشيخان « من حلف على يمين بملة غـير الاسلام كاذبا متعمدا فهو كما قال ، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة وليس على رجـل نذر فيما لا يملك ولعن المؤمن كقتله ، ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله ومن ذبح نفسه بشيء عذب به يوم القيامة» وفى كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن « إن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الاشراك بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق » الحديث وروى عن أبى حازم أنه قال : شاهدت عمر بن عبد العزيز وقد رقد رقدة على أثر وجد وجده فبكى ، ثم ضحك فلما انتبه قال أبو حازم يا أمير المؤمنين ما الذى عراك فى منامك حتى ضحكت بعـد البـكا . قال أرأيت ذلك ؟ قلت نعم وجميع من حولك . قال رأيت كأن القيامة قد قامت وقد حشر الناس مائة وعشرين صفا أمة محمد منهم ثمانون صفا و إذا مناد ينادى أين عبد الله بن أبى قحافة فأجاب فأخذته الملائكة فأوقفوه أمام ربه عزّ وجلّ فحوسب حسابا يسيرا ثم نجا وأمر به و بصاحبه إلى الجنة ثم نودى بعليّ بن أبى طالب فجيء به فحوسب حسابا يسيرا ثم أمر به إلى الجنة . قال عمر بن عبد العزيز فلما قرب الأمر منى نودى أين عمر بن عبـد العزيز قال فتصببت عرقا ثم أخذتنى الملائكة فأوقفونى أمام الحق سبحانه وتعالى فسألنى عن النقير والقطمير وعن كل قضية قضيتها ، ثم غفر لى فأمر بى ذات اليمين فمررت بجيفة ملقاة فقلت للملائكة ماهـذه الجيفة فقالوا سله يجبك فتقدمت إليـه فسألته ووكزته برجلى فرفع رأسه وفتح عينيه ، فقلت من أنت ؟ فقال من أنت فقلت أنا عمر بن عبد العزيز . فقال لى مافعـل الله بك فقلت تفضل عليّ ورحمنى وفعل بى كما فعل بمن سلف من الأئمة ، فقال ليهنك ماصرت إليه ، فقلت له من أنت ؟ . فقال أنا الحجاج بن يوسف قدمت على الله عزّ وجـلّ فوجدته شديد العقاب والغضب فقتلنى بكل قتيل قتلة وقتلنى بسعيد بن جبير سبعين قتلة وها أنا بين يدى ربى أنتظر ماينتظر الموحدون من ربهم إما إلى الجنة و إما إلى النار .

[تنبيه] قد أجمع العلماء على أن تعمد قتل المكلف آدميا محترما بلا حق من أكبر الكبائر . وقال ابن عباس وأبو هريرة وابن عمر وحسن بن عليّ وزيد بن ثابت رضى الله عنهم : لاتقبل توبة قاتل المؤمن عمدا لكن ذهب أهل السنة إلى قبول توبته كالكافر ؛ بل أولى ولا يتحتم بل هو فى خطر المشيئة ولا يخلد وإن لم يتب وكلام الروضة وأصلها يدل على بقاء العقوبة الأخروية وإن وجد قود وكفارة .

باب الجهاد

قال الله تعالى ـ ياأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عـذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم و يدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومسا كن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز

الحسن وقال : ياليتنى كنت هنادا فتعجبوا منـه فقال : ويحكم ألبس يوما يخرج ولا شك أنه رحمه الله كان عالما بأحكام الآخرة . قال يحيي بن معاذ : لاتدرى أيّ المصيبتين أعظم أفوت الجنان أم دخول النيران ؟ أما الجنة فلاصبرعنها وأما النار فلا صبر عليها وعلى كل حال فوت النعيم أيسر من مقاساة الجحيم ثم الطامة الكبرى والمصيبة العظمى هى فى الخلود إذ أيّ قلب يحتمله وأيّ نفس تصبر عليه .

[فصل فى الجنة وما لأهلها من النعيم]

قال الله تعالى ـ و بشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ـ والسابقون أى إلى الهجرة أو الخير ـ السابقون

العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ـ وأخرج الشيخان وأبو داود عن أبي هريرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» وأبو داود وأبو يعلى عنه « الجهاد واجب عليكم » والشيخان وأبو داود عن أبى موسى الأشعرى « من قاتل لتكون كلة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » والشيخان عن أبى هريرة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أىّ العمل أفضل ؟ قال «إيمان بالله ورسوله ، قيل ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله ، قيل ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور » . وهما عنه : مثل المجاهد فى سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله كمثل الصائم القائم الدائم الذى لايفتر من صيام ولا صدقة حتى يرجع وتوكل الله للمجاهد فى سبيله إذ يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر وغنيمة . والديلمى عنه «ساعة فى سبيل الله خير من خمسين حجة» والطبرانى عن نعيم بن هبار « الشهداء الذين يقاتلون فى سبيل الله فى الصف الأوّل ولا يلتفتون بوجوههم حتى يقتلون فأولئك يلتقون فى الغرف العلى من الجنة يضحك إليهم ربك ، وإن الله تعالى إذا ضحك إلى عبده المؤمن فلا حساب عليه » والحاكم عن أبى هريرة «الجنة تحت ظلّ السيوف» والترمذى وابن ماجه عن المقدام بن معديكرب «للشهيد عند الله ستّ خصال يغفر له فى أوّل دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا ومافيها ويزوّج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من أقربائه» ومسلم والترمذى عن ابن مسعود « إن أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح فى الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة ، فقال هل تشتهون شيئا قالوا أىّ شىء نشتهى ، ونحن نسرح فى الجنة حيث نشاء يفعل بهم ذلك ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا . قالوا يارب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى ، قال إنه قد سبق أنهم إليها لايرجعون ، قالوا فأبلغ عنا إخواننا فأنزل الله تعالى ـ ولا تحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ـ » والطبرانى بسند رجاله ثقات عن عبد الله بن عمرو قال «إذا قتل العبد فى سبيل الله فأوّل قطرة تقع على الأرض من دمه يكفر الله ذنوبه كلها ثم يرسل الله بريطة من الجنة فيقبض فيها نفسه ويجد من الجنة حتى يركب فيه روحه ، ثم يعرج مع الملائكة كأنه كان معهم منذ خلقه الله حتى يؤتى به الرحمن فيسجد قبل الملائكة ، ثم تسجد الملائكة بعده ، ثم يغفر له ويطهر ، ثم يؤمر به إلى الشهداء فيجدهم فى رياض خضر وقباب من حرير وعندهم ثور وحوت يلعبانهم كل يوم بشىء لم يلعباه بالأمس يظل الحوت فى أنهار الجنة فيأكل من كل رائحة من أنهار الجنة ، فاذا أمسى وكزه الثور بقرنه فذكاه فأكلوا من لحمه ووجدوا فى طعم لحمه رائحة من ريح الجنة ويبيت الثور نافشا فى الجنة يأكل من ثمر الجنة ؛ فاذا أصبح غدا عليه الحوت فذكاه بذنبه فأكلوا من لحمه فوجدوا فى طعم لحمه كل ثمرة فى الجنة ينظرون إلى منازلهم يدعون الله بقيام الساعة » والعقيلى عن أبى هريرة « الشهداء عند الله على منابر من ياقوت فى ظل عرش الله يوم لا ظلّ إلا ظله على كثب من مسك فيقول لهم الرب ألم أوف لكم وأصدقكم فيقولون بلى وربنا » والأصبهانى عن عبد الله بن عمرو بن

أولئك المقرّبون فى جنات النعيم ثلة من الأوّلين وقليل من الآخرين على سرر موضونة ـ : أى منسوجة بالذهب مشبكة بالجواهر ـ متكئين عليها متقابلين ـ وجوه بعضهم إلى بعض ليس أحد وراء أحد ـ يطوف عليهم ولدان مخلدون ـ لايشيبون ولايتغيرون ـ بأكواب ـ جمع كوب إناء لاعروة ولا خرطوم له ـ وأباريق وكأس من معين لا يصدّعون عنها ولا ينزفون ـ أى لاينشأ عنها صداعهم ولا ذهاب عقلهم ـ وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ـ أى المصون عما يضرّبه ـ جزاء بما كانوا يعملون لايسمعون فيها لغوا ـ عبثا باطلا ـ ولا تأثيما ـ أى مايوقع فى الإثم ـ إلا قيلا سلاما سلاما ـ أى إلا التسليم منهم بعضهم

العاص : إن الله ليدعو الجنة يوم القيامة فتأتى بزخرفها وزينتها فيقول الله سبحانه وتعالى أين عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وجاهدوا ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير حساب فتأتى الملائكة فيقولون ربنا نحن نسبح بحمدك الليل والنهار ونقدّس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الربّ هؤلاء الذين قاتلوا فى سبيلى وجاهدوا فتدخل عليهم الملائكة من كل باب: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار . والطبرانى عن أنس « إذا وقف العبد للحساب جاء قوم واضعو سيوفهم على رقابهم تقطر دما فازدحموا على باب الجنة والناس فى الموقف ؟ فيقال من هؤلاء قيل الشهداء كانوا أحياء مرزوقين » وابن ماجه عن أبى هريرة « مامن مجروح يجرح فى سبيل الله ، والله أعلم بمن يجرح فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وجرحه كهيئته يوم جرح اللون لون دم والريح ريح مسك » ومسلم وأبو داود عنه « لايجتمع كافر وقاتله فى النار أبدا » والطبرانى « الشهيد لايجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم مسّ القرصة » وأبو الشيخ « عضة نملة أشدّ على الشهيد من مسّ السلاح بل هو أشهى عنده من شرب ماء بارد لذيذ فى يوم صائف» والطبرانى « من فاته الغزو معى فليغز فى البحر » وابن ماجه « غزوة فى البحر مثل عشر غزوات فى البرّ والذى يصدر فى البحر كالمتشحط فى دمه فى سبيل الله » وهو : يغفر لشهيد البرّ الذنوب كلها إلا الدين ؛ ولشهيد البحر الذنوب والدين . والطبرانى « أيما مسلم رمى فى سبيل الله فبلغ مخطئا أو مصيبا فله من الأجر كرقبة أعتقها من ولد اسمعيل وأيما رجل شاب فى سبيل الله فهو له نور وأيما رجل أعتق مسلما فكل عضو من العتق بعضو من المعتق فداء له من النار » والترمذى « مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا فى سبيل الله من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة» والطبرانى والحاكم والبيهقى : حرس ليلة فى سبيل الله عز وجل أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها » ومسلم : رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات أحد مرابطا جرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان . ومسلم وأبو داود «من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق» والترمذى « من لقى الله تبارك وتعالى بغير أثر من جهاد لقى الله تعالى وفى إيمانه ثلمة » ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه « من سأل الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه » والطبرانى «من أسلم على يديه رجل وجبت له الجنة » اللهم ارزقنا الشهادة بفضلك وأدخلنا الجنة بغير حساب برحمتك آمين . وروى رافع بن عبد الله عن هشام بن يحيي الكنانى أنه قال لى أحدثك حديثا رأيته بعينى وشهدته نفسى ونفعنى الله به فعسى أن ينفعك به . فقلت حدثنى يا أبا الوليد قال : غزونا أرض الروم فى سنة ثمان وثمانين وكان معنا رجل يقال له سعيد بن الحرث ذوحظ من العبادة يصوم النهار ويقوم الليل فان سرنا درس القرآن وإن أقمنا ذكر الله تعالى لجاءت ليلة خفنا فيها فخرجت أنا وإياه نحرس ونحن محاصرون عند حصن من الحصون استصعب علينا أمره فرأيت من سعيد من العبادة فى تلك الليلة وصبره على النصب ما تعجبت منه فلما طلع الفجر قلت له : يرحمك الله إن لنفسك عليك حقا فلو أرحتها فبكى . وقال يا أخى إنما هى أنفاس تعدّ وعمر يفنى وأيام تنقضى وأنا رجل أرتقب الموت وأبادر خروج نفسى . قال فأبكانى ذلك

على بعض ـ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ـ وهم الأبرار دون المقربين ـ فى سدر مخضود ـ أى لاشوك له أو مثنى الغصن من كثرة الحمل ـ وطلح ـ موز ـ منضود ـ مترا كم قد نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه ـ وظل ممدود ـ أى منبسط أو دائم وفى الحديث : إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ما يقطعها ـ وماء مسكوب ـ أى مصبوب يجرى على وجه الأرض من غير أخدود ـ وفاكهة كثيرة لامقطوعة ـ فى زمان ـ ولاممنوعة ـ من أحد ـ وفرش مرفوعة ـ كما بين السماء والأرض ـ وجوه يومئذ ناعمة ـ ذات بهجة ـ لسعيها ـ فى الدنيا ـ راضية ـ فى الآخرة لما رأت من ثوابها ـ فى جنة عالية ـ المحل أو القدر ـ لا تسمع فيها لاغية ـ لغوا

فقلت

فقلت له أقسمت عليك بالله إلا مادخلت الخباء واسترحت فدخل فنام وأنا جالس ظاهر الخباء فسمعت كلاما فى الخباء ، فقلت مافيه سواه فتقدمت قليلا فاذا به يضحك فى نومه ويتكلم فحفظت من كلامه يقول : ما أحب أن أرجع ، ثم مدّ يده اليمنى كأنه يلتمس شيئا ، ثم ردّها ردّا رفيقا وهو يضحك ، ثم وثب من نومه وهو ينتفض فاحتضنته إلى صدرى مليا وهو يلتفت يمينا وشمالا حتى سكن وعاد إليه فهمه وجعل يهلل ويكبر، فقلت ما الخبر ؟ قال نعم . قلت حدّثنى فقد سمعتك تقول ما أحب أن أرجع ورأيتك مددت يدك ثم رددتها ، فقال لا أخبرك فأقسمت عليه . قال أوتكتم عنى ماحييت قلت بلى . قال رأيت كأن القيامة قد قامت وخرج الخلق من قبورهم شاخصين منتظرين أمر ربهم ، فبينما أنا كذلك إذ أتانى رجلان لم أر أحسن منهما فسلما علىّ ، فرددت عليهما السلام فقالا لى ياسعيد أبشر فقدغفر ذنبك وشكر سعيك وقبل عملك واستجيب دعاؤك وعجل لك البشرى فانطلق معنا حتى نريك ما أعدّ الله لك من النعيم . قال فانطلقت معهما حتى أخرجانى عن جملة الموقف ، وإذا بخيل لايشبه خيل الدنيا إنما هو كالبرق الخاطف أو كهبوب الريح فركبنا وسرنا فانتهينا إلى قصر شاهق مايبلغ الطرف منتهاه كأنه صيغ من فضة وله نور يتلألأ . فلما وصلنا إليه فتح بابه من قبل أن نستفتح فدخلنا فرأينا شيئا لايبلغه وصف واصف ولا يخطر على قلب بشر وفيه من الحور والوصائف والولدان بعدد النجوم . فلما رأونا أخذوا فى ألوان من القول الحسن بأنغام مختلفة وقائل يقول هذا ولىّ الله قد جاء فرحبا به وأهلا فسرنا حتى انتهينا إلى مجالس ذات أسرة من ذهب مكللة بالجوهر محوطة بكراسى من ذهب وعلى كل كرسى منها جارية لايستطيع أحد من خلق الله أن يصفها وفى وسطهن واحدة عالية عليهن فى طولها وكمالها وجمالها . فقال الرجلان هذا منزلك وهؤلاء أهلك وهنا مثواك ، ثم انصرفا عنى ووثبت الجوارى بالترحيب والاستبشار كما يكون من أهل الغائب عند قدومه عليهن ، ثم حملونى حتى أجلسونى على السرير الأوسط إلى جانب الجارية فقلن هذه زوجتك ولك أخرى مثلها ، وقد طال انتظارنا لك فكلمتها وكلمتنى ، فقلت أين أنا قالت فى جنة المأوى . وقلت من أنت ؟ قالت أنا زوجتك الخالدة ، قلت فأين الأخرى قالت فى قصرك الآخر ، فقلت أقيم اليوم عندك وأتحوّل فى غد إلى الأخرى ، ثم مددت يدى فردّتها ردّا رفيقا ، وقالت أمااليوم فأنت راجع إلى الدنيا وستقيم ثلاثا ، فقلت ما أحب أن أرجع ، فقالت لابدّ من ذلك وستفطر عندنا بعد الثلاث ، ثم نهضت من مجلسها ، ثم نهضت لوداعها فاستيقظت . قال هشام فغلبنى البكاء ، وقلت هنيئا لك ياسعيد جدّد لله شكرا فقد كشف لك عن ثواب عملك ، فقال هل رأى أحد غيرك ما رأيت ؟ قلت لا ، فقال بالله اكتم عنى مادمت فى الحياة، ثم قام فتطهر ومسّ الطيب وأخذ سلاحه وسار إلى موضع القتال وهو صائم فقاتل إلى الليل ، ثم انصرف فتحدّث الناس بقتاله ، وقالوا ما رأيناه فعل مثل اليوم لقد كان يطرح نفسه تحت سهام العدوّ وحجارتهم وكل ذلك ينبو عنه ، فقلت فى نفسى لو يعلمون لتنافسوا فى مثل عمله ، ثم مكث قائما إلى آخر الليل ثم أصبح صائما فقاتل أشدّ من اليوم الأوّل ، ثم مكث قائما إلى آخر الليل ، ثم أصبح صائما فقاتل أبلغ من كل يوم . قال أبو الوليد : فانطلقت لأنظر ماذا يكون منه فلم يزل يلقى نفسه فى المهالك غالب النهار ولا يصل إليه شئ حتى إذا دنا غروب الشمس جاء سهم فى نحره فخرّ صريعا وأنا أنظر إليه فضجت الناس وبادروا إليه وأخذوه وجاءوا به يحملونه ، فلما

—فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة — رفيعة السمك إذا أراد أن يجلس عليها صاحبها تواضعت له ثم ترتفع — وأكواب موضوعة — بين أيديهم — ونمارق — وسائد — مصفوفة — بعضها بجنب بعض —وزرابىّ — بسط فاخرة — مبثوثة — مبسوطة . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله تعالى « أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » واقرءوا إن شئتم — فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين — قال أهل اللغة قرّة أعين يعبر بها عن المسرّة ورؤية مايحب الانسان ويوافقه . وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « إنّ فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها مائة سنة »

رأيته ، قلت له هنيئا ما تفطر عليه الليلة يا ليتنى كنت معك . قال فعض على شفتيه ، وهو يضحك ، ثم قال – الحمد لله الذى صدقنا وعده – ثم مات . قال هشام : فصحت ياعباد الله – لمثل هذا فليعمل العاملون – واسمعوا ما أخبركم عن أخيكم هذا فأقبل الناس فحدثتهم بالحديث على وجهه وما كان منه فما رأيت باكيا كالساعة ، ثم كبروا تكبيرة اضطرب لها العسكر وشاع الحديث وبلغ الخبر إلى مسلمة فجاء وقد وضعناه لنصلى عليه فقلت صل عليه أيها الأمير ، فقال بل يصلى عليه الذى عرف من أمره ماعرف فى موضعه وبات الناس يتحدثون به ، فلما طلع الصباح تذاكرنا حديثه فصاحوا صيحة وحملوا على العدو ففتح الله الحصن فى ذلك النهار ببركته رحمة الله عليه .

وحكى اليافعى عن الشيخ عبد الواحد بن زيد . قال : بينما نحن ذات يوم فى مجلسنا هذا قد تهيأنا للخروج إلى الغزو وقد أمرت أصحابى أن تهيئوا لقراءة آية فقرأ رجل فى مجلسنا – إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة – فقام غلام فى مقدار خمس عشرة سنة أونحو ذلك وقد مات أبوه وورثه مالا كثيرا ، فقال ياعبد الواحد بن زيد – إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة – فقلت نعم حبيبى ، فقال لى أشهدك أنى قد بعت نفسى ومالى بأن لى الجنة ، فقلت له إن حد السيف أشد من ذلك ، وأنت صبى ، وإنى أخاف أن لاتصبر وتعجز عن ذلك ، فقال ياعبد الواحد أبايع الله بالجنة ثم أعجز ، أنا أشهد الله أنى قد بايعته أوكما قال رضى الله عنه . قال عبدالواحد : فتقاصرت إلينا أنفسنا وقلنا صبى يعقل ونحن لا نعقل فخرج من ماله كله تصدق به إلا فرسه وسلاحه ونفقته ، فلما كان يوم الخروج كان أول من طلع علينا ، فقال السلام عليك ياعبدالواحد ، فقلت وعليك السلام ربح البيع ؛ ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل ويخدمنا ويخدم دوابنا ويحرسنا إذا نمنا حتى إذا انتهينا إلى بلاد الروم ؛ فبينما نحن كذلك إذا به قد أقبل وهو ينادى واشوقاه إلى العيناء المرضية ؛ فقال أصحابى لعله وسوس هذا الغلام واختلط عقله ؛ فقلت حبيبى وما هذه العيناء المرضية ، فقال إنى غفوت غفوة فرأيت كأنه أتانى آت . فقال لى اذهب إلى العيناء المرضية فهجم بى على روضة فيها نهر من ماء غير آسن وإذا على شط النهر جوار عليهن من الحلى والحلل مالا أقدر أن أصفه ؛ فلما رأينى استبشرن وقلن هذا زوج العيناء المرضية ، فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية فقلن نحن خدمها وإماؤها امض أمامك فمضيت أمامى ، فاذا بنهر من لبن لم يتغير طعمه فى روضة فيها من كل زينة فيها جوار لما رأيتهن افتتنت بحسنهن وجمالهن ، فلما رأيننى استبشرن بى وقلن والله هذا زوج العيناء المرضية ؛ فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية فقلن وعليك السلام يا ولى الله نحن خدمها وإماؤها فتقدم أمامك فتقدمت ؛ فاذا أنا بنهر من خمر وعلى شط الوادى جوار أنسيننى من خلفت ؛ فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية قلن لا نحن خدمها وإماؤها امض أمامك فمضيت أمامى ؛ فاذا بنهر آخر من عسل مصفى وجوار عليهن من النور والجمال ما أنسانى ماخلفت ؛ فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية فقلن ياولى الله نحن إماؤها وخدمها فامض أمامك فمضيت أمامى فوصلت إلى خيمة من درة بيضاء وعلى باب الخيمة جارية عليها من الحلى والحلل مالا أقدر أن أصفه فلما رأتنى استبشرت ونادت فى الخيمة أيتها العيناء المرضية هذا بعلك قد قدم . قال فدنوت من الخيمة ودخلت . فاذا هى قاعدة على سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت ؛ فلما رأيتها افتتنت بها وهى تقول مرحبا بك ياولى الرحمن قد

اقرءوا إن شئتم – وظل ممدود – ولقاب قوس أحدكم فى الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أوتغرب . وفى كتاب الترمذى : مافى الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب . وفى كتاب الترمذى عن أبى هريرة قال : قلت يارسول الله مم خلق الخلق؟ قال من الماء قلنا الجنة مابناؤها؟ قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت ولا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم . وفى صحيح مسلم قال : «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء إضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرىء منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم من الحسن

دنا لك القدوم علينا فذهبت لأعتنقها فقالت مهلا فانه لم يؤذن لك أن تعانقني لأن فيك روح الحياة وأنت تفطر الليلة عندنا . قال فانتبهت ياعبد الواحد ولا صبر لى عنها . قال عبد الواحد فما انقطع كلامنا حتى ارتفعت لنا سرية من العدوّ ، فحمل الغلام فعددت تسعة من العدو قتلهم وكان هو العاشر فمررت به وهو يتشحط فى دمه وهو يضحك ملء فيه حتى فارق الدنيا رضى الله عنه ونفعنا به آمين .

فصـــل فى الانفاق فى سبيل الله

قال الله تعالى - مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم - وأخرج ابن ماجه عن ثمانية من الصحابة قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أرسل بنفقة فى سبيل الله وأقام فى بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ، ومن غزا بنفسه فى سبيل الله وأنفق فى وجه ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم ثم تلا هذه الآية - والله يضاعف لمن يشاء » وعن زيد بن خالد الجهنى « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا » وأبوداود عن أبى أمامة « من لم يغز أو يجهز غازيا أو يخلف غازيا فى أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة » ومسلم عن أبى مسعود الأنصارى قال « جاء رجل بناقة مخطومة فقال هذه فى سبيل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة » والترمذى عن عبد الرحمن بن خباب قال « شهدت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحث على جيش العسرة فقام عثمان رضى الله عنه فقال يارسول الله علىّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله . ثم حض على الجيش فقام عثمان رضى الله عنه فقال يارسول الله علىّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله . ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال يارسول الله علىّ ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله فأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عن المنبر وهو يقول : ماعلى عثمان ماعمل بعد هذه ، ماعلى عثمان ماعمل بعد هذه » وأحمد عن عبد الرحمن بن سمرة قال « جاء عثمان بن عفان رضى الله عنه بألف دينار فى كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها فى حجره وهو يقول : ماضرّ عثمان ماعمل بعد اليوم ، يرددها مرارا » وعن قتادة أنه قال : حمل عثمان فى جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا . وعن حذيفة « بعث النبى صلى الله عليه وسلم إلى عثمان فى جيش العسرة فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار فصبت بين يديه فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول بيده ويقلبها ظهرا لبطن و يقول : غفر الله لك ياعثمان ما أسررت وما أعلنت وماهو كائن إلى يوم القيامة مايبالى الله ماعمل بعدها » وعن أنس قال : بينا عائشة فى بيتها إذ سمعت رجة فقالت ماهذا ؟ قالوا عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شئ وكانت سبعمائة بعير فارتجت المدينة من الصوت ، فقالت عائشة رضى الله عنها : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قد رأيت عبد الرحمن يدخل الجنة حبوا ، فبلغ عبد الرحمن فقال إن استطعت لأدخلنها قائما فجعلها بأحمالها وأقتابها فى سبيل الله عز وجل . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : من فدى أسيرا من أيدى العدو فأنا ذلك الأسير .

يسبحون الله بكرة وعشيا لايسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين ورشحهم المسك على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء وفيه قال يا كل أهل الجنة فيها و يشربون ولا يتفلون ولايبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون . قالوا فمابال الطعام ؟ قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس . وفى الصحيحين قال « إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كمايتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل مابينهم قالوا يارسول الله تلك منازل الأنبياء لايبلغها غيرهم . قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا

فصل فى الفرار من الزحف

قال الله تعالى – ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرّفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير – وأخرج الشيخان عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اجتنبوا السبع الموبقات : أى المهلكات ، قيل يارسول الله وماهن ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرّم الله إلابالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » وأحمد « من لقى الله عز وجل لايشرك به شيئا وأدى زكاة ماله طيبة بها نفسه محتسبا وسمع وأطاع فله الجنة أودخل الجنة . وخمس ليس لهن كفارة : الشرك بالله وقتل النفس بغيرحق و بهت مؤمن والفرار من الزحف و يمين صابرة يقتطع بها مالابغير حق » والطبرانى « ثلاثة لاينفع معهنّ عمل : الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف » وأخرج أحمد والبزار «الفارّ من الطاعون كالفارّ من الزحف ومن صبر فيه كان له أجرشهيد » والشيخان عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذاسمعتم بالطاعون بأرض فلاتدخلوها عليه و إذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها فرارا منه» .

[تنبيه] إن الفرار من الزحف : أى من كافرأو كفار لم يزيدوا على الضعف لغير تحرّف لقتال أو تحيز إلى فئة يستنجد بها من الكبائرالمهلكة .

فصل فى الغلول

قال الله تعالى – وما كان لنبىّ أن يغلّ ومن يغلل يأت بماغل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون – وأخرج الطبرانى عن المستورد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ردوا المخيط والخياط من غلّ مخيطا أو خياطا كلف يوم القيامة أن يجئ به وليس بجاء » وأبوداود والحاكم « إذا وجدتم الرجل قد غلّ فأحرقوا متاعه واضربوه » والطبرانى « لايغلّ مؤمن » ومسلم عن عمر : لما كان يوم خيبر قتل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد ، فقال صلى الله عليه وسلم: كلا إنى رأيته فى النار فى بردة غلها أو عباءة غلها . ثم قال صلى الله عليه وسلم ياابن الخطاب اذهب فناد فى الناس أنه لايدخل الجنة إلا المؤمنون ثلاثا . قال فخرجت فناديت ألاإنه لايدخل الجنة إلا المؤمنون ثلاثا . وأبوداود والطبرانى « أتى صلى الله عليه وسلم بنطع من الغنيمة فقيل يارسول الله هذا لك تستظل به من الشمس ، قال أتحبون أن يستظل نبيكم بظلّ من نار يوم القيامة » وأبو داود « من كتم على غالّ فهو مثله » والطبرانى « إن لم تغل أمتى لم يقم لهم عدوّ أبدا » قال أبو ذر لحبيب بن مسلمة : هل يثبت لكم العدوّ حلب شاة ؟ قال نعم وثلاث شياه غزر . قال أبوذرّ غللتم وربّ الكعبة . وأحمد والنسائى « من غزا فى سبيل الله ولم ينو إلا عقالا فله ما نوى » وأبوداود عن أبى هريرة أن رجلا قال يارسول الله رجل يريد الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغى غرضا من أغراض الدنيا فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا أجر له فأعظم ذلك الناس وقالوا للرجل عد لرسول الله صلى الله عليه وسلم لعلك أن لاتفهمه ، فقال يارسول الله رجل يريد الجهاد فى سبيل الله

بالله وصدقوا المرسلين » وفى مسند البزار عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه فيجىء مشويا بين يديك » وفى كتاب الترمذى عن علىّ رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فى الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها و بطونها من ظهورها فقام إليه أعرابى فقال لمن هى يارسول الله فقال هى لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام » وفى كتاب الترمذى عن سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لو أن مايقل ظفر مما فى الجنة بدا لتزخرف له ما بين خوافق السموات والأرض ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوؤه ضوء الشمس

وهو يبتغي غرضا من أغراض الدنيا . قال : لا أجر له . فقالوا للرجل عد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الثالثة فقال لا أجر له .

[تنبيه] إن الغلول هو اختصاص أحد الغزاة سواء الأمير وغيره بشيء من مال الغنيمة قبل القسمة من غير أن يحضره إلى أمير الجيش ليخمسه ويقسمه قسمة شرعية وإن قلّ المأخوذ فهو حرام بل هو كبيرة كما صرحوا به .

[فائدتان : إحداهما] أنه إذا حصل شيء من الغنيمة بيد أحد من الجند فإن لم يخمس ولم يقسم الباقي قسمة شرعية وجب الخمس في الذي صار إليه ولا يحلّ له الانتفاع بالباقي حتى يعلم أنه حصل لكل من الغانمين بقدر حصته من هذا ، فإن تعذر صرف ما صار إليه إلى مستحقه دفعه إلى القاضي العدل كسائر الأموال الضائعة فإلى عالم موثوق به وأعامه الحال ليصرفه إلى مصارفه . وثانيتهما أنه قال بعضهم كما يحرم الغلول من الغنيمة يحرم الغلول من الأموال المشتركة بين المسلمين ومن بيت المال والزكاة فلا فرق في غال الزكاة بين أن يكون من مستحقيها وغيرهم ، لأن الظفر ممنوع فيها إذ لابدّ فيها من النية بل لو أفرز من المال قدرها ونوى لم يجز الظفر أيضا لتوقف ذلك على إعطاء المالك ، فعند عدم إعطائه يتعذر الملك فكان باقيا على ملك مالكه حتى يعطيه فاتضح امتناع الظفر في مال الزكاة مطلقا .

باب الكهانة والعرافة والطيرة والتنجيم والسحر

وإتيان أصحابها

أخرج البزار عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم : من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم . والطبراني من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد برئ مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن أتاه غير مصدق له لم يقبل له صلاة أربعين يوما . وهو: من أتى كاهنا فسأله عن شيء حجبت عنه التوبة أربعين ليلة فإن صدقه بما قال فقد كفر. وهو أيضا : من أتى عرافا أو ساحرا أو كاهنا يؤمن بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم . ومسلم: من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم يقبل الله له صلاة أربعين يوما . وأبو داود وابن ماجه: من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد . والشيخان عن أبي هريرة : اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا يارسول الله وماهنّ ؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات . والنسائي عنه: من عقد عقدة ، ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق بشيء يوكل إليه ، أي من علق على نفسه الحروز والعوذ يوكل إليه . وأحمد عن عثمان بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان لداود نبي الله ساعة يوقظ فيها أهله يقول يا آل داود قوموا فصلوا فإن هذه الساعة يستجيب الله فيها الدعاء إلا لساحر أو عاشر.

كما تطمس الشمس ضوء النجوم » وفي كتاب الترمذي عن عليّ رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن في الجنة لسوقا مجتمعا ما فيها شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها . وفي كتاب الترمذي عن سليمان ابن بريدة عن أبيه أن رجلا قال يارسول الله هل في الجنة من خيل؟ قال إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك في الجنة حيث شئت إلا حملت وسأله رجل فقال يارسول الله هل في الجنة من إبل؟ فقال إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك وفي كتاب الترمذي قال صلى الله عليه وسلم من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاث وثلاثين في الجنة

[تنبيه] الكهانة : هى الاخبار عن المغيبات فى مستقبل الزمان وادّعاء الغيب وزعم أن الجنّ تخبره بذلك . والعرافة : هى ادّعاء معرفة السارق ومكان الضالة . والطيرة هى التشاؤم بالشىء . والتنجيم هو ادّعاء المنجم معرفة الحوادث الآتية فى مستقبل الزمان كمجىء المطر والسيل وهبوب الريح وتغير الأسعار ونحو ذلك ، وهو يزعم أنه يدرك ذلك بسير الكواكب لاقترانها وافتراقها وظهورها فى بعض الأزمان ، وهذا علم استأثر الله تعالى به لايعلمه أحد غيره فمن ادّعى علمه بذلك فهو فاسق بل ربما يؤدّى ذلك إلى الكفر . والسحر تخييل يؤثر فى الأبدان بالأمراض والجنون والموت فكل ماذكر حرام إجماعا ، بل هو من الكبائر اتفاقا يكفر فى بعض الأحوال . وقال الشافعى : إنّ القتل بالسحر يوجب القصاص على من قتل به . وقال أبو حنيفة رضى الله عنه : إن الساحر يقتل مطلقا إذا علم أنه ساحر باقراره أو بينة تشهد أنه ساحر ويصفونه بصفة يعلم أنه ساحر ولا يقبل قوله أترك السحر وأتوب عنه . وسئل أبو حنيفة لم لم يكن الساحر بمنزلة المرتدّ حتى تقبل توبته ؟ فقال لأنه جمع مع كفره السعى فى الأرض بالفساد ومن كان كذلك يقتل مطلقا . وروى أن امرأة أتت عائشة رضى الله عنها فقالت أنا ساحرة هل لى من توبة ؟ قالت وماسحرك ؟ فقالت سرت إلى الموضع الذى فيه هاروت وماروت أطلب علم السحر ، فقالا : يا أمة الله لا تختارى عذاب الآخرة بأمر الدنيا فأبيت ، فقالا لى اذهبى فبولى على ذلك الرماد ، فذهبت لأبول ففكرت فى نفسى فقلت لافعلت وجئت إليهما ، فقلت قد فعلت فقالا لى مارأيت لمافعلت . فقلت مارأيت شيئا فقالالى فاتقى الله ولا تفعلى ، فأبيت فقالا لى اذهبى فافعلى فذهبت وفعلت فرأيت كأن فارسا مقنعا بالحديد خرج من فرجى فصعد إلى السماء فجئتهما فأخبرتهما . فقالا ذاك إيمانك خرج منك وقد أحسنت السحر . قلت وما هو ؟ قالا لاتريدين بشىء فتصوريه فى وهمك إلا كان فتصوّرت نفسى حبا من حنطة فاذا أنا بحب . فقلت انزرع فانزرع فخرج من ساعته سنبلا . فقلت انطحن فانطحن من ساعته والخبز وأنا لاأريد شيئا أصوّره فى نفسى إلا حصل . فقالت عائشة رضى الله عنها : ليس لك توبة . وروى سفيان عن عامر الذهبى : أن ساحرا كان عند الوليد بن عقبة يمشى على الحبل ويدخل فى است الحمار ويخرج من فيه فاستلّ جندب سيفه وقتله به وهو جندب بن كعب الأزدى وهو الذى قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حقه : يكون فى أمتى رجل يقال له جندب يضرب ضربة بالسيف يفرق بها بين الحق والباطل . فكانوا يرونه جندبا هذا قاتل الساحر .

باب الزنا

قال الله تعالى — ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا — ، وقال الله تعالى — والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرّم الله إلا بالحقّ ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما — أى عقوبة . قال مجاهد : هو اسم واد فى جهنم وقيل بئر فيها — يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب — . وقال — الزانية والزانى فاجلدوا كلّ واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله — أى فى حكمه — إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين — هذا فى غير المحصن . أما المحصن فيرجم إلى أن يموت لما ثبت فى الخبر الصحيح . وأخرج الشيخان وأحمد والترمذى والنسائى عن ابن مسعود قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أىّ الذنب أعظم عندالله ؟ قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك ، قلت إن ذلك

لايزيدون عليها أبدا وكذلك أهل النار وقال إن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها لتضىء ما بين المشرق والمغرب . وفى كتاب الترمذى قال صلى الله عليه وسلم « إن فى الجنة مائة درجة ما بين كلّ درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة منها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش ، فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس . وحكى أن أصحاب الثورى كلموه فيما كانوا يرون من خوفه واجتهاده ورثة حاله ، فقالوا ياأستاذلو نقصت من هذا الجهد نلت مرادك أيضا إن شاء الله تعالى فقال سفيان كيف لاأجتهدوقد بلغنى أن أهل الجنة يكونون فى منازلهم فيتجلى لهم نور يضىء له الجنان الثمان فيظنون أن ... نور من جهة الرب سبحانه وتعالى

لعظيم قلت : ثم أىّ ؟ قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت : ثم أىّ ؟ قال أن تزانى حليلة جارك . وأبو داود والترمذى « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » زاد النسائى « فإذا فعل ذلك خلع ربقة الايمان من عنقه فان تاب تاب الله عليه » وأبو داود والبيهقى والترمذى « إذا زنى الرجل خرج منه الايمان وكان عليه كالظلة فاذا أقلع رجع إليه الايمان » والحاكم « من زنى أو شرب الخمر نزع منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه » وأبو داود والنسائى « لايحل دم امرىء مسلم يشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا فى إحدى ثلاث : زنا بعد إحصان فانه يرجم ، ومن خرج محاربا لله ورسوله فانه يقتل أو يصلب أو ينفى من الأرض ، ومن يقتل نفسا فيقتل بها » وابن أبى الدنيا « مامن ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل فى رحم لايحل له » وابن حبان فى صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قال « تعبد عابد من بنى إسرائيل فعبد الله فى صومعته ستين عاما فأمطرت الأرض فاخضرّت فأشرف الراهب من صومعته ، فقال : لو نزلت فذكرت الله تعالى فازددت خيرا فنزل ومعه رغيف أورغيفان فبيناهو فى الأرض لقيته امرأة فلم يزل يكلمها وتكلمه حتى غشيها ، ثم أغمى عليه ثم مات ، فوزنت عبادة ستين سنة بتلك الزنية فرجحت الزنية بحسناته » والبزار « إن السموات السبع والأرضين السبع ليلعنّ الشيخ الزانى ، وإن فروج أهل النار ليؤذى أهل النار نتن ريحها » والخرائطى وغيره « المقيم على الزنا كعابد وثن » أعاذنا الله منه . وأبو داود « من جامع المشركة وسكن معها فانه مثلها » والبخارى « رأيت الليلة رجلين فأتيانى فأخرجانى إلى الأرض المقدّسة ، فذكر الحديث إلى أن قال : فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع تتوقد تحته نار ، فاذا ارتفعت ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا فاذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة » الحديث وفى آخره « فأما الرجال والنساء العراة الذين هم فى مثل بناء التنور فانهم الزناة والزوانى » وابن أبى الدنيا والخرائطى عن علىّ كرّم الله وجهه قال : إن الناس يرسل عليهم يوم القيامة ريح منتنة حتى يتأذى منها كلّ برّ وفاجر حتى إذا بلغت منهم كلّ مبلغ ناداهم مناد يبلغهم الصوت فيقول لهم هل تدرون هذه الريح التى قد آذتكم ؟ فيقولون لاندرى والله إلا أنها قد بلغت منا كل مبلغ فيقال إنها ريح فروج الزناة الذين لقوا الله بزناهم ولم يتوبوا منه ، ثم ينصرف عنهم . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم « إن إبليس يبث جنوده فى الأرض ويقول أيكم أضلّ مسلما ألبسه التاج على رأسه فأعظمهم فتنة أقربهم إليه منزلة فيجىء أحدهم فيقول لم أزل بفلان حتى طلق امرأته فيقول ماصنعت شيئا سوف يتزوج غيرها ، ثم يجىء الآخر فيقول لم أزل بفلان حتى ألقيت بينه وبين أخيه العداوة فيقول ماصنعت شيئا سوف يصالحه ثم يجىء الآخر فيقول لم أزل بفلان حتى زنى ، فيقول إبليس نعم مافعلت فيدنيه منه ويضع التاج على رأسه » نعوذ بالله من شرّ الشيطان وجنوده . وعنه أيضا « إن فى جهنم واديا يقال له جب الحزن فيه حيات وعقارب ، كل عقرب تعدل البغل لها سبعون شوكة فى كل شوكة راوية سمّ تضرب الزانى وتفرغ سمها فى جسمه يجد مرارة وجعها ألف سنة ، ثم يتهرى لحمه ويسيل من فرجه القيح والصديد » وورد « إن فى الزبور مكتوبا : إن الزناة يعلقون بفروجهم فى النار ويضربون عليها بسياط من حديد ، فاذا استغاث أحدهم من الضرب نادته الزبانية أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولاتراقب الله ولاتستحى منه » وورد أيضا « إن من زنى بامرأة مزوّجة كان

فيخرّون ساجدين فينادون أن ارفعوا رءوسكم ليس الذى تظنون إنما هو نور جارية تبسمت فى وجه صاحبها ثم أنشد يقول :

ما ضر من كانت الفردوس مسكنه
ماذا تحمل من بؤس وإقتار
تراه يمشى كئيبا خائفا وجلا
إلى المساجد يمشى بين أطمار
يانفس مالك من صبر على النار
قد حان أن تقبلى من بعد إدبار

وقيل لوهب بن منبه : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال بلى ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان فان جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك ذكره البخارى فى صحيحه . وروى أن الله عز وجل أوحى إلى موسى : ما أقلّ حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل كيف أجود برحمتى على من يبخل بطاعتى . وعن شهر

عليه وعليها فى القبر نصف عذاب هذه الأمة فاذا كان يوم القيامة يحكم الله تعالى زوجها فى حسناته هذا إذا كان بغير علمه فان علم وسكت حرّم الله عليه الجنة لأنّ الله تعالى كتب على بابها إنك حرام على الديوث وهو الذى يعلم الفاحشة فى أهله ويسكت ولا يغار » وورد أيضا: إن من وضع يده على امرأة لاتحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه فان قبلها قرضت شفتاه فى النار فان زنى بها نطقت فخذاه وشهدت عليه يوم القيامة وقالت أنا للحرام ركبت فينظر الله إليه بعين الغضب فيقع لحم وجهه فيكابر ويقول مافعلت فيشهد عليه لسانه ويقول أنا بما لا يحلّ لى نطقت وتقول يداه أنا للحرام تناولت وتقول عينه أنا للحرام نظرت وتقول رجله أنا لمالايحل لى مشيت ويقول فرجه أنا فعلت ويقول الحافظ من الملائكة وأنا سمعت ويقول الملك الآخر وأنا كتبت ويقول الله تعالى وأنا اطلعت وسترت ، ثم يقول : ياملائكتى خذوه ومن عذابى فأذيقوه قد اشتدّ غضبى على من قلّ حياؤه منى .

[تنبيه] الزنا أكبر الكبائر بعد القتل إجماعا ، ومن ثم قرنه تعالى بالشرك والقتل فى الآية السابقة . وقيل هو أكبر من القتل فهو الذى يلى الشرك ، وأفحش أنواعه الزنا بحليلة الجار ويكفر مستحله ومن تمنى أن لايحرم .

واعلم أنّ حدّ الزانى المحصن الرجم فقط إلى أن يموت ، والمحصن هنا الواطئ أو الموطوء فى القبل فى نكاح صحيح ولو مرة فى عمره ، ويجوز للمضطر قتله وأكله كتارك الصلاة بلاعذر ولاقصاص على من قتلهما وحدّ غيره جلد مائة وتغريب عام ولاء إن كان حرا ، ومن زنى بكرا ثم محصنا يجلد ثم يرجم ، وحدّ من فيه رقّ وتغريبه نصف الحرّ . وروى عن عمرو بن ميمون قال : كنت فى حرث فرأيت قرودا كثيرة قد اجتمعن فرأيت قردة وقردا اضطجعا ، ثم أدخلت القردة يدها تحت عنق القرد واعتنقها وناما فجاء قرد آخر فغمزها فنظرت إليه واستلت يدها من تحت رأس القرد ثم انطلقت معه غير بعيد فنكحها وأنا أنظر ، ثم رجعت إلى موضعها فذهبت تدخل يدها تحت عنق القرد فانتبه فشمّ دبرها . قال فاجتمعت القردة فجعل يشير إليها فتفرقت القردة فلم ألبث أن جىء بذلك القرد بعينه أعرفه فانطلقوا بها وبه إلى موضع كثير الرمل فحفروا لهما حفرة فجعلوهما فيها ثم رجموهما حتى ماتا . وعن ابن عباس أنه قال : كان فى بنى إسرائيل راهب متفرّد فى صومعته دهرا طويلا وكان ملك يأتيه كل يوم غدوا وعشيا ويقول له ألك حاجة وأنبت الله له فى الحجر فوق صومعته كرما يحمل له فى كل يوم قطفا من العنب ، وكان إذا عطش مدّ يده فيسكب فيها الماء من الهواء ، فبينما هو كذلك إذا هو بامرأة ذات حسن وجمال مع العشاء فنادته يا راهب أسألك بحقّ المعبود إلا مابيتنى عندك الليلة فان مكانى بعيد فقال اصعدى ، فلما صارت عنده رمت ثوبها وقامت عريانة تجلو نفسها فغطى وجهه ثم قال لها ويلك استترى فقالت والله لابدّ لى منا أن تمتع الليلة بى . فقال لنفسه ماتقولين فقالت اتقّ الله ، فقال لها ويحك تريدين أن تذهبى بعبادتى وتذيقينى سرابيل القطران ومقطعات النيران ، وأخاف عليك من نار لا تطفأ وعذاب لا يفنى ، وأخاف أن يغضب ربنا فلا يرضى فراودته نفسه فقال لها : أعرض عليك نارا صغيرة فاذا صبرت عليها متعتك الليلة ، فقام وملأ السراج زيتا وغلظ فتيلته والمرأة تسمع وتبصر ، ثم أخذ أصبعيه فأدخلهما فى السراج فصاح بها ملك من السماء أحرق إبهامه فأكلت إبهامه ، ثم رجعت إلى السبابة فأكلتها ثم كذلك حتى أكلت يده فصاحت المرأة صيحة فماتت فسترها بثوبها وقام إلى الصلاة ، فلما أصبح وقف إبليس عند صومعته وصرخ به فى المدينة : إن الراهب قد زنى بفلانة وقتلها فركب ملك المدينة فى

بملكته

ابن حوشب : طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لايطاع حمق وخذلان وعن رابعة البصرية أنها كانت تنشد :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تجرى على اليبس

وقال الشيخ اليافعى رحمة الله عليه :

فيا عجبا ندرى بنار وجنة
وليس لذى نشتاق أو تلك نحذر
إذا لم يكن خوف وشوق ولاحيا
فماذا بقى فينا من الخير يذكر
ولسنا لحرّ صابرين ولا بلى
فكيف على النيران ياقوم نصبر
وفوت جنان الخلد أعظم حسرة
على تلك فليتحسر المتحسر
فأفّ لنا أفّ كلاب مزابل

بمسكنه وصاح به فأجابه فقال أين فلانة ؟ فقال عندى ، فقال قل لها هل تنزل قال إنها ماتت . قال فارضيت بالزنا حتى قتلتها فخربوا الدير وهدموا الصومعة وجعلوا فى رقبته حبلا وحملت المرأة وجىء بالرجل إلى موقف العذاب وكان القوم يشترون الزانى والزانية بالمناشير ويده ملفوفة فى كمه لايعلمهم ولايحدثهم بقصته فوضع المنشار على رأسه ، وقال لأصحاب العذاب جروا فجروا و بلغ إلى عنقه فتأوه فأوحى الله إلى جبريل : أن قل له لا تنطق بها أنا أنظر إليك فقد أبكيت حملة العرش وسكان سمواتى ، وعزتى وجلالى لئن تأوهت ثانية لأهدمن السموات ولأخسفن بمن فى الأرض . قال ابن عباس فرد الروح فى المرأة فقامت وقالت والله هو مظلوم ومازنى بى وماقتلنى وأنابخاتم ربى ، ثم قصت عليهم القصة فأخرجوا يده فاذاهى محرقة فقالوا لوعلمنا مانشرناك وخر ميتا وخرت المرأة ميتة فحفروا لهما قبرا فوجدوا فيه مسكا وكافورا ثم غسلوهما وكفنوهما وصلوا عليهما ودفنوهما فنادى مناد من السماء : إن الله تعالى قد نصب الميزان تحت العرش وأشهد ملائكته أنى زوجته خمسين ألف عروس من الفردوس وهكذا أفعل بأهل المراقبة نفعنا الله به .

وحكى عن الحسن قال : كانت امرأة بغى فى زمن بنى إسرائيل لها ثلث الحسن لا تمكن من نفسها إلابمائة دينار وأنه أبصرها عابد فأعجبته فذهب وعمل بيده وعالج فجمع مائة دينار ، ثم جاء اليها وقال إنك أعجبتينى فانطلقت فعملت بيدى وعالجت حتى جمعت مائة دينار . فقالت ادخل فدخل وكان لها سرير من ذهب فجلست على سريرها ثم قالت له هلم ، فلما جلس منها مجلس الرجل من المرأة ذكر مقامه بين يدى الله الرقيب لأعمال العباد فأخذته رعدة فقال لها اتركينى أخرج ولك المائة دينارقالت مابدا لك وقد زعمت أنى أعجبتك ، فلما قدرت على فعلت الذى فعلت قال فزعا من الله ومن مقامى بين يديه وقد غضب على فأنت أبغض الناس إلى فقالت إن كنت صادقا فمالى زوج غيرك فقال دعينى أخرج ، فقالت له لاإلاأن تجعل لى أنك تتزوج بى ، قال أفعل فتقنع بثوبه ثم خرج إلى بلده فارتحلت نادمة على ما كان منها حتى قدمت بلده فسألت عن اسمه ومنزله فدلت عليه وكانت تعرف بالملكة ، فقيل له إن الملكة قد جاءت ، فلمارآها شهق شهقة فمات رحمه الله . قال فسقطت فى يدها وقالت أما هذا فقد فاتنى هل له من قريب ؟ قالوا له أخ رجل فقير ، قالت فأنا أتزوج به حبا لأخيه فتزوجته فيسر الله تعالى منه سبعة أنبياء (١) .

وحكى اليافعى : أنه كان شاب فى بنى إسرائيل لم ير فى زمانه أحسن منه وكان يبيع القفاف ، فبينما هو ذات يوم يطوف بقفافه إذ خرجت امرأة من دار ملك من ملوك بنى إسرائيل ، فلما رأته رجعت مبادرة ، فقالت لابنة الملك إنى رأيت شابا بالباب يبيع القفاف لم أر شابا أحسن منه فقالت لها أدخليه فخرجت إليه وقالت يافتى ادخل معى نشتر منك فدخل فأغلقت الباب دونه ثم دخل بابا آخر فكذلك حتى أغلقت عليه ثلاثة أبواب ثم استقبلته بنت الملك كاشفة عن وجهها ونحرها . فقال اشتروا حاجتكم فقالت إنا لم ندعك لهذا إنما دعوناك لكذا يعنى تراوده عن نفسه . فقال لها اتقى الله . قالت إن لم تطاوعنى على ما أريد أخبرت الملك أنك إنما دخلت على تكابرنى عن نفسى فوعظها فأبت فقال ضعوا لى وضوءا فقالت ياجارية ضعى له وضوءا فوق الجوشق مكانالايستطيع أن يفر منه . قال وكان من فوق الجوشق إلى الأرض أربعون ذراعا ، فلما صار فى أعلى الجوشق

(١) عهر الأمهات محال أن يكون فى حق الأنبياء ، فانه عارلايمحوه شىء ، وفى الكتاب حكايات تماثل هذه فى عدم الصحة فليتنبه لها اه مصححه .

إلى ثنتها تغدو ولا تدبر
نبيع خطيرا بالحقير عماية
وليس لنا عقل وقلب منور
فطوبى لمن يؤتى القناعة والتقى
وأوقاته فى طاعة الله يعمر
اللهم اجعلنا من المتقين الوارثين للجنة ولا تحرمنا من رفدك ورحمتك ياعظيم المنة
[فصل فى صفة الحور العين] قال الله تعالى — وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون — وقال تعالى — كأنهن الياقوت والمرجان — وقال — إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين — وفى صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا فى كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون

قال اللهم إنى دعيت إلى معصيتك و إنى أختار أن أرمى بنفسى من الجوشق ولا أرتكب المعصية ، ثم قال بسم الله وألقى نفسه من أعلى الجوشق فأهبط الله إليه ملكا من الملائكة فأخذ بضبعيه فوقع قائما على رجليه ، فلما صار فى الأرض قال : اللهم إن شئت رزقتنى رزقا تغننى به عن بيع هذه القفاف فأرسل الله إليه جرادا من ذهب فأخذ منه حتى ملأ ثوبه فلما صار فى ثوبه قال : اللهم إن كان هذا رزقا رزقتنيه فى الدنيا فبارك لى فيه قال فنودى إن هذا الذى أعطيتك جزء من خمسة وعشرين جزءا من أجر صبرك على إلقائك نفسك من هذا الجوشق ، فقال اللهم لا حاجة لى فيما ينقص مما لى عندك فى الآخرة فرفع ذلك منه ، وقيل للشيطان هلا أغويته ؟ يعنى بارتكاب الفاحشة فقال كيف أقدر أغوى من بذل نفسه لله . رضى الله عنه ونفعنا به .

وحكى أيضا عن بعض الصالحين قال : بينما أنا أطوف بالكعبة إذا بجارية على عنقها طفل صغير وهى تنادى يا كريم يا كريم عهدك القديم قال فقلت لها ما هذا العهد الذى بينك وبينه ؟ قالت ركبت فى سفينة ومعنا قوم من التجار فعصفت بنا ريح فغرقت السفينة وجميع من فيها ولم ينج منهم أحد غيرى وهذا الطفل فى حجرى وأنا على لوح ورجل أسود على لوح آخر، فلما أضاء الصبح نظر الأسود إلىّ وجعل يدافع الماء بيده حتى لصق بى ، واستوى معنا على اللوح وجعل يراودنى عن نفسى ، فقلت يا عبد الله أما تخاف الله ونحن فى بلية لا نرجو الخلاص منها بطاعته فكيف بمعصيته ، فقال دعى عنى هذا فوالله لا بد لى من هذا الأمر قالت وكان هذا الطفل نائما فى حجرى فقرصته فاستيقظ وبكى فقلت يا عبد الله دعنى أنوم هذا الطفل ويكون من أمرنا ما قدر الله فمد الأسود يده إلى الطفل ورمى به فى البحر فرمقت إلى السماء بطرفى وقلت : يا من يحول بين المرء وقلبه حل بينى وبين هذا الأسود بحولك وقوتك إنك على كل شىء قدير فوالله ما استوعبت الكلمات حتى ظهرت دابة من دواب البحر ففتحت فاها والتقمت الأسود وغاصت به فى البحر وعصمنى الله منه بحوله وقدرته وهو القادر على ما يشاء سبحانه وتعالى ، قالت ومازالت الأمواج تدافعنى حتى رمتنى إلى جزيرة من جزائر البحر ، فقلت فى نفسى آكل من بقلها وأشرب من مائها حتى يأتى الله بأمره فلا فرج لى إلا منه فمكثت أربعة أيام ، فلما كان فى اليوم الخامس لاحت لى سفينة فى البحر على بعد فعلوت على تل وأشرت إليهم بثوب كان علىّ فخرج إلىّ منهم ثلاثة أنفس فى زورق فركبت معهم فلما دخلت السفينة الكبرى إذا بالطفل الذى رمى به الأسود فى البحر عند رجل منهم فلم أتمالك أن ترامیت عليه وقبلت بين عينيه وقلت والله ولدى وقطعة من كبدى ، فقال لى أهل السفينة أمجنونة أنت أم خبل عقلك فقلت والله ما أنا بمجنونة ولا خبل عقلى ولكن خبرى كيت وكيت وذكرت لهم القصة إلى آخرها فلما سمعوا ذلك منى أطرقوا رءوسهم وقالوا يا جارية قد أخبرتنا بأمر تعجبنا منه ونحن أيضا نخبرك بأمر تعجبين منه : بينما نحن نجرى بريح طيبة إذ بدابة قد اعترضتنا ووقفت أمامنا وهذا الطفل على ظهرها وإذا مناد ينادى إن لم تأخذوا هذا الطفل من على ظهرها وإلا هلكتم ، فصعد واحد على ظهرها وأخذ الطفل فلما دخل به فى السفينة غاصت الدابة فى البحر وقد تعجبنا من هذا ومما أخبرتنا وقد عاهدنا الله تعالى أن لا يرانا على معصية بعد هذا اليوم قال فتابوا عن آخرهم . قلت سبحان اللطيف جميل العوائد ، سبحان مدرك الملهوف عند الشدائد ، حمانا من الزنا الرب الودود وجعلنا من خير العباد .

يطوف عليهم المؤمن وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم و بين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن : أى صفة الكبرياء والعظمة فهو بكبريائه وعظمته لا يريد أن يراه أحد من خلقه حتى يأذن لهم فى دخول جنة عدن فيرونه فيها» وفى صحيح مسلم قال «إن فى الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا» وفى كتاب الترمذى قال «إن أول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة ضوء وجوههم على مثل ضوء القمر ليلة البدر ، والزمرة الثانية على مثل أحسن كوكب درى فى السماء

خاتمة

فى زنا العين واليد وفى الخلوة بالأجنبية

أخرج الشيخان عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا يدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ذلك ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه» وفى رواية لمسلم «واليدان تزنيان فزناهما البطش والرجلان تزنيان فزناهما المشى والفم يزنى فزناه التقبيل» وأحمد والطبرانى «العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزنى. وهما: مامن مسلم ينظر إلى امرأة أول رمقة ثم يغض بصره إلا أحدث الله تعالى له عبادة يجد حلاوتها فى قلبه» قال البيهقى: يعنى إنما أراد أن يقع بصره عليها من غير قصد فيصرف بصره عنها تورعا. والطبرانى والحاكم: أنه صلى الله عليه وسلم قال يعنى عن ربه عز وجل «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها من مخافتى أبدلته إيمانا يجد حلاوته فى قلبه» والأصبهانى «كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله وعين سهرت فى سبيل الله وعين خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله» وهو أيضا «ثلاثة يتحدثون فى ظل العرش آمنين والناس فى الحساب: رجل لم يأخذه فى الله لومة لائم ورجل لم يمد يده إلى مالا يحل له ورجل لم ينظر إلى ماحرم الله عليه» والبيهقى عن الحسن مرسلا قال: بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لعن الله الناظر والمنظور إليه» ومسلم عن جرير «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فقال: اصرف بصرك» وصح: مامن صباح إلا وملكان يناديان ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال. والطبرانى عن معقل بن يسار «لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط أو بمسلة من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له» وهو «إياكم والخلوة بالنساء والذى نفسى بيده ماخلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما ولأن يزحم رجلا خنزير متلطخ بطين أو حمأ: أى طين أسود منتن خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له» وهو أيضا «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس بينه وبينها محرم» والحكيم «إياكم ومحادثة النساء فانه لا يخلو رجل بامرأة ليس لها محرم إلا هم بها» وأحمد والبيهقى عن ابن سيرين قال: خرجنا فاذا بدابة فمن دنا منها قتلته. قال فجاء رجل أعور قال دعونى وإياها فدنا منها فوضعت رأسها له حتى قتلها، فقالوا حدثنا من أمرك، فقال ما أصبت ذنبا قط إلا ذنبا واحدا بعينى هذه فأخذت سهما ففقأتها به. وروى عن كعب الأحبار قال: قحط بنو إسرائيل على عهد موسى عليه السلام فسألوه أن يستسقى فقال اخرجوا معى إلى الجبل فخرجوا، فلما صعدوا الجبل قال موسى لا يتبعنى رجل أصاب ذنبا، فانصرفوا جميعا إلا رجلا أعور يقال له برخ العابد، فقال له موسى ألم تسمع ماقلت؟ قال بلى قال فلم تصب ذنبا قال ما أعلمه إلا شيئا أذكره فان كان ذنبا رجعت قال ماهو قال مررت فى طريق فاذا باب حجرة مفتوح فلمحت بعينى هذه الذاهبة شخصا لا أعلم ماهو رجل أم امرأة فقلت لعينى أنت من بدنى سارعت إلى الخطيئة لا تصحبينى بعدها فأدخلت أصبعى فقلعتها فان كان هذا ذنبا رجعت، فقال موسى ليس هذا ذنبا ثم قال له استسق يابرخ، فقال قدوس قدوس ما عندك لا ينفد وخزائنك لا تفنى وأنت بالبخل لا ترمى فما هذا الذى لا تعرف به

لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من ورائها» وفى كتاب النسائى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع، قيل يارسول الله أو يطيق ذلك قال يعطى قوة مائة» وفى كتاب الترمذى عن على قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن فى الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبؤس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له» وفى كتاب الترمذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع يده فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من نساء أهل

اسقنا الغيث الساعة الساعة. قال فانصرفا يخوضان الوحل برحمة الله عزّ وجلّ .

وحكى الأصمعيّ قال : خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام من طريق الشام فبينما نحن سائرون إذ خرج علينا أسد عظيم الخلقة هائل المنظر فقطع على الركب الطريق ، فقلت لرجل إلى جانبي : أما في هذا الركب رجل يأخذ سيفا ويرد عنا هذا الأسد فقال : أما الرجل فلا أدرى ولكنى أعرف امرأة ترده بغير سيف فقلت وأين هي؟ فقام وقمت معه إلى هودج قريب منا فنادى يابنية انزلى فردى عنا هذا الأسد ، فقالت يا أبت أيطيب قلبك أن ينظر إلىّ الأسد وهو ذكر وأنا أنثى ولكن يا أبت قل للأسد ابنتى فاطمة تقرئك السلام وتقسم عليك بالذى لاتأخذه سنة ولانوم إلا ماعدلت عن طريق القوم .

وحكى اليافعي عن بعض الصالحين قال : كان بالبصرة رجل يقال له ذكوان كان سيدا في زمانه ؛ فلما حضرته الوفاة لم يبق أحد بالبصرة إلا شهد جنازته . قال فلما انصرف الناس من دفنه نمت عند بعض القبور وإذا ملك قد نزل من السماء وهو يقول : يا أهل القبور قوموا لأخذ أجوركم فانشقت القبور عن أهلها وخرج كل من فيها فغابوا ساعة ، ثم جاءوا وذكوان في جملتهم وعليه حلتان من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وبين يديه غلمان يسبقونه إلى قبره وإذا ملك ينادى هذا عبد كان من أهل التقوى فبنظرة واحدة وصلت إليه المحن والبلوى فامتثلوا فيه أمر المولى فقرب من جهنم فخرج إليه منها لسان أو قال ثعبان فلدغ بعض وجهه فاسودّ ذلك الموضع ونادى ياذكوان لم يخف عن المولى من أمرك شيء هذه النفخة بتلك النظرة ولو زدت لزدناك ، فبينما هو كذلك وإذا رجل قد أطلع رأسه من قبره . فقال ياهؤلاء ما أردتم فوالله لقدمتّ منذ تسعين سنة لما ذهبت حرارة الموت منى حتى الآن فادعوا الله أن يعيدنى كما كنت قال وبين عينيه أثر السجود .

[تنبيه] اعلم أن زنا العين هو تعمد نظر شيء من الأجنبية المشتهاة ولو منفصلا منها كشعر وقلامة ظفر أو كانت أمة أو عجوزا فهو حرام على رجل ولو مع أمن فتنة أو فقد شهوة ويحرم نظر فرج صغيرة إلا على الأم زمن الرضاع والتربية ونظر المرأة إلى الرجل ولو عبدا كعكسه ويحل نظر فرج صغير مالم يميز ويجب على المسلمة أن تحتجب عن الكافرة والفاسقة بزنا أو سحاق أو قيادة وعن عبدها إن كانا فاسقين ولو بغير الزنا وأن زنا اليدين هو البطش بحيث حرم نظر حرم مس ويحرم غمز الرجل ساق محرمه أو رجلها وعكسه بلا حاجة ويحرم تضاجع رجلين أو امرأتين عاريين في ثوب واحد وإن كان كل منهما في جانب من الفراش ويجب التفريق بين ولد عشر سنين وأبويه واخوته في المضجع وكما يحرم نظر ومسّ شيء من أجنبية يحرم إصغاء لصوتها تلذذا به وأن الخلوة بالأجنبية حرام حيث لم يكن معهما محرم لأحدهما يحتشمه ولا امرأة كذلك ولا زوج لتلك الأجنبية ويحرم فعل هذه الثلاثة مع الأمرد الجميل .

فصل في اللواط

أخرج ابن ماجه والترمذى عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أخوف ما أخاف على أمتى عمل قوم لوط » وأحمد والنسائى « لعن الله سبعة من خلقه من فوق سبع سموات وردّد اللعنة على كل واحد منهم ثلاثا ولعن كل واحد منهم لعنة تكفيه ملعون من عمل

الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت مابينهما ولملأت مابينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » قال في الصحاح النصيف : الخمار . وفي كتاب الترمذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء » وفي مسند البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « قيل يارسول الله أنفضى إلى نسائنا في الجنة ؟ فقال إى والذى نفسى بيده إن الرجل ليفضى في اليوم الواحد إلى مائة عذراء » وعن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكارا » وفي صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « سأل موسى

عمل

عمل قوم لوط ملعون من ذبح لغير الله ملعون من أتى شيئا من البهائم ملعون من عق والديه ملعون من جمع بين امرأة وابنتها ملعون من غير حدود الأرض ملعون من ادعى إلى غير مواليه . وأحمد « ملعون من سب أباه ملعون من سب أمه ملعون من غير تخوم الأرض ملعون من كمه أعمى ملعون من وقع على بهيمة ملعون من عمل عمل قوم لوط » والبيهقى : أربعة يصبحون فى غضب الله ويمسون فى سخط الله ، قلت من هم يارسول الله ؟ قال المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال والذى يأتى البهيمة والذى يأتى الرجال . والترمذى والنسائى : لاينظر الله عز وجل إلى رجل أتى رجلا أوامرأة فى دبرها . والطبرانى : ثلاثة لايقبل الله لهم شهادة أن لاإله إلا الله : الراكب والمركوب والراكبة والمركوبة والامام الجائر . وأبو داود والترمذى وابن ماجه والبيهقى : من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به . وقال ابن عباس : إن اللوطى إذا مات من غير توبة مسخ فى قبره خنزيرا . وروى أن خالد بن الوليد كتب إلى أبى بكر رضى الله عنه أنه وجد رجلا فى بعض نواحى العرب ينكح كما تنكح المرأة فجمع أبو بكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم على كرم الله وجهه ، فقال إن هذا ذنب لم تعمل به الأمم إلا أمة واحدة وقد علمتم ماصنع الله بها وأرى أن تحرقوه بالنار ، فاجتمع رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحرق بالنار فحرقه خالد . وروى أيضا أن عيسى عليه السلام مر فى سياحته على نار تتوقد على رجل فأخذ ماء ليطفئها عنه فانقلبت النار صبيا وانقلب الرجل نارا فتعجب عيسى من ذلك ، فقال يارب ردهما إلى حالهما فى الدنيا لأسألهما عن خبرهما فأحياهما الله تعالى فاذا هما رجل وصبى فقال لهما عيسى عليه السلام ماخبركما وما أمركما فقال الرجل ياروح الله إنى كنت فى الدنيا مبتلى بحب هذا الصبى فحملتنى الشهوة أن فعلت به الفاحشة ، فلما مت ومات الصبى صيره الله نارا تحرقنى مرة وصيرنى نارا أحرقه أخرى . فهذا عذابنا إلى يوم القيامة ، نعوذ بالله من عذابه وحمانا من موجبات سخطه وأليم عقابه .

[تنبيه] قال البغوى اختلف أهل العلم فى حد اللواط فذهب قوم إلى أنه يحد الفاعل حد الزنا إن كان محصنا يرجم وإن لم يكن محصنا يجلد مائة وهو أظهر قولى الشافعى رضى الله عنه وعلى المفعول به عنده على هذا القول جلد مائة وتغريب عام رجلا كان أو امرأة محصنا أوغير محصن ، وذهب قوم إلى أن اللوطى يرجم ولوغير محصن قول مالك وأحمد بن حنبل والقول الآخر للشافعى أنه يقتل الفاعل والمفعول به كما جاء فى حديث .

[فائدة] يحرم مصافحة الأمرد بشرطه ولوقدم من سفر ، وقيل فى هذه الأمة قوم يقال لهم اللوطية وهم ثلاثة أصناف : صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث . قال بعضهم : والنظر إلى المرأة والأمرد زنا لخبر صحيح فيه .

خاتمة فى السحاق

أخرج الطبرانى : ثلاثة لايقبل الله لهم قول شهادة أن لا إله إلا الله : الراكب والمركوب والراكبة والمركوبة والامام الجائر . وروى عنه صلى الله عليه وسلم « إذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان » .

واعلم أن تساحق النساء حرام ويعزرن بذلك . قال القاضى أبوالطيب : وإثم ذلك كإثم الزنا

عليه السلام ربه ماأدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال هو رجل يجىء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة ، فيقال له ادخل الجنة فيقول أى رب وكيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك مااشتهت نفسك ولذت عينك ، فيقول رضيت رب ، قال رب فأعلاهم منزلة ؟ قال أولئك الذين غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر . قال ومصداقه من كتاب الله تعالى ـ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ـ . وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة

قال القاضي حسين : يكره للمرأة التى تميل إلى النساء النظر إلى وجوههن وأبدانهن وأن تضاجعهن بلا حائل كما فى الرجال . قال فى العجالة وتشبيهه يقتضى تحريم النظر بشهوة والمضاجعة بلا حائل كما هما محرمان من الرجال .

فصل فى قذف المحصن أو المحصنة بزنا أو لواط

قال الله تعالى - والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة - إن كان حرا فغيره يجلد أربعين - ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا - أى مادام مصرا على قذفه - وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم - وقال تعالى - إن الذين يرمون المحصنات الغافلات - أى عن الفاحشة - المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون - وأخرج الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اجتنبوا السبع الموبقات قيل يارسول الله وماهن ؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم والربا والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات . والحاكم : أيما عبد أوامرأة قال أوقالت لوليدتها يازانية ولم يطلع منها على زنا جلدتهما وليدتهما يوم القيامة لأنه لاحد لهن فى الدنيا . وهما : من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال . وقال بعضهم : ومما عمت به البلوى قول الانسان لقنه يامخنث أو ياقحبة وللصغير يا ابن القحبة ياولد الزنا وكل ذلك من الكبائر الموجبة للعقوبة فى الدنيا والآخرة .

[تنبيه] إن القذف حرام إجماعا بل هو من الكبائر المهلكة اتفاقا وقد أجمع العلماء على أن المراد من الرمى فى الآية الرمى بالزنا وهو يشمل الرمى باللواط كما يقول للمرأة يازانية أو بغية أوقحبة أو لزوجها يا زوج القحبة أو لبنتها يابنت الزنا أو للرجل يازانى أو يامنكوح أو يامخنث فمن قذف محصنا غير فرع وقن له حد أو غيره عزر ، والمحصن هنا مكلف حر مسلم عفيف عن زنا وعن وطء زوجة أو مملوكة فى دبرها فمن فعل وطأ يحد به أو وطىء حليلته فى دبرها لم يجب على راميه بالزنا حد القذف ، وإن تاب وصلح حاله ،

[فائدة] من قذف آخر بين يدى حاكم لزمه أن يبعث إليه ويخبره ليطالب به إن شاء كما لوثبت عنده حق مالى على آخر وهو لايعلم يلزمه إعلامه .

باب شرب الخمر

قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل مسكر حرام . رواه الشيخان وأبوداود والنسائى . وقال صلى الله عليه وسلم : ألا فكل مسكر خمر وكل خمر حرام . رواه أحمد وأبو يعلى : ونهى صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر . رواه أبوداود . قال الخطابى : المفتر كل شراب يورث الفتور والخدر فى الأعضاء . وأخرج الشيخان عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » والطبرانى « من شرب الخمر خرج نور الايمان من

فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك فيقول هل رضيتم ؟ فيقولون ومالنا لا نرضى يارب وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك ، فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون يار بنا وأى شىء أفضل من ذلك ؟ فيقول أحل لكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا . [إخوانى] اتركوا الدنيا واكدحوا للآخرة وارفضوا حب نساء الدنيا واشتروا الحور الفاخرة فانها تدرك بأيسر الأعمال وتكون معكم مخلدة فى الجنان ، وروى عن مالك بن دينار رضى الله عنه أنه كان يوما ماشيا فى أزقة البصرة فاذا هو بجارية من جوارى الملوك راكبة ومعها الخدم ، فلما رآها مالك نادى أيتها الجارية أيبيعك مولاك ؟ فقالت كيف قلت ياشيخ ؟ قال أيبيعك مولاك ؟ قالت ولو باعنى أكان مثلك

جوفه» وأحمد بسند صحيح «مدمن الخمر إن مات» أى من غير توبة «لقى الله كعابد وثن» وابن حبان فى صحيحه «من لقى الله مدمن خمر لقى الله كعابد وثن» والطبرانى بسند صحيح عن ابن عباس قال : لما حرمت الخمر مشى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهم إلى بعض وقالوا حرمت الخمر وجعلت عدلا للشرك . والنسائى عن أبى موسى أنه كان يقول : ما أبالى شربت الخمر أو عبدت هذه السارية من دون الله : أى أنهما فى الاثم متقاربان . والطبرانى «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر» وهو «من شرب حسوة من الخمر لم يقبل الله منه ثلاثة أيام صرفا ولا عدلا ، ومن شرب كأسا لم يقبل الله منه صلاة أربعين صباحا ، ومدمن الخمر حقّ على الله أن يسقيه من نهر الخبال . قيل يا رسول الله وما نهر الخبال ؟ قال : صديد أهل النار» والترمذى وحسنه والحاكم وصححه «من شرب الخمر لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه ؛ فان عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال» قيل لابن عمر راويه وما نهر الخبال ؟ قال نهر من صديد أهل النار . والطبرانى بسند صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم عن ابن عمر قال : إن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وناسا جلسوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا فى أعظم الكبائر فلم يكن عندهم فيها علم فأرسلونى إلى عبد الله بن عمر أسأله فأخبرنى أن أعظم الكبائر شرب الخمر فأتيتهم فأخبرتهم فأنكروا ذلك ووثبوا إليه جميعا حتى أتوه فى داره فأخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن ملكا من ملوك بنى إسرائيل أخذ رجلا فخيره بين أن يشرب الخمر أو يقتل نفسا أو يزنى أو يأكل لحم الخنزير أو يقتلوه فاختار الخمر وإنه لما شرب الخمر لم يمتنع من شىء أرادوه منه» وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما من أحد يشربها فيقبل له صلاة أربعين يوما ولا يموت وفى مثانته منه شىء إلا حرمت بها عليه الجنة فان مات فى أربعين ليلة مات ميتة جاهلية» وأحمد وابن حبان فى صحيحه : إن آدم لما أهبط إلى الأرض ، قالت الملائكة يارب - أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إنى أعلم مالا تعلمون - قالوا ربنا نحن أطوع لك من بنى آدم قال تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة فننظر كيف يعملان ، قالوا ربنا هاروت وماروت قال فاهبطا إلى الأرض فتمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاآها فسألاها نفسها . قالت : لا والله حتى تكلما بهذه الكلمة من الإشراك قالا والله لانشرك بالله شيئا أبدا فذهبت عنهما ثم رجعت إليهما ومعها صبىّ تحمله ، فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تقتلا هذا الصبىّ . فقالا والله لا نقتله أبدا فذهبت ، ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها . فقالت لا والله حتى تشربا هذا الخمر فشربا وسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبىّ ، فلما أفاقا . قالت المرأة والله ما تركتما من شىء أبيتماه علىّ إلا فعلتماه حين سكرتما فخيرا عند ذلك بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا . وأبو داود وابن حبان فى صحيحه «إذا شربوا الخمر فاجلدوهم ثم إن شربوا فاجلدوهم ثم إن شربوا فاجلدوهم ثم إن شربوا فاقتلوهم» والترمذى «من شرب الخمر فاجلدوه فان عاد فى الرابعة فاقتلوه» وأبو داود «إن الله حرّم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه» وابن ماجه والترمذى «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل

يشتريني قال نعم وخيرا منك فضحكت وأمرت به أن يحمل إلى دارها فحمل فدخلت إلى مولاها فأخبرته فضحك وأمر أن يدخل به إليه فأدخل فألقيت له الهيبة فى قلب السيد فقال ما حاجتك فقال بعنى جاريتك قال أو تطيق أداء ثمنها قال ثمنها عندى نواتان مسوّستان فضحكوا . قال وكيف كان ثمنها عندك هذا قال لكثرة عيوبها قال وما عيوبها قال إن لم تتعطر دفرت وإن لم تستك بخرت وإن لم تمتشط وتدهن قملت وشعثت وإن تعمرت عن قليل هرمت ذات حيض وغائط وبول وأقذار وحزن وغم وأكدار ولعلها أن لا تودك إلا لنفسها ولا تحبك إلا لتنعمها لا تفى بعهدك ولا تصدق فى ودك ولا يخلف عليها أحد بعدك إلا رأته مثلك وأنا آخذ بدون ما سألت فى جاريتك من الثمن جارية خلقت

ثمنها والمشترى لها والمشتراة له » وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من شرب الخمر فى الدنيا سقاه الله من سم الأساود شربة يتساقط لحم وجهه فى الاناء قبل أن يشربها ، فاذا شربها تساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار ، ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها شركاء فى إثمها لا يقبل الله منهم صلاة ولا صياما ولا حجا حتى يتوبوا ، فان مات قبل التوبة كان حقا على الله أن يسقيه بكل جرعة شربها فى الدنيا من صديد جهنم ، ألا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام » وروى « أن شربة الخمر إذا أتوا على الصراط تخطفهم الزبانية إلى نهر الخبال فيسقون بكل كأس شربوه من الخمر شربة من نهر الخبال فلو أن تلك الشربة تصب من السماء لاحترقت السموات من حرها» نعوذ بالله منها . وجاء عن ابن مسعود رضى الله عنه قال إذا مات شارب الخمر فادفنوه ثم اصلبونى على خشبة ثم انبشوا عنه قبره فان لم تروا وجهه مصروفا عن القبلة فاتركونى مصلوبا . وعن على رضى الله عنه : لو وقعت قطرة من خمر فى بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه . وعن ابن عمر لوأدخلت أصبعى فيه لم تتبعنى : أى لقطعتها .

وحكى عن الفضيل بن عياض رحمه الله : أنه حضر عند تلميذ له حضره الموت ، فجعل يلقنه الشهادة ولسانه لاينطق بها فكررها . فقال لا أقولها وأنا برىء منها ثم مات وخرج الفضيل من عنده وهو يبكى ، ثم رآه بعد مدة فى منامه وهو يسحب به إلى النار . فقال يامسكين بم نزعت منك المعرفة ؟ فقال ياأستاذ كان بى علة فأتيت بعض الأطباء فقال تشرب فى كل سنة قدحا من الخمر فان لم تفعل تبق بك علتك فكنت أشربها فى كل سنة لأجل التداوى ، فهذا حال من شربها للتداوى فكيف حال من شربها لغير ذلك ؟ نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة .

وحكى أنه سئل بعض التائبين عن سبب توبته . فقال : كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتا مصروفين عن القبلة ، فسألت أهاليهم عنهم ؟ فقالوا كانوا يشربون الخمر فى الدنيا وماتوا من غير توبة .

وحكى عن نباش أنه قال : نبشت قبرا فرأيت صاحبه قد حول خنزيرا ، وقد شد بالسلاسل والأغلال فى عنقه فخفت منه وأردت الخروج ، وإذا بقائل يقول ألا تسأل عن عمله ولم يعذب ؟ فقلت لماذا ؟ قال كان يشرب الخمر فى الدنيا ومات من غير توبة .

وحكى عن بعض الصالحين أنه قال : مات لى ولد ، فلما دفنته رأيته بعد مدة فى النام وقد شاب رأسه . فقلت ياولدى دفنتك صغيرا فما الذى شيبك ؟ فقال ياأبى لما دفنتنى دفن إلى جانبى رجل كان يشرب الخمر فى الدنيا فزفرت النار لقدومه إلى قبره زفرة لم يبق منا طفل إلا شاب رأسه من شدة زفرتها نسأل الله العصمة منها .

[تنبيه] إن شرب الخمر والنبيذ ولو قطرة منهما حرام بل هو كبيرة إجماعا ويكفر مستحلها وحد شاربها أربعون جلدة إن كان حرا وعشرون إن كان قنا والنبيذ كالخمر فيحد شاربه ولو حنفيا وإن لم يسكر عليه .

من سلالة الكافور ومن المسك والجوهر والنور لو مزج ريقها أجاج البحر لطاب ولو دعى بكلامها ميت لأجاب ولو بدا معصمها الشمس لأظلمت دونه وكسفت ولو بدا فى الظلماء لأنارت به وأشرقت ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتعطرت به وتزخرفت نشأت من بين رياض المسك والزعفران وقضبان الياقوت والمرجان وقصرت فى خيام النعيم وغذيت بماء التسنيم لا تخلف عهدها ولا تبدل ودها فأيهما أحق برفع الثمن قال التى وصفت . قال فانها الموجودة الثمن القريبة الخطب فى كل زمن قال فما ثمنها رحمك الله ؟ قال أيسر المبذول لنيل الخير المأمول أن تتفرغ ساعة فى ليلك فتصلى ركعتين تخلصهما لربك وأن يوضع طعامك فتذكر جائعا فتؤثره لله تعالى على شهوتك وأن ترفع

خاتمة فى أكل الحشيشة والبنج

روى أحمد وأبو داود : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر . قال الخطابى المفتر كل مايورث الفتور والخدر فى الأعضاء ، وقال صلى الله عليه وسلم « كلّ مسكر حرام » وقال « كل ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

واعلم أن الحشيشة حرام كالخمر ويحدّ آكلها : أى على قول قال به جماعة من العلماء كما يحدّ شارب الخمر ، وقال ابن تيمية وأقرّه أهل مذهبه من زعم حل الحشيشة كفر ، وقيل إنها نجسة كالخمر وهو الصحيح : أى عند الحنابلة و بعض الشافعية ، وقيل المائعة نجسة والجامدة طاهرة وإنما لم يذكرها العلماء الأربعة لأنها لم تكن فى عهد السلف الماضين وإنما حدثت فى مجىء التتار إلى بلاد الإسلام ، وذكر الماوردى قولا : أن النباتات التى فيها شدّة مطربة يجب الحدّ على آكلها ، ورأى آخرون من العلماء تعزير آكلها كالبنج . نسأل الله تعالى أن يجنبنا المسكرات ويحمينا عن المخدرات .

باب فى اليمين الفاجرة

قال الله تعالى ـ إن الذين يشترون ـ أى يستبدلون ويأخذون ـ بعهد الله ـ أى بما عهد إليهم ـ وأيمانهم ـ أى الكاذبة ـ ثمنا قليلا ـ أى عرضا يسيرا من الدنيا ـ أولئك لاخلاق لهم فى الآخرة ـ أى لانصيب لهم من نعيمها وثوابها ـ ولا يكلمهم الله ـ أى بكلام يسرّ ـ ولا ينظر إليهم ـ أى نظر رحمة ـ ولايزكيهم ـ أى لايريد لهم خيرا ـ ولهم عذاب أليم ـ أى مؤلم شديد الايلام . وأخرج الشيخان عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من حلف على مال امرىء مسلم بغير حق لقى الله وهو عليه غضبان ، ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله ـ إن الذين يشترون بعهد الله ـ إلى آخر الآية » والطبرانى والحاكم وصححه « من اقتطع مال امرىء مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار ، قيل يارسول الله وإن كان شيئا يسيرا ؟ قال وإن كان شرا كا » وابنا ماجه وحبان « من حلف على يمين آثمة عند منبرى هـذا فليتبوّأ مقعده من النار ولو على سواك أخضر » والحاكم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنا نعدّ من الذنب الذى ليس له كفارة اليمين الغموس ، قيل وما اليمين الغموس ؟ . قال الرجل يقتطع بيمينه مال الرجل . وهو والطبرانى « إن الله جلّ ذكره أذن لى أن أحدث عن ديك قد مزقت رجلاه الأرض وعنقه منثن تحت العرش وهو يقول : سبحانك ما أعظمك ربنا ؟ فيردّ عليه ماعلم بى من حلف كاذبا » والطبرانى عن جبير بن مطعم : أنه افتدى يمينه بعشرة آلاف درهم ثم قال ورب الكعبة لوحلفت حلفت صادقا ، وإنما هو شىء افتديت به يمينى ، وروى عن الأشعث بن قيس أنه اشترى يمينه مرّة بسبعين ألفا .

وحكى عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : ماحلفت بالله فى عمرى لا كاذبا ولا صادقا .

[تنبيه] اليمين الفاجرة حرام بل هى كبيرة اتفاقا .

حجرا أو قفرا وأن تقطع أيامك بالبلغة والقلة وترفع همك عن دار الغرور والغفلة فتعيش فى الدنيا بعزّ القناعة وتأتى إلى موقف الكرامة آمنا غدا وتنزل الجنة دار النعيم فى جوار المولى الكريم مخلدا . فقال ياجارية أسمعت ما قال شيخنا هذا ؟ قالت نعم قال أفصدق أم كذب قالت بل صدق وبرّ ونصح قال فأنت إذا حرة لله تعالى وضيعة كذا وكذا صدقة عليك وأنتم أيها الخدم أحرار وضيعة كذا وكذا لكم وهذه الدار بما فيها صدقة مع جميع مالى فى سبيل الله ، ثم مدّ يده إلى ستر خشن كان على بعض أبوابها فاجتذبه وخلع جميع ما كان عليه واستتر به فقالت الجارية لاعيش بعدك يامولاى فرمت بكسوتها ولبست ثوبا خشنا وخرجت معه فودعهما مالك بن دينار ودعالهما وأخذ طريقا وأخذا طريقا غيره .

باب فى شهادة الزور

أخرج الشيخان عن أبى بكر قال : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا ؟ قالوا بلى يارسول الله ، قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين ألا وشهادة الزور ألا وشهادة الزور ألا وشهادة الزور ؛ وكان متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت » وأبوداود والترمذى « صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ؛ فلما انصرف قام قائما فقال : عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ثلاث مرات ؛ ثم قرأ – فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به – » وأحمد « من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار » والطبرانى « من كتم شهادة إذا دعى إليها كان كمن شهد بالزور » .

[تنبيه] إن شهادة الزور وهى أن يشهد بما لايتحققه حرام ؛ بل صرحوا بأنها كبيرة قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : وإذا كان الشاهد بها كاذبا أثم ثلاثة آثام إثم المعصية وإثم إعانة الظالم وإثم خذلان المظلوم ؛ وإذا كان صادقا أثم إثم المعصية لافير لتسببه فى إبراء ذمة الظالم وإيصال المظلوم إلى حقه .

باب التوبة

قال الله تعالى – إنما التوبة على الله – أى التى كتب على نفسه قبولها بفضله – للذين يعملون السوء بجهالة – أى جاهلين إذاعصوا ربهم – ثم يتوبون من – زمن – قريب – قبل أن يغرغر وقبل أن يحيط السوء بحسناته فيحبطها أو فى صحته قبل مرض موته – فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن – فلا تنفعه ولا تقبل منه – ولا الذين يموتون وهم كفار – وقال تعالى – يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار – وقال تعالى – ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما – وأخرج الشيخان والترمذى عن الحرث بن يزيد قال : قال ابن مسعود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أوماشاء الله قال أرجع إلى مكانى الذى كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده » ومسلم « يا أيها الناس توبوا إلى الله فانى أتوب اليه فى يوم مائة مرة » وابن ماجه « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم » والطبرانى والبيهقى « صاحب اليمين أمين على صاحب الشمال فاذا عمل العبد حسنة كتبها بعشر أمثالها وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها ، قال له صاحب اليمين أمسك فيمسك ست ساعات فان استغفر الله منها لم يكتب عليه شيئا وإن لم يستغفر الله كتب عليه سيئة واحدة » وابن أبى حاتم وابن مردويه « التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله ثم لاتعود إليه أبدا » والطبرانى وأبونعيم « الندامة توبة والتائب من الذنب كمن

فتعبدا جميعا حتى جاء الموت فنقلهما على حال العبادة رحمهما الله ورضى الله عنهما ونفعنا بهما وبسائر الصالحين اللهم يسر علينا متابعتهم وأوصل إلينا فتوحاتهم وأدم لنا بركاتهم وألحقنا بهم واحشرنا فى زمرتهم واهدنا هداهم واسلكنا طريقهم آمين .

[فصل فى اللقاء] قال الله تعالى – وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة – وفى صحيح مسلم عن صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار . قال فيرفع الحجاب فينظرون إلى وجه الله تعالى فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا – للذين أحسنوا الحسنى وزيادة – قال العلماء الحسنى الجنة

لاذنب له والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه» والترمذى «إن الله عزوجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر» ومسلم «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه» والشيخان عن أبى سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة؟ فقال لا فقتله فكمل مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال له إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال نعم ومن يحول بينه و بين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاءنا مقبلا بقلبه إلى الله تعالى. وقالت ملائكة العذاب: لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك فى صورة آدمى فحكموه بينهم. فقال قيسوا مابين الأرضين فالى أيتهما كان أدنى فهوله فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة» وفى الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: إن المؤمن إذا أذنب نكت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب واستغفر صقل قلبه و إن لم يتب زادت حتى تعلو قلبه: أى تغشاه وتغطيه تلك النكتة السوداء فذلك الران الذى ذكره الله فى كتابه - كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - اللهم إنا نستغفرك ونتوب إليك ونستعينك على أن لانعود إلى معاصيك.

[تنبيه] التوبة واجبة فورا من كل ذنب ولو صغيرا فمن أخرها زمنا يسعها كان عاصيا بتأخيرها. قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام وكذلك يتكرر عصيانه بتكرر الأزمنة المتسعة فيحتاج إلى توبة عن تأخيرها كما يحتاج إليها عن الذنب المتقدم، ويجب تجديد التوبة عن المعصية كلما ذكرها بعد التوبة على مازعمه القاضى أبو بكر الباقلانى. قال: فان لم يجددها فقد عصى معصية جديدة تجب التوبة منها، ثم إن علم ذنوبه على التفصيل لزمه التوبة عن آحادها على التفصيل ولا يكفيه توبة واحدة فالتوبة من جملة الذنوب من غير ذكر تفاصيلها غير صحيحة. قال الزركشى وهذا ظاهر وقال ابن عبد السلام يتذكر من الذنوب السالفة ما أمكن تذكره وما تعذر فلا يلزمه ما لايقدر عليه، وقال القاضى أبو بكر إن لم يتذكر تفصيل الذنب فليقل إن كان لى ذنب لم أعلمه فانى تائب إلى الله. واعلم أن التوبة فى نفسها طاعة وعد الثواب عليها. وأما زوال العقاب الأليم فهومفوّض إلى الربّ الحليم التواب الرحيم.

فصل شروط التوبة المسقطة للإثم ظنا لا قطعا

أن يندم على فعل الذنب من حيث المعصية وأن يعزم على أن لا يعود إليه أو إلى مثله خالصا لله تعالى وأن يقلع عنه حالا إن كان متلبسا به أو مصرّا على المعاودة إليه وأن يخرج من المظالم والزكاة إن كانت بردّها أو بدلها إن تلفت لمستحقها مالم يبرئه منها ومنه قضاء صلاة وصوم وإن كثرا فان اختلّ شرط من الشروط المذكورة لم تصح توبته وأن يستغفر الله تعالى من ذنبه بلسانه ظاهرا و بقلبه باطنا على مازعمه القاضى حسين والقاضى أبو الطيب والماوردى وغيرهم و يجب فى التوبة عن قود أو قذف أن يعلم المستحق و يمكنه من الاستيفاء ومن نحو غيبة أن يستحل المغتاب منها إن علم وإلا استغفر لنفسه ودعا له كالحاسد ربنا تقبل توبتنا واغسل حوبتنا وتحمل

والزيادة هى النظر إلى وجه الله تعالى الكريم اللهم ارزقنا ذلك بفضلك. وروى الامام أحمد والترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة. وفى الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال «نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر قال إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته فان استطعتم أن لاتغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ - وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب» وفى كتاب الترمذى

تبعاتنا بمنك وكرمك آمين . اللهم إنا نستغفرك من كل ذنب أذنبناه استعمدناه أو جهلناه ونستغفرك من كل ذنب تبنا إليك منه ثم عدنا فيه ، ونستغفرك من الذنوب التى لا يعلمها غيرك ولا يسعها إلا حلمك ونستغفرك من كل مادعت إليه نفوسنا من قبل الرخص فاشتبه ذلك علينا وهو عندك حرام ، ونستغفرك من كل عمل عملناه لوجهك فخالطه ما ليس لك فيه رضا لا إله إلا أنت يا أرحم الراحمين .

خاتمة فى الخوف

قال الله تعالى ـ وإياى فارهبون ـ وقال تعالى ـ وخافون إن كنتم مؤمنين ـ فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه فى الايمان فلذلك لايتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية» وقال صلى الله عليه وسلم «رأس الحكمة مخافة الله» . وقال عليه الصلاة والسلام «قال الله عزّ وجل : وعزتى وجلالى لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين فان أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة وإن خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة» وقال عليه الصلاة والسلام «إذا اقشعرّ جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة البالية ورقها» وقال الحسن رضى الله عنه : إن الرجل ليذنب فما ينساه ولا يزال متخوفا حتى يدخل الجنة . وقال كعب الأحبار رضى الله عنه : إن رجلا من بنى إسرائيل أصاب ذنبا فحزن فجعل يذهب ويجىء ويقول : بم أرضى ربى بم أرضى ربى : فكتب صدّيقا . وقال الفضيل رحمة الله عليه : من خاف الله تعالى دله الخوف على كل خير . وسئل ابن جبير رضى الله عنه عن الخشية فقال : هى أن تخشى الله حتى تحول خشيته بينك وبين معاصيه . وفى صحيح البخارى ، وقال ابن مسعود رضى الله عنه : إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه ؛ وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه فقال به هكذا أى ذبه بيده فطار . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعقبة بن عامر لما سأله ما النجاة ؟ . قال صلى الله عليه وسلم «أملك عليك لسانك وابك على خطيئتك» وقال صلى الله عليه وسلم : لايلج أى لايدخل النار رجل بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع ولا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم» وفى الصحيحين : أنه صلى الله عليه وسلم ذكر من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجلان تحابا فى الله عزّ وجل ورجل دعته امرأة ذات جمال فقال إنى أخاف الله ؛ ورجل تصدّق بيمينه فأخفاها عن شماله ورجل تعلق قلبه بالمسجد ، ورجل ذكر الله : أى وعيده وعقابه خاليا ففاضت عيناه . أى خوفا مما جناه واقترفه من المخالفات والذنوب . وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : لأن أدمع دمعة من خشية الله أحبّ إلىّ من أن أتصدق بألف دينار . وقال كعب الأحبار رضى الله عنه : والذى نفسى بيده لأن أبكى من خشية الله حتى تسيل دموعى على وجنتى أحبّ إلىّ من أن أتصدق بجبل ذهب . وقال عوف ابن عبد الله : بلغنى أنه لا تصيب دموع الانسان من خشية الله مكانا من جسده إلا حرّم الله تعالى ذلك المكان على النار . وكان محمد بن المنكدر إذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه ويقول : بلغنى أن النار لاتأكل موضعا مسته الدموع . وفى صحيح ابن حبان عن عطاء قال :

عن سعيد بن المسيب أنه لقى أبا هريرة فقال أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة فقال سعيد وفيها سوق ؟ قال نعم أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة إذا دخلوا نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم دنىء على كثبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلسا . قال أبو هريرة : قلت يارسول الله وهل نرى ربنا قال نعم هل تمارون فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا لا ، قال

دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضى الله عنها فقالت لعبيد بن عمير قد آن لك أن تزورنا . فقال : أقول يا أمت كما قال الأول : زرغبا تزدد حبا : فقالت دعونا من مطالبكم هذه . فقال ابن عمر أخبرينا بأعجب شىء رأيتيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسكتت . ثم قالت لما كانت ليلة من الليالى قال : ياعائشة ذرينى أعبد الليلة ربى . قلت والله إنى لأحب قربك وأحب مايسرك قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يصلى فلم يزل يبكى حتى بل حجره ، وكان جالسا فلم يزل يبكى حتى بل لحيته قالت : ثم بكى فلم يزل يبكى حتى بل الأرض ، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فلما رآه يبكى قال : يارسول الله لم تبكى ، وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال أفلا أكون عبدا شكورا . وفى منهاج الغزالى : إن آدم صفى الله ونبيه الذى خلقه بيده وأسجد له ملائكته وحمله على أعناقهم إلى جواره لما أكل أكلة واحدة لم يؤذن له فيها فنودى أن لايجاورنى من عصانى وأمر الملائكة الذين حملوا سريره يزجونه من سماء إلى سماء حتى أوقعوه بالأرض ولم يقبل توبته فيما روى حتى بكى على ذلك مائتى سنة ولحقه من الهوان والبلاء مالحقه وبقيت ذريته فى تبعات ذلك على الأبد . ثم إن نوحا شيخ المرسلين عليه السلام الذى احتمل فى أمر دينه مااحتمل لم يقل إلا كلمة واحدة على غير وجهها إذ نودى ـ فلا تسألن ماليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين ـ حتى روى فى بعض الأخبار أنه لم يرفع رأسه إلى السماء حياء من الله تعالى أربعين سنة انتهى . وقال الحسن : إن آدم عليه الصلاة والسلام بكى حين أهبط من الجنة ثلاثمائة عام حتى جرت أودية سرنديب من دموعه . وقال وهب بن الورد : إن نوحا عليه الصلاة والسلام لما عاتبه الله فى ابنه بكى ثلاثمائة عام حتى صار فى خديه أمثال الجداول : أى الأنهار الصغار من البكاء ، وقال مجاهد : بكى داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا لايرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه حتى غطى رأسه فنودى ياداود أجائع أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى فنحب نحبة هاج منها العود فاحترق من حر جوفه . ثم أنزل الله عليه التوبة والمغفرة ، فقال يارب اجعل خطيئتى فى كفى فصارت خطيئته فى كفه مكتوبة فكان لايبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره إلا رآها فأبكته قال : وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء ، فإذا تناوله أبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه . وقال عبد الله بن عمرو : كان يحيى بن زكرياء عليهما السلام يبكى حتى تقطع خداه وبدت أضراسه ، فقالت له أمه لوأذنت لى يابنى حتى أتخذ لك قطعتين من لبود توارى بهما أضراسك عن الناظرين فأذن فألصقتهما بخديه ، فكان يبكى فكانتا تسيلان بالدموع فتجىء أمه فتعصرهما فتسيل دموعه على ذراعها . وفى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها : كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه رجلا بكاء لايملك عينيه إذا قرأ القرآن . وقال عبد الله بن عيسى : كان فى وجه عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطان أسودان من البكاء . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ليتنى كنت شعرة فى صدر مؤمن . وقال عمر رضى الله عنه عند موته : الويل لعمر إن لم يغفر الله له ؛ وبكى ابن عباس رضى الله عنهما حتى صار كأنه الشن البالى ؛ وبكى تلميذه سعيد بن جبير حتى عمشت عيناه . وعن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : قلت ليزيد بن مرثد مالى أرى عينك لاتجف ؟ قال وما مسئلتك عنه ؟ قلت عسى الله أن ينفعنى به ؛ قال يا أخى إن الله قد توعدنى إن أنا عصيته أن يسجننى فى النار والله لولم يتوعدنى أن يسجننى إلا فى الحمام لكنت حريا أن

كذلك لاتمارون فى رؤية ربكم ولايبقى فى ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم يافلان ابن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته فى الدنيا فيقول أفلم تغفر لى فيقول فبسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه فبينهم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط ويقول ربنا قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فيأتون سوقا قد حفت بهم الملائكة فيها مالم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يشترى وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا . قال فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من دونه

لاتجف لى عين ، قال فقلت له فهكذا أنت فى خلواتك ، قال وما مسئلتك عنه ؟ قلت عسى الله أن ينفعنى بذلك ، فقال والله إن ذلك ليعرض لى حين أسكن إلى أهلى أى لارادة وطئها فيحول ذلك بينى و بين ما أريد وإنه ليوضع الطعام بين يدى فيعرض لى فيحول بينى و بين أكله حتى تبكى امرأتى وتبكى صبياننا ما يدرون ما أبكانا . وعن عمر بن زاذان قال : قال لى كهمس ياأبا سلمة أذنبت ذنبا فأنى أبكى عليه منذ أربعين سنة ، فقلت ماهو ؟ قال زارنى أخ لى فاشتريت له سمكا بدانق ، فلما أكل قمت إلى حائط جار لى فأخذت منه قطعة طين فغسل بها يده فأنا أبكى على ذلك منذ أربعين سنة . ودخل بعض أصحاب فتح الموصلى عليه فرآه يبكى ودموعه خالطها صفرة ، فقال له بكيت الدم . قال نعم . قال على ماذا ؟ قال على تخلفى عن واجب حق الله ، ثم رآه فى المنام بعد موته ، فقال له مافعل الله بك ؟ قال غفرلى . قال ماصنع فى دموعك ؟ قال قربنى ، فقال لى يافتح على ماذا بكيت ؟ قلت يارب على تخلفى عن واجب حقك قال فالدم قلت خوفا أن لايفتح لى ، قال يافتح ما أردت بهذا كله وعزتى وجلالى لقد صعد حافظاك أربعين سنة بصحيفتك مافيها خطيئة ، وكان أبو الدرداء رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلف بالله إن من أمن السلب عند موته سلب عند موته : أى جزاء لأمنه مكر الله . وقال عبد الرحمن بن مهدى : مات سفيان الثورى ، فلما اشتد به النزع جعل يبكى ، فقال له رجل يا أبا عبد الله أتراك كثير الذنوب ؟ فرفع رأسه وأخذ شيئا من الأرض ، فقال والله لذنوبى أهون عندى من هذا إنى أخاف أن أسلب الإيمان قبل أن أموت ، وفى الروض الفائق عن سفيان الثورى أنه خرج إلى مكة حاجا فكان يبكى من أول الليل إلى آخره فى المحمل ، فقال شيبان الراعى ياسفيان بكاؤك إن كان لأجل المعصية فلا تعصه ، فقال سفيان أما الذنوب فما خطرت ببالى قط صغيرها ولا كبيرها وليس بكائى ياشيبان من أجل المعصية ، ولكن خوف الخاتمة لأنى رأيت شيخا كبيرا كتبنا عنه العلم وعلم الناس أربعين سنة وجاور بيت الله الحرام سنتين وكان يلتمس بركته ويسقى به الغيث ، فلما مات حول وجهه عن القبلة ومات على الشرك كافرا فأنا أخاف من سوء الخاتمة . وقال سهل رأيت فى المنام كأنى أدخلت الجنة فرأيت ثلاثمائة نبى فسألتهم ما أخوف ما كنتم تخافون فى الدنيا ؟ فقالوا سوء الخاتمة . اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة ونعوذ بك من سوئها ، وأن تتوفانا على الإيمان والتوبة ، وفى الصحيحين : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه ـ وأنذر عشيرتك الأقربين ـ فقال : يامعشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لاأغنى عنكم من الله شيئا يابنى عبد مناف لاأغنى عنكم من الله شيئا ، ياعباس عم رسول الله لاأغنى عنك من الله شيئا ، ياصفية عمة رسول الله لاأغنى عنك من الله شيئا ، يافاطمة بنت محمد سلينى من مالى ماشئت لاأغنى عنك من الله شيئا ، وقال كعب الأحبار رضى الله عنه : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد ونزلت الملائكة فصارت صفوفا فيقول ياجبريل ائتنى بجهنم فيأتى بها جبريل تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى إذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق ثم زفرت ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولانبى مرسل إلاجثا على ركبتيه ، ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتفزع العقول فيفزع كل امرىء إلى عمله حتى إن إبراهيم الخليل يقول بخلتى لاأسألك إلانفسى ويقول موسى بمناجاتى لاأسألك إلانفسى ، وإن عيسى يقول بما أكرمتنى لاأسألك إلانفسى لاأسألك مريم التى ولدتنى . وقال أيضا : لوفتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب

ومافيهم دنىء فيروعه مايرى عليه من اللباس فما ينقضى آخر حديثه حتى يتخيل عليه ماهو أحسن منه ؟ وذلك أنه لاينبغى لأحد أن يحزن فيها ثم تنصرف إلى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه فنقول إناجالسنا اليوم ربنا الجبار وحقنا أن ننقلب بمثل ماانقلبنا . قال بعض السادات رأيت غلاما فى البرية وهو قائم يتعبد وليس معه أحد قد انقطع عن العمارة والناس فسلمت عليه وقلت له يافتى أنت منقطع بلا معين ولا رفيق . فقال بلى وعزته معى المعين والرفيق . فقلت فأين المعين والرفيق ؟ فقال هوفوقى بقدرته ومعى بعلمه وحكمته وبين يدى بهدايته وعن يمينى بنعمته وعن شمالى بعصمته . قال

لغلى دماغه حتى يسيل من حرّها ، أعاذنا الله منها . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يا جبريل ما أرى ميكائيل يضحك . قال ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار وما جفت لى عين منذ خلقت جهنم مخافة أن أعصى الله عزّ وجل فيجعلنى فيها » فاذا كانت هذه حالة الأنبياء والملائكة المطهرين من الأدناس ، فكيف حالى وحال أمثالى من عصاة الناس وأين بكائى لاصرارى على المعاصى .

اللهم إنى أسألك مخافة تحجزنى عن معاصيك حتى أعمل بطاعتك عملا أستحق به رضاك وحتى أناصحك فى التوبة خوفا منك يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك .

ختام الخاتمة فى الرجاء

قال الله تعالى ـ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذنوب جميعا ـ وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يبالى إنه هو الغفور الرحيم . وكان أبو جعفر محمد بن على يقول: أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية فى كتاب الله عز وجل قوله تعالى ـ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذنوب جميعا ـ ونحن أهل البيت : نقول أرجى آية فى كتاب الله قوله ـ ولسوف يعطيك ربك فترضى ـ فلا يرضى محمد صلى الله عليه وسلم وأحد من أمّته فى النار . وأخرج الشيخان وابن ماجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما قضى الله الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق عرشه إنّ رحمتى سبقت غضبى » وفى رواية « غلبت غضبى » وأحمد وابن ماجه والبيهق . قال الله عزّ وجلّ : أنا عند ظنّ عبدى بى إن ظنّ خيرا فله وإنّ ظنّ شرا فله . والبيهق : أمر الله جلّ وعلا بعبد إلى النار ، فلما وقف على شفيرها التفت ، فقال أما والله يارب إن كان ظنى بك لحسنا . فقال الله عزّ وجلّ ردّوه أنا عند حسن ظنّ عبدى . والشيخان والترمذى « إنّ لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجنّ والانس والبهائم والهوامّ فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الطير والوحش على أولادها وأخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة » والشيخان « قدم على النبيّ صلى الله عليه وسلم بسبي ، فاذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسعى إذ وجدت صبيا من السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم أترون هذه طارحة ولدها فى النار قلنا لا وهى تقدر على أن لاتطرحه ، قال لله أرحم بعباده من هذه بولدها » والنسائى عن عامر الرام قال « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل عليه كساء وفى يده شئ قد التفّ عليه ، فقال يارسول الله مررت بغيضة شجر فسمعت فيها أصوات فراخ طائر فأخذتهن فوضعتهن فى كسائى فجاءت أمهن فاستدارت على رأسى فكشفت لها عنهن فوقعت عليهن فلففتهن بكسائى فهنّ أولاء معى . قال ضعهن فوضعهن وأبت أمهن إلا لزومهن ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون لرحم أم الفراخ فراخها ؟ فوالذى بعثنى بالحق لله أرحم بعباده من أم الفراخ بفراخها فارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن وأمهن معهن فرجع بهن » والترمذى وحسنه عن أنس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك مادعوتنى ورجوتنى إلا غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، ياابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتنى غفرت لك .

فلما سمعت منه هذا الكلام قلت له هل لك فى المرافقة فقال هيهات مرافقتك تشغلنى عن خدمته وما أحب أن يكون هذا لى ولى ملك الدنيا من شرقها إلى غربها فقلت له أما تستوحش فى هذا المكان فقال لى ياهذا من كان المولى حبيبه وأنيسه كيف يستوحش . فقلت من أين تأكل ؟ فقال ياهذا الذى غذانى برفقه فى ظلمة الأحشاء صغيرا تكفل بى كبيرا ولى عنده رزق معلوم وله وقت محتوم فسألته الدعاء فقال لى حجب الله طرفك عن معصيته وملأ قلبك بخشيته ولاجعلك ممن يشتغل بغيره عن خدمته ثم ذهب ليقوم فتعلقت به وقلت له ياأخى متى ألقاك فتبسم وقال أما بعد يومك هذا فلا تحدث به نفسك فى الدنيا ويوم القيامة يوم يجتمع فيه الناس فان كنت ممن تلقانى فاطلبنى فى

يابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتنى لاتشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » وأحمد والطبرانى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن شئتم أنبأتكم ما أول ما يقول الله تعالى للمؤمنين يوم القيامة ، وما أول ما يقولون له ، فان الله تعالى يقول للمؤمنين : هل أحببتم لقائى ؟ فيقولون نعم يا ربنا . فيقول لم ؟ فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك ، فيقول قد أوجبت لكم عفوى ومغفرتى » .

☘

اللهم إنا نرجو عفوك ومغفرتك ولقاءك ونعوذ برضاك من سخطك و بمعافاتك من عقوبتك . اللهم إنا نسألك الراحة فى الدارين ، وأن لاتنزع منا ماوهبته لنا من الايمان والعلم ، وأن لاتزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وأن توفقنا للعمل بما تحبه وترضاه ، وأن لاتجعل علمنا حجة علينا ، وأن تجعلنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وأن تؤمننا من الفزع الأكبر ، وأن تظلنا فى ظل عرشك يوم لاظل إلا ظلك ، وأن ترزقنا الجنة بغير حساب والنظر إلى وجهك بكرة وعشيا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

بحمد الله تعالى قد تم طبع كتاب [إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد] للشيخ « زين الدين ابن عبد العزيز المليبارى » و بهامشه مختصر يتضمن أحاديث وآثارا ومواعظ تتعلق بالموت وما بعده للمؤلف رحمه الله تعالى مصححا بمعرفتى ؟

رئيس التصحيح

أحمد سعد على

من علماء الأزهر الشريف

[القاهرة فى يوم الخميس ٣٠ صفر الخير ١٣٥٨ هـ — الموافق ٢٠ ابريل سنة ١٩٣٩ م]

ملاحظ المطبعة
محمد أمين عمران

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبي

جملة الناظرين إلى الله فقلت له : ومن أين عرفت ذلك ؟ فقال به وعدنى ربى وذلك أنى غضضت طرفى عن النظر إلى المحرمات ومنعت نفسى من تناول الشهوات وخلوت بخدمته فى الليالى المظلمات ، ثم غاب عنى فما رأيته . اللهم اجعلنا ممن اتصف بهذه الصفات الثلاث فظفر بلقائك يوم الدين الذين يقول لهم خزنة الجنة إذا جاءوها ـ سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ـ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فهـــرس إرشاد العباد

صحيفة

صحيفة

فهـــرس

المختصر الذى بالهامش المتضمن أحاديث وآثارا ومواعظ تتعلق بالموت وما بعده